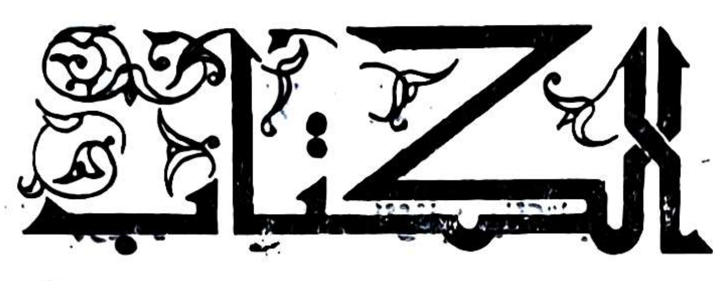


مجلة شهرية يصدرها اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

آب ١٩٧٥ م
رجب - شعبان ١٣٩٥ هـ

العدد ٨
السنة ٩



العدد الثامن	السنة التاسعة	آب ١٩٧٥

مسجلة بدائرة البريد برقم ١٣٣

دار الحرية للطباعة

مطبعة الجمهورية - بغداد

١٩٧٥

الكتـــاب

مجلة شهرية يصدرها اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

رئيس التحرير : هلال ناجي   سكرتير التحرير : عبدالجبار الحكيم

لجنة المجلة

حازم سعيد	د ٠ سامي مكي العاني
د ٠ علي الزبيدي	ماجد احمد السامرائي
د ٠ نوري القيسي	وحيد الدين بهاءالدين



مدير الادارة : جابر الخاقاني

جميع المراسلات باسم رئيس التحرير

الحوالات المالية باسم أمين صندوق الاتحاد

المقالات لا تعاد لاصحابها نشرت أم لم تنشر ٠



الادارة

مقر الاتحـاد : مقـابل معهد الادارة رقم ١ـ٤ـ٢٠٥ ٠ بغـــداد
صندوق البريد : ٤٠٦٨ ، تلفون ٢١٩٧٠

بدل الاشتراك السنوي :	فلس	دينار
داخل العراق	٠٠٠	٢
للدوائر الرسمية	٠٠٠	٤

بعض ملامح الأيديولوجية العربية الثورية

ماجد احمد السامرائي

يتميز عصرنا بالتاكيد على اهمية النضال العقائدى ٠ فهناك قناعة بان العمل السياسى لايمكن ان يرتفع الى مستوى العصر اذا لم يكن مستندا الى اتجاه عقائدى اى اطار منسجم من الافكار التى تحدد اتجاها انسانيا معينا يطلق عليه اسم « آيدلوجية » ٠

ان الايديولوجية مفهوم جديد قد رافق عصر الثورة الفرنسية ، فقبل هذا العصر كانت السياسة عبارة عن نشاط خاص لمجموعة من الناس الذين يختارهم الملك لتسنم مناصب حكومية معينة ٠

الا انه مع بداية ما سمى عصر التنوير بدأ الفلاسفة يطرحون افكارا وملامح هى ابعد من كونها ملامح فلسفية الى كونها اتجاها عقائديا وابرزهم الفيلسوف الانكليزى جون لوك ٠ ومونتسكيو وروسو ٠ الذين يعتبرون واضعى ركائز الاتجاه الايدلوجى الذى أكد على فكرة سيادة الشعب ٠

وينسب استعمال كلمة ايدلوجية الى نابليون حين كانت تعنى في ذلك الوقت الاتجاه النظرى البعيد عن الواقعية ٠

ومع بداية القرن العشرين اخذت تدل هذه الكلمة على المفاهيم والتصورات الاجتماعية المستوعبة لحركة التطور والمؤثرة فيها عن طريق التنظيمات السياسية التى تحمل لواءها ٠

لقد عرف معجم القرن العشرين الصادر عام ١٩٣١ الايدلوجية بأنها (منظومة من الافكار تتبلور على شكل عقيدة سياسية او اجتماعية تقوم عليها سياسة حكومة ما او حزب معين)

اما الموسوعة السوفيتية الكبرى فانها تعرف الايدلوجية بانها (العلم الذى يدرس قوانين التطور فى مجالى الطبيعة والمجتمع)

وهناك بعض التعريفات الاخرى لامجال لذكرها الان ٠

ويتبين من خلال ذلك ان الايدلوجية هى مجموعة من الافكار عن العالم وعن الحياة وعن المجتمع تهدف الى غاية عملية وتصلح كقاعدة لعمل جماعى ٠٠ لذلك فهى بعيدة عن خصائص التفكير الشخصى ومرونته لانها اقرب ما تكون الى برنامج عمل ! وبذلك فان الايدلوجية تختلف عن الفلسفة اختلاف العلم التطبيقى عن العلم المحض ٠

انها تتناول بالدرجة الاولى السياسة والاجتماع الا انها لاتكتفى بهما ٠٠

ان الايدلوجية ضرورة من ضرورات المجتمعات الانسانية التى تمر بمراحل ثورية ٠٠ لان الثورة في مثل هذه المجتمعات ليست ثورة سياسية او اجتماعية

او اقتصادية بل هي ثورة فكرية وثقافية وحضارية تسعى الى تجديد موقف المجتمع وقيمه ومفاهيمه امام الحياة ..

كما ان ضرورة الايدلوجية الثورية تاتي في المجتمعات التي تعاني مجموعة من انواع الصراع مع الاستعمار والتجزئة والتخلف والاستغلال الطبقي ومنها مجتمعنا العربي . كما ان ضرورتها حتمية لانها تحيا في وعي طليعة تقود جماهير الشعب .

من هنا فان العمل السياسي العقائدي يعتبر عملا ثوريا تاريخيا وحضاريا فيما اذا ارتبط وعبر تعبيرا صادقا عن الايدلوجية الثورية .

اما عندما ينفصل العمل السياسي عن الايدلوجية فانه يصبح عملا تاكتيكيا سطحيا لا ينطوي على اية قدرة فعالة ومؤثرة في الواقع .

الايدلوجية العربية الثورية

لايمكننا الحديث عن نشأة الايدلوجية العربية الثورية قبل القاء الضوء على المناخ الذي احاط الواقع العربي في بداية القرن العشرين .

لقد اعطى المفكرون للظروف التي رافقت واعقبت الحرب العالمية الثانية (بعالم ما بعد الحرب) وذلك للميزات الجديدة التي خلفتها الحرب الثانية وللخطوط التي رسمتها الحرب على الخارطة السياسية في العالم وللمتغيرات الدولية الجديدة التي احدثتها . من هنا وجه المراقبون انظارهم نحو المعطيات الفكرية والسياسية للواقع الجديد واخذوا يتفحصون الاتجاهات العقائدية الجديدة ومدى قدرتها على تفسير الواقع الجديد وتلبية حاجاته واستيعابها .

ويمكن من خلال استقراء سريع لواقع المتغيرات السياسية في العالم استبيان اربعة تيارات اخذت موقعها في العالم الراهن :

اولا تيار التحرر القومي :-

لقد ادى انتهاء الحرب العالمية الثانية الى نهاية مرحلة تعيسة في حياة امم كثيرة .. فقد انتهى عصر الامبراطوريات وبدأ عصر تحرر الشعوب فنمت شعوب كثيرة على هذا الطريق في اسيا واخذت افريقيا تضع اقدامها على بداية الطريق . ولكن مع نشوء هذا التيار برزت ظاهرة الاستعمار الجديد لتكيف نفسها مع الواقع الجديد للشعوب المناضلة محاولة من هذا الاستعمار فرض نفسه على تلك الشعوب . من هنا نشأ تيار جديد داخل التيار القومي نفسه وذلك لمواجهة الواقع الاستعماري الجديد .

ثانيا - تيار الوحدة او التجمع السياسي

لقد نمت دعوات رافقت دعوة التحرر القومي تطالب باستكمال التحرر القومي وذلك بتحقيق الوحدة وتثبيت الشخصية القومية ، و العمل لاعادة الاواصر التاريخية التي كانت تربط بين عدة شعوب او بين شعب واحد مبعثر او العمل على خلق روابط جديدة بدوافع استراتيجية عسكرية او اقتصادية . ان هذه الدعوات لم تكن تعبر عن نضج في الوعي السياسي فقط ، بل كانت تعبر عن شعور حاد بالحاجات المصيرية التي تفرضها ظروف الصراع مع العدو . من هنا كانت الوحدة العربية اضافة الى انها حاجة قومية تحررية ، فهي مطلب يتفق وسياق التطور الموضوعي للمجتمع العربي .

ثالثا ـ تيار التغييرات العنيفة والمفاجئة في الانظمة السياسية

لقد شهد الواقع بعد الحرب العالمية الثانية اشكالا متعددة من المتغيرات الاساسية في الانظمة السياسية لعدد كبير من دول العالم، فوجدنا الكثير من الانظمة الجمهورية قد حلت محل الملكية وانظمة لا دستورية تصبح متقيدة بالدستور . كما شهدنا مفاجئات من نوع اخر كالانقلابات العسكرية والثورات في بلدان العالم الثالث .

أن الايدلوجية الثورية هى التى اعطت الجواب الحاسم امام حالات التأزم والقلق لهذه المتغيرات الحادة في العالم .

رابعا ـ التيار المؤدى الى انقسام العالم الى كتل سياسية

ان الفترة التى تلت الحرب العالمية الثانية قد اوجدت كتلتين في العالم هما المعسكران (الاشتراكى) (والغربى) قد مرتا بمرحلتين من التأثير بينهما : الاولى تميزت بالحرب الباردة والثانية بالتعايش السلمى وظهور الصين كطرف ثالث .

الا انه في الفترة الاخيرة قد تغير هذا الواقع حيث دخلت مجاميع جديدة في العالم واخذ حجمها بالنمو والتصاعد اضافة الى الخلافات التى اخذت تنشأ داخل هذه المعسكرات نفسها . لقد ولدت الايدلوجية العربية الثورية ضمن اطار السياق التاريخى العام الذى كشفت عنه مختلف التيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم .

ان الوعى الثورى لمعطيات السياق التاريخى في العالم ووعى العلاقة بين ماضى التاريخ القومى وبين المشكلات الراهنة وبين افاق المستقبل العربى كانت عوامل فعالة لولادة الايدلوجية العربية الثورية . اضافة الى الشعور بالمسؤولية التاريخية من خلال ازمة الواقع السياسى العربى وازمة الحركة النضالية فيه .

ومن هنا اقترنت ولادة الايدلوجية العربية الثورية بميلاد الحركة العربية الثورية وعلى تحقيق وحدة الفكر والممارسة داخل حركة الثورة العربية .

فالايدلوجية العربية الثورية لم تنشأ في ظل البحث المجرد او التحليل النظرى الجزئى ، ولاوراء المكاتب بل تبلورت من خلال المعاناة العميقة لازمة الثورة العربية في هذه المرحلة التاريخية . وقد عبرت هذه الايدلوجية عن نفسها في نظرية (الوحدة والحرية والاشتراكية)، يقول الرفيق ميشيل عفلق :

« اعتقد ان حركتنا وضعت يدها على اخطر المشاكل في حياة العرب وعينتها عندما حصرتها في هذه النواحى الثلاث : الحرية ، الاشتراكية ، الوحدة العربية »

ان العلاقة الجدلية بين المفهوم القومى ومفهوم التحرر ومفهوم الاشتراكية داخل اطار التجربة العربية المعاصرة هى الاطار الذى حددته الايدلوجية العربية الثورية . ويمكن هنا تحديد بعض منطلقات الايديولوجية العربية الثورية وهى :ـ

١ ـ ان المرحلة التاريخية الراهنة للامة العربية هى مرحلة ثورية عميقة وشاملة .

٢ ـ ان الثورة في امة كادحة متخلفة مجزأة خاضعة للاحتلال والسيطـــرة الاستعمارية ، هى ثورة قومية تحررية اشتراكية ٠

٣ ـ ان اهداف المرحلة التاريخية تتلخص في الوحدة والحرية والاشتراكية

٤ ـ ان استراتيجية الثورة العربية هى بعث الامة العربية ٠ اى تحقيق المجتمع العربى الموحد الديمقراطى الاشتراكى ٠

٥ ـ ان حلقات التداخل بين الصراع الطبقى والصراع القومى التحررى والصراع العالمى ضد الامبريالية هى حلقات جدلية لا انفصام بينها ٠

٦ ـ ان اسلوب النضال الشعبى والكفاح المسلح هو الاسلوب المتكافــىء مع مسيرة الثورة العربية ٠

٧ ـ ان الالتزام الاخلاقى بقيم النضال وبالمستوى الانسانى الرفيع الذى يتطلبه العمل التاريخى هو جزء كامن في الفكرة العربية الثورية ٠

اما اهم الصفات التى تتميز بها الايدلوجية العربية الثورية فهى :

اولا ـ وحدة الفكر والممارسة :ـ

فالايديولوجية العربية الثورية ليست ناتجة عن تأمل نظرى مجرد ليست افكارا سابقة للتجربة وهى في نفس الوقت ليست محصلة لاختبارات الواقـــع فقـــط ٠

ان هذه الصفة التى ميزت الايديولوجية العربية الثورية ـ وحدة الفكـــر والممارسة ـ قد جعلت جدل التجربة العربية الثورية المعاصرة يحتاج الى فكـــر ثوري ملتحم بهذه التجربة ٠٠ منفتح على كل الايديولوجيات التقدمية ٠٠ انـــه يحتاج الى اكتشاف لا الى تطبيق ٠٠ الى تركيب معقد لا الى وصفات جاهـــزة مستوردة !

ايديولوجية البعث اذن هى ايديولوجية نضال وليست ايديولوجيـــة مثقفين بعيدين عن الالتزامات النضالية في هذه المرحلة ٠

ثانيا ـ النظرة الشاملة الكلية للواقع العربى ٠ وبذلك تخلصـــت الايديولوجية العربية الثورية من النظرة الجزئية ٠ ولذلك فهى لم تنظر الى واقع الامة العربية من زاوية التخلف مثلا ٠ او من زاوية التجزئة فقط او زاويـــة النهب الاستعمارى والسيطرة الاستعمارية او من زاوية الغزو الصهيونى او من زاوية التكوين الطبقى ، بل احاطت كل هذه الجوانب والزوايا رافضة اية نظرة تجزيئية او جزئية ٠

ثالثا ـ الصفة الثالثة للايديولوجية العربية الثورية تكمن في بساطتهـــا وصدقها ٠ فبتجسيدها لوحدة الفكر والممارسة ونظرتها الشاملة للواقع العربى ، اصبحت التعبير العفوى عن تطلعات جماهير الامة العربية ، وعن قوانين المسيرة النضالية العربية الثورية وبهذا اصبحت سمات العالمية والثورية والشعبيـــة والاخلاقية نابعة من طبيعتها كدليل عمل ونظرى للثورة لعربية المعاصرة ٠

بعد ذلك يمكننا ان نتعرض الى اهم مسالتين اتخذت منهما الايديولوجية العربية موقفا فكريا وعمليا واضحا هما القضية القومية والقضية الاشتراكية ٠

الايديولوجية العربية الثورية والنظرة القومية

لقد اكدت الايديولوجية العربية الثورية على اهمية الظاهرة القومية ووضعت يدها عليها بعد ان حاولت بعض التيارات في الوطن العربى ان تطمس معالمها فاليسار اللاقومى كان ينظر الى القومية على انها مرحلة تجاوزتها الاشتراكية ، وانها بقايا التراث البرجوازى وهى تشكل عقبة فى طريق الوعى الطبقى .

لقد وقع اليسار اللاقومى فى خطأ حين سحب الواقع المأساوى للتجربة القومية في اوربا على الواقع العربى . فجرد هذه الظاهرة من سياقها التاريخى وابتعد باسم الماركسية عن فهم الواقع العربى فهما جدليا علميا فأساء بذلك الى الفكرية العربية الثورية قدر اساءته الى الماركسية اللينينية نفسها .

كما ان (اليمين اللاقومى) كان ينظر الى القومية العربية على انها بدعة مستحدثة مستوردة ويتهمها بالتخلى عن الماضى والمروق على الدين الى غير ذلك من النعوت التى تفتعل التناقض بين الفكرة القومية وبين الدين دون فهم ووعى لكل منهما .

لقد منحت الايدلوجية العربية الثورية القومية مفهومها الحقيقى المتفاعل مع واقع الامة العربية ونقدت المفهوم السابق لها . يقول الاستاذ ميشيل عفلق « ان اصطلاح القومية العربية فى استعماله الشائع هو خليط من افكار واتجاهات سياسية وعواطف ومن رواسب وانحرافات سلبية وايجابية جعلته بعيدا عن المعنى الصادق الخلاق الذى يوحى به . فالقومية فيه تارة مرادفة للتعصب والتوسع وتارة مقيدة فى اغلال من العنصر او الدين او التاريخ .. مع ان هذه المعانى السلبية والايجابية عارضة متبدلة جزئية » ومن خلال هذه النظرة النقدية نجد ان الايدلوجية العربية الثورية قد اعطت للقومية العربية مفهوما يعبر عن حقبة مشخصة وواقع حى .. لاتكون من خلاله بناء مجردا ، متخلصة من جمود التقوقع على الماضى ومن ترسباته السلبية ، كما تبتعد عن انحراف التجاهل للحقيقة القومية والانجرار وزاء التقليد والتبعية والانفلات من جو الحياة الاصلية جو المسؤولية التاريخية للامة العربية .

كما ربطت الايدلوجية العربية الثورية بين القومية والارادة حيث يقول القائد المؤسس « ان قوميتنا لاتزول بارادتنا ، ولكنها في الوقت نفسه لاتستمر ولا تتحقق تحققا كاملا بدون هذه الارادة »

وبذلك اكدت ايدلوجيتنا العربية على ضرورة الربط بين المفهوم القومى وبين النضال . اى اعطت للقومية العربية روحها وحركتها المتفاعلة مع الانسان العربى المتطلع نحو الحياة الحرة الجديدة .

وحين تجاوزت الايديولوجية العربية الثورية النظرات التقليدية للقومية العربية فانها اعطتها الملامح الواقعية والانسانية الإيجابية في النضال العربى .

ان القومية العربية في نظر الايديولوجية العربية الثورية ليست قومية تاريخية او دينية او عنصرية .. اى انها لا تتقوقع ضمن عنصر واحد من تلك

العناصر ، بل ان مجموعها تتفاعل لتمنح القومية العربية اطارها ومحتواها التقدمي الانساني .

ان القومية العربية قد عانت من حملة ضالة وجهت اليها من اعدائها ومن الواقفين في صفها ..

فأعداء القومية العربية من الاستعمار والرجعية والاقطاع قد شوهوا معانيها وأفكارها وطعنوها في قلبها من خلال الاحتلال والتجزئة والاستغلال والعبودية والتبعية للامبريالية العالمية . اما الواقفون في صف النضال العربي ممن تجنى على القومية العربية ، فهم اولئك الذين اشتبكت امامهم الصور واختلطت الافكار فالصقوا في القومية العربية ما حملته الفكرة القومية في اوربا بالقرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . من دعاوى التعالي والغرور والعدوان والعنصرية .

واستنتجوا من خلال ذلك ان العصر الحديث وهو عصر الثورات الانسانية يعني تجاوز لعصر القوميات متناسين الحقيقة الواقعية للترابط الجدلي بين القومية العربية والانسانية ومتجاهلين ان العصر الحديث هو عصر القوميات الانسانية .. فمن الخطأ الكبير وضع القومية والانسانية كمراحل ترتيب زمني فبدلا من ان نقول ان عهد القوميات سائر الى الزوال ليفسح المجال امام عهد الانسانية ، يصح ان نقول اننا قد بدأنا فعلا في عهد (القوميات الانسانية) الذي تصبح فية القومية انسانية بتخلصها من تعصبها وانكماشها وعواملها السلبية الأخرى .

يقول الرفيق ميشيل عفلق في معركة المصير الواحد « هذا هو فهمنا الايجابي للقومية : بانها هذا المستوى الناضج الذي بلغته المجموعات البشرية نتيجة تفاعل قرون طويلة بين افرادها وبين الظروف الطبيعية والتاريخية التي مرت بها والتي نسجت فيما بينها روابط روحية مشتركة اهمها واعلاها هي رابطة الثقافة ، هذه هي النقطة الاولى التي أنطلقنا منها عندما بدأنا عملنا من اجل تحقيق اهداف الامة العربية في هذه المرحلة .. لم نتصور قوميتنا تصورا سلبيا . لم نتصور انها وجدت لتخاصم غيرها او لكي تدعي التفوق او لتدفع التهمة عن نفسها . لم ننظر الى امتنا هذه النظرة المنفعلة السلبية ، وانما التفتنا الى ما هو اجدى .. الى محتوى القومية لنبني وعيها على اسس سليمة فعالة »

الايدلوجية العربية الثورية والنظرة الاشتراكية

ان الايدلوجية العربية الثورية هي ايديولوجية قومية واشتراكية في آن واحد . وذلك لان التحليل العلمي للواقع العربي يكشف عن حتمية الوحدة وحتمية الحرية وحتمية الاشتراكية كطريق وحيد لاحداث الانقلاب الجذري في حياة العرب هذا الانقلاب الذي يتطلب تحقيق ثورة علمية على الصعيد الفكري وثورة على الصعيد الاقتصادي لتغيير علاقات الانتاج الاقطاعية وشبه الراسمالية بعلاقات اشتراكية . وثورة قومية ضد الاستعمار والتجزئة .

ان هذه الثورات الثلاث يجب ان تقوم دفعة واحدة فأن اي تغيير مهما كان

كبيرا على الصعيد الاقتصادى سيبقى ناقصا دون احداث ثورة عليمة على الصعيد الفكرى والثقافى وبنضال دؤوب لتحقيق الوحدة العربية .

ان الايديولوجية العربية الثورية قد استطاعت وحدها اكتشاف جدل الصراع في الوطن العربى واستوعبت تناقضات الواقع العربى وبذلك سبقت الايديولوجية العربية الثورية نوعين من الايديولوجيات :

الايديولوجية القومية اللا اشتراكية ، والايديولوجيات الاشتراكية اللاقومية

ان نظرة الايديولوجية العربية الثورية للاشتراكية لم تكن فلسفة مجردة ، بل نبعت من الحاجات الموضوعية للمرحلة التاريخية العربية الراهنة ، اى من مصلحة الجماهير الكادحة في الوطن العربى التى لا تنفصل عندها الاشتراكية عن الحرية وعن الوحدة .

لذلك فلم تكتف الايديولوجية العربية الثورية بالتفسيرات المادية او المثالية للتاريخ ، ولم تستسلم للاعتبارات الميتافيزيقية في تحليلها ومعالجتها للقضايا الاشتراكية ، كما انها اكدت في الوقت نفسه على اهمية الاقتصاد في تطور التاريخ وخاصة فى الحياة المعاصرة ، الا انها لم تذهب الى اعتبار الاقتصاد العامل الوحيد المحدد لمسيرة التاريخ .

واعطت الايديولوجية العربية الثورية للاشتراكية معناها الانسانى لكنها لم تستغرق في نزعة وجدانية مثالية تبعدها عن التحليل الواقعى لحركة الصراع الطبقية في المجتمع ولو تفحصنا نظرة الايديولوجية العربية الثورية الى الاشتراكية لوجدنا انها مرت بمراحل تاريخية متطورة منذ ولادة هذه الايديولوجية وذلك من خلال التفاعل الحى بين النظرية والممارسة :

فمنذ الاربعينات اى مع ميلاد الايديولوجية العربية الثورية تحدد مفهومها للاشتراكية بكونها تعبيرا عن حق الجماهير الكادحة وليست تعبيرا عن استجابة عاطفية او مبدأ مثالى يقول القائد المؤسس « ان الذى يظن الاشتراكية دينا للشفقة مخطىء ايما خطأ .. اننا في دفاعنا عن الجماهير المحرومة لانطلب لهم صدقة بل نطلب لهم حقا »

كما طرحت في نفس الوقت مشكلة الصراع وعلاقته بالصراع القومى ـ اى مشكلة العلاقة بين النضال ضد التجزئة وضد الاستغلال الطبقى « فالقومى العربى يدرك ان الاشتراكية هى انجع وسيلة لنهوض قوميته وامته ، لانه يعلم بان نضال العرب في الوقت الحاضر لايقوم الا على مجموع العرب ، ولايمكنهم ان يشتركوا في هذا النضال اذا كانوا مستثمرين منقسمين سادة وعبيدا . فضرورات النضال القومى توجب النظرة الاشتراكية .. القوميون العرب هم الاشتراكيون .

ثم اخذ المفهوم الاشتراكى لدى الايديولوجية العربية الثورية بالتبلور في الخمسينات من خلال المواقف التى اتخذتها تجاه الظواهر التى عاشها الواقع العربى في تلك الفترة الزمنية كالانقلابات العسكرية وحددت بذلك مفهومها للحرية

بضرورة ربطها بالمضمون الاقتصادى والاجتماعى وبدأت تتحدد بوضوح نظـرة الايديولوجية العربية الثورية الى فكرة السلطة وتمثيلها لغالبية الشعب مـن العمال والفلاحين وكل الكادحين ٠

يقول الرفيق ميشيل عفلق عام ١٩٥٥

« فتحقيق الاشتراكية في حياتنا شرط اساسى لبقاء امتنا ولامكان تقدمها ، واذا لم تعم الاشتراكية ولم تسع الى تحقيق العدل الاجتماعى لجميع الافراد ولم ينقلب الشعب العربى الى شعب منتج الى اقصى حدود الطاقة ، اذا لم يتحقق كل هـذا يكون كل كلام عن حرية العرب واستقلالهم ضربا من اللغو ونوعا من التضليل »
وتطور الفكر الاشتراكى لدى الايديولوجية العربية الثورية اكثر فاكثر فـى مرحلة الستينات حيث تعمقت النظرة العلمية لديها وذلك بتأكيد المنطق الجدلى منطلقا للفكر القومى الاشتراكى ورفض المنطق الاشتراكى الاصلاحى الـذى ينطلق من تبنى فكرة التدرج البطىء في التغيير الاجتماعى ٠

ان الايديولوجية العربية الثورية ليست افكارا خيالية مجردة معزولة عن الواقع ، فلم تولد من الخيال الحالم ، بل هى وليدة المعاناة الحقيقية للواقع ونبت التشخيص العلمى الدقيق لطبيعة المرحلة التاريخية للامة العربية ٠٠

انها لم تستورد الافكار الجاهزة الا انها لم ترفضها بل استوعبتها وهضمتها واخضعتها للواقع العربى ٠٠ وبذلك حققت علميتها كما انها لم تستسلم للواقع المجزأ المستعمر فرفضته رفضا جذريا معتمدة بذلك على اوسع الجماهير وبذلك اكدت ثوريتها ٠

ولم تقف الايديولوجية العربية الثورية في تحقيق اهدافها حالمة متأملـة ، بل اكدت على ضرورة الانقلاب على الواقع الفاسد وبجميع الاوجه وبذلك اكدت اصالتها الثورية ٠

ولما كانت الايديولوجية العربية الثورية معبرة عن تطلعات اوسع الجماهير بامتداد جذورها بينها فقد اتسمت بسمة الشعبية ايضا ٠

هذه هى بعض ملامح الايديولوجية العربية الثورية ٠

١٨-٦-١٩٧٥ ماجد احمد السامرائى



شِعرُ الخوارج

هلال ناجي

في خواتيم عام ١٩٦٣ نشر الدكتور احسان عباس الطبعة الاولى من كتابه «شعر الخوارج» ، وكان صنيعه هذا جليل الفائدة ، اذ وضع للمرة الاولى شعر الخوارج الثورى الزهدى مجموعا في متناول الباحثين والدارسين ، بعد ان بذل جهدا ضخما في تقريه في شتى المظان مخطوطة ومطبوعة ، حتى استوى له هـذا المجموع النفيس فصدره «بنظرة في شعر الخوارج» ٠

ولقد كان ادب الخوارج وشعرهم موضع عناية عدد من جلة الباحثين على رأسهم الدكتورة سهير القلماوى في كتابها «ادب الخوارج» وافرد له باحثون اخرون فصولا من كتبهم كالاستاذ احمد الشايب في كتابه « الشعر السياسى في العصر الاموى » ٠ وتناول الدكتور زكى المحاسنى «شعر الحرب عند الخوارج » فعقد له فصلا في كتابه «شعر الحرب في ادب العرب» كما عقد الدكتور النعمان القاضى فصلا لشعر الخوارج واخر لشعرائهم في كتابه «الفرق الاسلامية في الشعر الاموى» كذلك عقد الاستاذ عزمى الصالحى فصلا صغيرا لشعر الطرماح المذهبى والسياسى في كتابه «الطرماح بن حكيم الطائى» ٠

وفي اواخر عام ١٩٧٤ نشر الدكتور احسان عباس طبعة ثانية من كتابـه «شعر الخوارج » بعد ان اضاف اليه شعرا كثيرا من مصادر وقف عليها بعـد صدور طبعته الاولى ٠ كما انه اعاد ترتيب القصائد على اساس زمنى كذلك زود طبعته الثانية هذه بملاحظ تاريخية جديدة ، ووضع تخريج القصائد واختلاف الروايات والتعريف بالاعلام في الحواشى ، ولم يفرد لها مكانا خاصا كما فعل في الطبعة الاولى ٠ وكان موفقا في هذا التغيير ٠ وبتواضع نبيل وبخلق العالم الجليل ختم مقدمة طبعته الثانية هذه بقوله : « وانا احس بعد كل هذا الجهد بالموقـف الضيق الذى يضع فيه جامع الشعر نفسه ٠ اذ قد تفوته ــ رغم الاستقصـاء الكثير ــ ابيات ومقطعات وقصائد ، لم يوفق الى الاطلاع عليها في المظان التـى اعتمدها » ٠

وقد رأيت خدمة لشعر الخوارج عامة ولكتاب «شعر الخوارج» خاصة ، ان اقدم باقة من شعرهم لم ارها في الطبعة الثانية ، عسى ان يكون في استدراكها ونشرها خدمة للباحثين والدارسين ٠

الاستدراكات :

قالت مليكة الشيبانية ترثى الضحاك بن قيس الخارجي واصحابه :

ـ ١ ـ

١ ـ قولى مليك عليك بالصبر ... تستوجبين فضائل الاجر
٢ ـ قولى فانك غير كاذبة ... ياعدتى لنوائب الدهر
٣ ـ اورثتنى كمدا يؤرقنى ... وتلهفا وحرارة الصدر
٤ ـ ومرارة في العيش دائمة ... وحرارة كحرارة الجمر
٥ ـ ذهب الذى قد كان يأمرنا ... بالخير والمعروف والذكر

(٢)

وقالت مليكة الشيبانية ترثي اخاها :

٦ ـ من لجاراتك الضعاف اذا حل بها نازل من الحدثان ؟
٧ ـ من لضيف ينتاب في ظلمة الليل اذا مل منزل الضيفان ؟
٨ ـ سوف ابكى عليك ما سمعت اذناى يوما تلاوة الفرقان
٩ ـ اين من يحفظ القرابة والصهر ويؤتى لحاجة اللهفان ؟
١٠ ـ ويحوط المولى ويصطنع الخير ويجزى الاحسان بالاحسان
١١ ـ ويكف الاذى ويبتذل المعروف سمح اليدين سبط البنان

(٣)

وقالت مليكة الشيبانية ترثى اخاها :

١٢ ـ يا عين جودى بالدموع ... بواكف حتى الممات
١٣ ـ قولا لمن خضر الخروب من النساء الشاريات
١٤ ـ امسين بعد غضارة ... ونعيم عيش مثبتات
١٥ ـ من بعد عيش ناعم ... صارت عظامهم رفات
١٦ ـ واذا المنية اقبلت ... لم تغن اقوال الرقاة
١٧ ـ كنت المؤمل والمرجى ... في الامور المعضلات
١٨ ـ كنت المؤامر والمؤازر والمطالب للترات

(٤)

وقالت مليكة الشيبانية ترثى عمها :

١٩ ـ اصبرت عن عمى الذى ... قد كان بالمعروف آمر ؟
٢٠ ـ أصبرت عن عمي الذى ... كان المؤامر والمؤازر ؟
٢١ ـ أخوانه النفر الشراة ... ذوو الفضيلة والبصائر
٢٢ ـ ياعم كنت لسان قومك حين يجتمع المعاشر
٢٣ ـ فلابكينك بالغداة ... وبالاصائل والهواجر
٢٤ ـ ولئن بكيت لقد رزئت بفارس بطل مغاور

(٥)

وقالت أيضاً ترثيه :

٢٥ ـ ما بال دمعك يا مليكة جار ... ام ما لقلبك لا يقر قرار ؟

٢٦ ـ ام مالنفسك ليس يسكن حزنها ... ليلا ، وليس نهارها بنهـــار ؟
٢٧ ـ جزعا على من كان يجمع شملنا ... ونعده لنوائب وعثـــار
٢٨ ـ لو كنت املك دفع ذلك لم تكن ... يا عم بـين نضائــد وغبار
٢٩ ـ القيت جلبابى لعظم رزيتـي ... وبرزت سافــرة بغير خمار
٣٠ ـ زرت المقابر كى اسلى عبرتـي ... هيهات ممن زرت بعـد مزار
٣١ ـ فلتبك نسوان الشراة بعبـرة ... عند الحروب وكل كهل شارى
٣٢ ـ وليبكه المولى وطالب حاجـة ... عند العشاء وكل ضيف طارى
٣٣ ـ اين الذين اذا ذكرت فعالهـم ... عرفوا بحسن عفافة ووقــار ؟
٣٤ ـ اين الذين اذا اتاهم سائـل ... بذلوا له اموالهم بيســـار ؟
٣٥ ـ اين الذين اذا ذكرنا دينهـم ... قالت عشائرهم : هم الاخيـــار

(٦)

وقالت ايضا :

٣٩ ـ ابكى المغيـب في الثـرى ... بين النضائــد والصفائـح
٣٧ ـ ابكى وحـق لى البكـــــــاء مـع الغوادى والروائـح
٣٨ ـ فلابكينـك ماغــدت ... شمس وما جـرت البوارح
؟ ـ من ذا يرجـى للنصيحــة ... حـين تعتقـد النصائـح ؟
٤٠ ـ ام مـن يرجى للقريــب ... ومن يكون لكـل نـازح ؟
٤١ ـ ام مـن يؤمـل لليتيـم ... وكل ذى غـرب ونائـح ؟
٤٢ ـ ام من يعـم صديقــه ... خـيرا ويجحـر كل نابح ؟

(٧)

وقالت ترثى الضحاك

٤٣ ـ ما بال دمعك دائم السجـم ... مثل الجمان وهى من النظـم ؟
٤٤ ـ جلت مصيبتنـا وقد عظمت ... لما فجعـت بسيد ضخـم
٤٥ ـ حلو الشمائل حين تخبـره ... حسن السريـرة ماجد شهم
٤٦ ـ يصل القرابـة والجوار اذا ... قطع القرابة صاحب الظلـم
٤٧ ـ فلابكينك كلمـا وخـدت ... عيس بارحلهـا على رسم
٤٨ ـ ولابكينك عند مجتمـع الامـلاء عند تطـاول الخصـم

★

مصادر التخريج :

جميع الابيات المستدركة من مخطوطة « اشعار النساء » للمرزبانـي رقم ٨ ادب ش بدار الكتب المصرية ـ الورقات ٥٣ـ٥٥

هلال ناجى

التيار القومي في الشعر العراقي الحديث وأشهر أعلامه

مصطفى عبداللطيف السحرتي
رئيس رابطة الادب الحديث بالقاهرة

(٨)

الوعى القومى الشعبى

رأينا في الفصلين السابقين ، كيف طافت الفكرة القومية برؤس بعض الشعراء في القرن التاسع عشر ، ومن بينهم الاخرس واحمد الشاوى وعبدالغنى جميل زادة وكيف تطورت الفكرة ، وتوزعت بين القومية والعثمانية في رؤس كثير من الادباء والشعراء ومن بينهم الزهاوى والشبيبى والرصافي .

وما وقعت الحرب العالمية الاولى ، وغدر الحلفاء بالعرب . وقسموا البلاد العربية ، فاستولت فرنسا على سوريا ولبنان ، وانجلتره على العراق ، ووضعت فلسطين تحت الانتداب البريطانى حتى تيقظ الوعى القومى لابين المفكرين والساسة والادباء والشعراء حسب ، ولكن بين الشعوب العربية وصارت رسالة القومية سياسية هى جهاد المستعمر والعمل على استقلال كل بلد عربى .

وقد كان العراق اكثر الشعوب العربية جهادا للمستعمر وعملائه ، ففى صيف عام ١٩٢٠ هب العراقيون من جميع الطبقات ، يجاهدون الانجليز فترة قاربت الستة شهور لاقى فيها الانجليز مالاقوا من خسائر فى الارواح والاموال ولبث العراقيون يجاهدون الانجليز من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٥٨ ، ويجاهدون عملاءهم في شجاعة ، واستبسال . ويشجبون المعاهدات التى كان يبرمها الانجليز مع الحكومات المختلفة التى تولت حكم البلاد وفي غضون هذه الفترة قاموا بثورات وانتفاضات كثيرة ، اهمها ثورة رشيد عالى الكيلانى في عام ١٩٤١ وكان من اهم اسبابها محاولة ادخال العراق في الحرب الاوروبية الثانية ضد الالمان ، وكان من اسبابها خوف الانجليز من وجود وزارة وطنية في العراق تحقد عليهم وتتربص بهم لتضربهم في اول فرصة ، وفي مقدمة الاسباب المباشرة لتلك الثورة مطالبة الانكليز حكومة رشيد عالى الكيلانى بالتغاضى عن احكام المعاهدة التى تقيد عدد القوات البريطانية التى يسمح لها بدخول الاراضى العراقية بحيث لايجوز دخول عدد اخر الا بعد اجتياز القوات الموجودة للحدود العراقية والتى تلزم الانجليز بتسليم اسلحة كل قوة انجليزية تدخل الحدود ، ثم يسلم لها سلاحها عند مغادرتها الحدود .

ولم يرفض رشيد عالى الكيلانى فكرة اعطاء امتيازات لبريطانيا اكثر مما

تلزمه به المعاهدة ، لكنه طلب من الانجليز مقابل ذلك التعهد رسميا بجـــلاء بريطانيا عن مصر وفلسطين وفرنسا عن سوريا بعد انتهاء الحرب العظمـــى . ورفض البريطانيون اعطاء ذلك التعهد وحصل التصادم الذى بداه الانجليز في قاعدة الحبانية ، وانتفاضة العراقيين ضد المعاهدة المسماة ببورتسموث ، التى عقدها صالح جبر مع مستر بيفن في ١٦ يناير (كانون الثانى) سنة ١٩٤٨ والتى كانت تعطى للانجليز حق ارسال جنود بريطانيين الى العراق في حالة الحـــرب او التهديد بالحرب ، والحق في نزول طائراتهم بالقاعدتين الجويتين في العـراق قاعدة الحبانية وقاعدة الشعيبة وانتفاضة عام ١٩٥٢ عند ما بلغ السوء بالعراق منتهاه ، واذا كان لم يكتب لثورة رشيد عالى الكيلانى ، ولا لانتفاضة عام ١٩٥٢ النجاح الا ان هذه الانتفاضات كانت تكشف عن روح الشعب العراقى في النزوع الى الاستقلال واستخدام السلاح في سبيل هذه الغاية الشريفة .

وقد كان يساهم في هذه الانتفاضات طائفة من شعراء العراق باقلامهم ، وجهادهم العملى ، ونذكر من بين هؤلاء المجاهدين : الشاعر محمد باقر الشبيبى اخ الاستاذ محمد رضا الشبيبى ١٨٨٩ ــ ١٩٦٠ وعلى الشرقى ١٨٩٠ ــ ١٩٦٤ ومحمد على اليعقوبى م ١٨٩٣ واحمد الصافى النجفى م ١٨٩٤ ومحمد مهــدى البصير م ١٨٩٦ وغيرهم وهذا الجيل هو جيل معاصر للجيل السابق ، الا ان بعض شعرائه اضاف اضافات قيمة كان لها اثرها في الادب القومى العراقى ، وقد تميزوا بروح جسور مقدام في مجاهدة الاحتلال الانجليزى ، وكان لهـــذا الجيل من الشعراء نفحات نارية في ثورة عام ١٩٢٠ التى سكت عنها الرعيـــل السابق للظروف التى شرحناها سابقا .

ويعد محمد باقر الشبيبى اول رافع للواء القريض بعد الجيل السابـق ، كما انه خير من وجه الادب العراقى وجهه وجدانية لاعهد له بها وكان الرجـــل في وداعة مظهره ، يشتعل اللهب بقلبه ، ودوره في كفاح المستعمر دور ايجابى فقد طعم الثورة العراقية في عام ١٩٢٠ ببيانه الخلاب واصداره الفتاوى المدويـــة بالجهاد ، فما نشبت الثورة حتى اخرج جريدة «الفرات» تنطق بلسانها وتعبـر عن اهدافها ، وتحمل الى الشعب العراقى ما حققته من انتصارات في المعارك التى خاضها .(١) وقد كان من المجاهدين للثورةالكبرى بالقاء الخطب ، وانشـــاد الشعر ، ولما اخمدت الثورة اخذ يمطر المحتل بوابل من شعره القوى اللاهب ، ويحمل على الحكومات التى احتضنها ، ويندد بها ، ومن ذلك ما جاء في قصيدتـه « الحكم الذاتى » التى يقول فيها :

حكومة من فلول الحـــرب صورهـــا
هذا الزمان على شكـــل الحكومـــات
تجرى وراء هواها او عواطفهـــــا
حرصا على شهوات الحكم والـــذات

---

(١) جريدة الاهالى الصادرة فى ١٠ حزيران ١٩٦٠

تجبى الغلال من الفلاح واغلة
وتستريح الى اخذ الجبايات

ويستطرد في الحملة على هؤلاء الحكام الذين لم يمتازوا بميزة يقول :

اسماهم الوقت حكاما على بلد
لم يعترف لمعاليهم بميزات

رهط من الناس لاينفك دأبهم
بذر الخلاف وايجاد الخصومات

سادوا البلاد وناموا في قصورهم
ملء الجفون هنيئا نوم سادات

بلية الحكم مقصورا على بلد
ادهى واعظم انواع البليات (٢)

ويأتي المندوب السامي البريطاني السير همفريز ، يحمل تصريحا بريطانيا فيندد باقر بالانجليز وبالتصريح في قصيدته الشهيرة «حقيبة السير همفريز» التى جاء فيها قوله :

هل في حقيبته شيء من الامل
ام المزيجان من سم ومن عسل

تساءل القوم عن قول يفوه به
وقد تمر شهور وهو لم يقل

ايبسم الخير لماعا بمنطقه
ام يكشف الشر عن انيابه العضل

ثم يؤكد باقر انه لاجدوى من هذه التصريحات فان سياسة القوم مطوية على دخل وان الوعود البريطانية فارغة عقيمة يقول :

لاتشغلوا الناس بالاوعاد فارغة
فالناس عن هذه الاوهام في شغل

ضاق السبيل علينا من وجودكم
فانتم عثرات الخلق في السبل

بقاؤكم غير محمول على شرف
وحكمكم غير محبوب ومحتمل

ثم يقول :

تابى العروبة ان تبلى كرامتنا
وان نعد عداد الشاة والابل

خلوا العراق فهذا الحكم مهزلة
واسوأ الحكم ما افضى الى الهزل (٣).

ويزور العراق في عام ١٩٢٩ المستمر تشارلس كراين الامريكى في بعثة

---

(٢) الشعر والشعراء في العراق ـ لاحمد ابو سعد ص ٩٥
(٣) الادب الجديد ـ لمحمد جمال الهاشمي ص ٨١ ـ ٨٤

يصحبه فيها الانجليزي كنج ، تلك البعثة التي اوفدت الى البلاد العربية تلبية لطلب الرئيس الامريكي ولسن ، وسميت بعثه كنج - كراين ، لاستطلاع رأى العرب في تقرير مصيرهم ، فينبرى الشعراء لتحيته والافضاء اليه بحال العراق السيء ، ومن ابلغ ما قيل قصيدة باقر الموسومة ب «تحية المستمر كراين» ، وقد جاء فيها :

كل البلاد من القيود تحررت ... الا العراق الحر فهو مقيد
واحسرتاه على العراق يقوده ... عهد بموجبه يذل السيد

ويخاطب الزائر بقوله :

طف بالعراق من الخليج لنيتوى ... واستنطق الملأ الذى يتجرد
فاذا رأيت تقدما وتجددا ... فانا المعاتب ايها المتجدد
واذا تنهدت النفوس فانها ... من فرط ما فعل الاسى تتنهد

ويتحدث عما فعل الانجليز ، ومستشاروهم في العراق ومطاوعة الحكام لهم يقول :

الحكم حكمهم بغير منازع ... والامر مصدره همو والمورد
المستشار هو الذى شرب الطلا ... فعلام يا هذا الوزير تعربد (٤)

ولقد تغنى العراقيون ببعض ابيات هذه القصيدة ، وبخاصة البيت الاخير وما ينطوى عليه من سخر بالوزراء الذين كانوا يسايرون المستشارين الانجليز في كل صغيرة وكبيرة .

وهكذا ظل محمد باقر الشبيبى حربا على الاستعمار في بلاده ، ولم يترك فرصة دون الحملة عليه وعلى اوليائه ، ودعوة ابناء وطنه الى اليقظة لنيل الاستقلال ففى القصيدة الوجدانية الرائعة التى القاها في حفل تابين والده الاديب الشاعر محمد جواد الشبيبى ، ضمن رثاءه ، حال وطنه الاليم ، قال :

غدت هذه الاوطان وهى مهيضة ... تخبط يعروها من الياس ما يعرو
دعوت لها ان تستقل بامرها ... وتصبح لانهى عليها ولا امر
بلاد جرت انهارها وشطوطها ... لجينا وغطى سطحها الماس والتبر
معادن اخفاها وقدرها الثرى ... فكان لها شأن وكان لها قدر
حبانا بها الوادى فكان وفاوه ... عميما ، ولكن الوفاء له نذر
جرى اليسر دفاقا الى تميز اهله ... وحلت باهليه المجاعة والعسر
افيقى بلاد الضاربين بيوتهم ... على مفرق الدنيا وقولى كفى السكر

وفي هذه القصيدة العصماء التى سماها «اليتيمة» رثاء مؤثر هاز لوالده ، ومما جاء فيها قوله :

يقولون ابنه بشعرك انه ... يلذ له من فيك ان ينشد الشعر
سانشده من مقلتى قصيدة ... برغم القوافى انها ادمع حمر
واسكب احشائى عليه من الاسى ... نشيدا واحشائى اذا سكبت جمر
دعانى واسمانى فقبلت ثغره ... وودع بالايماء وابتسم الثغر
هنالك فاضت روحه فى سكينة ... سلام عليها - اية - انها سر

---

(٤) الادب الجديد - لمحمد جمال الهاشمى ص ٧٩ - ٨١

وقال :

ابى انت ميراث العراق وذخره — اذا ذكر الميراث او حفظ الذخر
وعى ادب الاجيال صدرك واسعا — ففى ذمة التاريخ ماضمه الصدر .(٥)

وبهذا مزج باقر الشبيبى في هذه القصيدة واجبه الحزين نحو ابيه ، بواجبه نحو وطنه الكليم ، وهو بهذا يعد منفردا بهذا اللون من الشعر الوجدانى الجامع بين العاطفة والسياسة في سبيكة بديعة واحدة .

ونحسب ان هذا الشاعر كان رائدا من رواد الشعر الوجدانى في العراق ، ان لم يكن اول رواده ، فلقد اضاء الحب العذرى قلبه في سن باكرة ، فـرق وجدانه ، وشفت روحه واعرب عن هذا الحب في قصيدته النابغة «سوانـح في الحب والجمال »(٦) وقد جرت رائقة كالماء النمير :

هذا الذى يبدو عـلى قسماتـى — اثر الغرام فما تقول اساتـى
بالله بالحب البرىء تقبـلـى — هذا الخشوع على هـدى قبلاتى
قالوا الصلاة فقلت انى عاشـق — شتان بين صلاتهـم وصلاتـى
هى قبلتـى انى اتجهت رأيتهـا — عندى ممثلة بسـت جهـات
صونى جمالك عن عيونى وانظرى — انى اخـاف عليك من نظراتـى
واذا غمزتك فالقلوب شواهـد — وانا المشوق بريئـة غمزاتـي

وتتكشف عواطفه نحو الحبيبة المودعة في قصيدته البديعة « اغـرودة مستلذة » وقد اوحت اليه بها روءيته حمامة تغنى في شجى على اغصان دوحـة ، فراح يطارحها الشكوى والالم ، وفيها يقول :

حمامة هذا الغصن بالله رجعـى — فقد سكنت نفسى اليك ومسمعـى
خذينى الى الدوح الذى تعتبينـه — والا فخير العيش ان تنزلى معـى
خذينى الى الجو البعيد لعلنـى — اجاوز موجات الاثـير المشعشع
حمامة هذا الدوح والدوح مهجتـى — وفي المشرق العالى فوءادى واضلعى
تربعت ذاك الايك عرضا فليتـه — اريكتى العلياء او متربعـى
دعينى فلى تحت الغصون مناحـة — ولى فوقها تغريـدة المتفجـع
كلانا محب مستهـام مودع — حبيبا فيا وجد المحب المـودع
تعلمت منك الشعر والشعر نغمـة — تحرك اوتار الفـوءاد المقطـع
تعلمته اغـرودة مستلـذة — تذاب بانفاس وتجرى بادمعـى (٧)

وعلى مثل هذه الرقة جرى فى قصائده الوجدانية الاخرى واحبها قصيدته « في ذمة الخلود » التى يرثى فيها والدته رثاء مفجعا مبكيا ، والتى يقول فيها :

هذا سريرك لكن اين مثـواك — واين انت وماذا فـى مصلاك
مناحة شطت الاجواء وانطلقـت — تبكيك للملا الاعـلى وتنعـاك
ونكبة تركتنـا في محافلنـا — ما بين باكية العينين او بـاك
اماه اينك عند الصبـح مشرقـة — يفيض بشرا على الدنيـا محياك

---

(٥) مجلة العرفان ـ تشرين الاول ١٩٦٠ ـ ص ١٢١ ـ مقال للاستاذ خضر الصالحى
(٦) الادب الجديد ـ محمد جمال الهاشمى ص ٨٦ ، ٨٧ .
(٧) مجلة العرفان سالفة الذكر ص ١٢٨ ، ١٢٩

ما غاب مراك عن قلبي وعن بصري ملء الفؤاد وملء العين مرآك

ولا تقل قصيدته الوجدانية في الاحتفاء بام كلثوم عندما زارت بغداد في عام ١٩٣٢ ، روعة عن باقي قصائده ، فهي قصيدة تطفر فيها الفرحة ، وتتضمن عواطف منوعة وقد اختار لها بحرا قصيرا معبرا عن هذه الفرحة ، ومما جاء في القصيدة قوله :

تطلعت الى الجو وقلبي دائم الخفق
فابصرتك في السرب وشاهدتك في الافق
فمن سواك كالطير وهل انت من الخلق

★

اذا غنيت في الحب فغني باسم من اهوى
وان لج بك الشوق فبثيه مع النجوى
فما شكواك لليل ايصغي الليل للشكوى

★

على الشاطىء صداح هنيئا لك يا دجله
سارعى النجم للصبح واحيي الليل في الحفله
فأهلا ظبية النيل ومرحى جارة الرمله
وبوركت على السير وهنئت على الرحله

★

سلام ام كلثوم سلام انت مصباحي
لقد هيجت احزاني كما هيجت افراحي
فيا اغرودة الروح فاني لست بالصاحي
امن يسكر بالحب كمن يسكر بالراح

ويعطف في القصيدة على الحالة السياسية في مصر ، وبخاصة ما علمه من الفرقة في الحزب الكبير ويبدي اسفه وشجاه على هذه الفرقة ، ويرجو راب الصدع يقول :

عجبنا ام كلثوم من الحادثة الكبرى
لماذا انقسم الوفد ومن ذابيت الامرا
الا من يجمع الشمل الا من يطرد الشرا
خذي حذرك يا مصر وردي الكيد والمكرا

ولقد اطلنا الوقفة عند شعر باقر الشبيبي الوجداني ، لان هذا الشعر يرمي الى تهذيب العواطف ، وتحريرها واذا قويت العواطف الذاتية ، قويت العاطفة القومية بالتالي ، اجل ، اطلنا الوقفة ؟ تجاه هذا الشعر ، لانه حمل البذور الطيبة للوجدان الذاتي والعام ، واغنى الشعر القومي اى غنى .

وليس شك ان هذا الشاعر بشعره السياسي والقومي والوجداني الرقيق اثبت انه عانق عصره عناقا وثيقا ، وتفانى في حبه تفانيا كليا ، مما يجعله هو وتراثه جزءا حيا من تاريخ العراق القومي ، بل تاريخ بلاد العروبة كافة .

اطروحات الدكتوراه « في الغرب » وأثر الصهيونية

انور الجندى

(١)

عندما يستهل الدكتور زكى مبارك اطروحته الضخمة عن (النثر الفنى في القرن الرابع) التى قدمها الى جامعة باريس ونوقش فيها فى ٢٥ ابريل ١٩٣١ وطبعها بالعربية في القاهرة ١٩٣٤ يشير الى ذلك الصراع العنيف الذى وقع بينه وبين المسيو مرسيه استاذه في جامعة باريس والمشرف على الاطروحة فيقـول : (اما المسيو مرسيه فعالم واسع الاطلاع وهو رأس المستشرقين الفرنسيين لهـذا العهد ، وكانت له اراء مدونة عن نشأة النثر الفنى عند العرب ، وما كدت اصل الى باريس حتى هممت بمهاجمته ، فنصحنى المسيو ماسينيون وافهمنى انه رجل صب المراس وان منزلته في المعهد العلمى عظيمة ، وان المستشرقين جميعا يجلونه اعظم الاجلال ولكن كتب الله الا انتصح براى المسيو ماسينيون فابتدأت رسالتى التى قدمتها للسوربون بفصلين في نقض ارائه من الاساس فغضب الرجل وثار ، وصمم على حذف الفصلين بحجة انهما لون من الاستطراد لايوائم الروح الفرنسى في البحث وصممت على ابقاء الفصلين بحجة انهما العماد الذى تنهض عليه نظريتى في نشأة النثر الفنى ، وكانما عز على الرجل ان اهاجمه في عقر داره فمضى يعادينى عداءا خفيا كانت له اثار بشعة لا اتذكرها الا انتفضت رعبا من عجز الرجال عن ضبط النفس وقدرتهم على تقويض دعائم الانصاف . وقد قابلت خصومته بلدد اقسى واعنف ، ورايت الحرص على ارائى افضل من الحرص على رضاه ، فابقيت الفصلين اللذين اغضباه واضفت الى البحث الذى قدمته الى مدرسة اللغـات الشرقية فصلا كان اشار بحذفه لاننى هاجمته فيه وانتهينا الى عاقبة افصح عنها المسيو ماسينيون كل الافصاح اذ قال حين لقيته اخيرا في باريس « ان المسيـو مرسيه لا يحبك ولكنه لايستطيع ان ينساك »

وهذا الكلام يعنى ان زكى مبارك لم يستسلم لراى المستشرق مرسيه ولكن هل تحرر حقا من نفوذ الاستشراق . انه يقول في اكثر من موضع انه عارض نظرية اخرى كان يعتنقها الدكتور طه حسين ، ولكن الامر لم يلبث ان انكشف بعد ذلك عن تبعية خطيرة لراى لايقول به غير الاستشراق : ذلك هو ان القران من كلام محمد ، هذه هي القضية التى كشف عنها الدكتور محمد احمد الغمراوى عام ١٩٤٤ اى بعد طبع كتاب النثر الفنى بعقد من الزمان . وهى اشد قسوة من ذلك الخلاف الذى قام بين زكى مبارك وطه حسين او بين زكى مبارك ومسيـو مرسيه عن ان النثر الفنى عربى الاصل او فارسى التبعية . فان ما نجح فيه زكى مبارك لا يساوى شيئا امام ما انزلق اليه . ولكن زكى مبارك لايدع الفرصة تفوت

حين يكشف لنا عن ظاهرة هامة في اطروحات الدكتوراه في الغرب واثر المستشرقين فيها حين يقول في المقارنة بينه وبين طه حسين :

ذهبت انت (اى الى باريس) على نفقة الجامعة ومضيت انا متوكلا على الله فانفقت ما ادخرت من عرق الجبين ٠ واتصلت انت بالمسيو كازنوفا ففرض عليك آراءه فرضا ولم تكن رسالتك عن ابن خلدون الا نسخة من اراء ذلك الاستاذ ٠ واتصلت انا بالمسيو مرسيه ففرضت عليه ارائى فرضا ، واتصلت بينى وبينه الخصومة ، فآذانى ايذاءا شديدا ولكن قناتى ظلت صلبة واستطعت ان اقوض كبرياءه في عقر بيته وفوق كرسى السربون ٠ ولم تمر المعركة بلا غنيمة وقد وقف المسيو ماسينيون يوم اديت الامتحان وقال :

اننى حين اقرأ ابحاث طه حسين اقول هذه بضاعتنا ردت الينا ، وحين اقرأ ابحاث زكى مبارك اشعر بانى اواجه شخصية جديدة ٠

ويقول الدكتور محمد احمد الغمراوى في مناقشته لزكى مبارك : انه يرى قدم النثر الفنى عند العرب ناقضا راى المستشرقين الذين يرون بلاحق ان العرب لم تكن لهم ذاتية ادبية ، وانما اخذوا طرائق النثر الفنى من الفرس واليونان فهل رايت حمقا كهذا الحمق ، الذى يريد ان ينفى عن العرب تهمة اخذ النثر الفنى عن الفرس واليونان فلا يرى سبيلا لذلك الا ان يسلبهم القران كتابا من عند الله ليرده اثرا جاهليا يثبت لهم به ذاتية ادبية ، افترى هذا الرجل يرى القران من عند الله ام من عند العرب ، واذا كان من عند الله فكيف يمكن ان يثبت به للعرب ذاتية ادبية كالتى اراد وليس فيه لعربى منهم حرف وان كان اثرا جاهليا يثبت قدم النثر الفنى اى النثر الرسائل والكتب عند العرب ، فكيف يمكن ان يقول انه من عند الله ٠ ان هذا الرجل بين ان ينكر القرآن او ينكر نظريته في نشأة النثر الفنى كما يسمى فرضه الذى افترض ليس له عن احدهما محيص ٠

ويخطىء الدكتور زكى مبارك ويتابع المستشرقين في نظريته التى تقول : ان العرب كانوا ناهضين وكانوا ينتظرون من ينهض بهم فلما جاء الرسول ونهض بهم نهضوا وتلك نظرية استشراقية خطيرة تريد ان تلغى عظمة النبوة والوحى ، واثر الاسلام في تغيير المجتمع العربي القديم وهى تنكر ما واجه المشركون به الرسول من معارضة ومقاطعة وحرب خلال ثلاثة عشر عاما وبعد ذلك في المدينة (بدر واحد والخندق)

– ٢ –

كان الدكتور منصور فهمى من اوائل المبعوثين الى الجامعات الاوربية ، فقد سافر الى باريس عام ١٩٠٨ حيث اعد اطروحة الدكتوراه التى اشرف عليها المستشرق اليهودى : « ليفى بريل » حيث فرض عليه موضوع (حالة المرأة في التقاليد الاسلامية وتطوراتها)

وقد طبعت هذه الرسالة في باريس عام ١٩١٣ ولم تنشر باللغة العربية حتى اليوم لانها واجهت منذ مناقشتها معركة خطيرة ، واثارت سجالا عنيفا ، وقد

اضطر الدكتور منصور فهمي بعد عودته الى الاحتجاب حتى عام ١٩٣٠ وكان مقيما في قريته يكتب فصولا في الاهرام تحت عنوان (خطرات نفس) ٠

وقد تناولت جريدة المؤيد امر هذه الرسالة بالمناقشة وكتب محمد لطفى جمعة فصولا مطولة في الرد على ما اثاره منصور فهمي من نقد لصاحب الرسالة الاسلامية صلوات الله عليه ولكن الدكتور منصور فهمي سرعان ما صحح موقفه وكشف عن مدى التغرير الذى اوقعه فيه المستشرق اليهودى (ليفى بريل) ٠

– ٣ –

اشار الدكتور محمد مندور في حديث له اشبه بالاعترافات الى اثر الاستشراق العربى في توجيهه وفرض منهج خاص عليه يخالف اصول العلم ومناهج البحث الصحيح[1] : يقول في اول عهدى بباريس كنت اتناول الغداء على مائدة سيدة عجوز مع نفر من الشبان والشيوخ الفرنسيين وبعض الاجانب ، وكان بين الفرنسيين رجل جاوز الخمسين يعمل وكيلا للمحافظة ، واكبر ظنى انه ينحدر من اسرة كبيرة من الاسر المحافظة ولقد علمت انه ابتلى الحياة وابتلته بهمومها الثقال فتحملها في بطولة ، ولقد خرج من نشأته وملابسات حياته بفلسفة قوية تقوم على مبادىء الاخلاق الصارمة كما تقوم على الاعتداد بكرامة الانسان وقدرته على توجيه الحياة واخضاعها لارادته ٠

وفي احد الايام اخذ يبسط مبادىء فلسفته التى ذكرتها في حرارة المؤمن فدهشت ، واخبرته بان مبادىء الاخلاق التى يتحدث عنها ما هى الا (ظواهر اجتماعية) تملى على الافراد دون ان يكون لهم دخل في بنائها او فضل في الايمان بها ، كما اخبرته ان ارادة الانسان الحرة التى يعتز بها ليست الا وهما لان الفرد لايملك لنفسه شيئا ، انما هو مسير بغرائز وقوى دفينة ٠

وما ان سمع الرجل منى هذا الهراء حتى انتفض كالاسد واستند بمرفقه الايسر على المائدة ليلتفت الى متحدثا فى غضب : غضب الاستعلاء وسالنى من اى بلد اتيت يابنى ؟ قلت : من مصر : قال : ماذا يصنع ابوك في مصر قلت : يزرع الارض ٠ قال : اوصيك مخلصا ان تعود الى بلدك لتحرث الارض مع ابيك ، هذا اجدى عليك وعلى وطنك مما تتعلمه او تظن انك تتعلمه هنا من هراء ٠

فتماسكت مهموما وقلت : ولكن هذه يا سيدى هى الاراء التى سمعتها من اساتذة السربون في علم النفس وعلم الاجتماع ٠

فاجابنى : من انبأك ان هؤلاء الاساتذة يفهمون شيئا عن حقائق الانسان ٠ اتظن ان حقائقنا البشرية من اليسر بحيث تصاغ نظريات او يكشف عنها التفكير المجرد ، ثم من قال ان التفكير الفرنسى يمثله ذلك النفر من اليهود الذين يزعمون انهم اكتشفوا قوانين الانسان ، عندما زعم كبيرهم (دركايم) ومن خلفه ليفى بريل وموسى وفوكونيه ومن تبعهم من ان الانسان حكمه حكم المادة ، وان هناك ما يسميه هؤلاء الحمقى (وعيا اجتماعيا) تتمخض عنه الحياة العامة كما يتمخض الناتج الكيماوى عن مزيج من العناصر ٠

---

[1] الرسالة : ٢٥ سبتمبر ١٩٤٤

احذر يا بنى ان تؤمن بما يقولون ، فليس صحيحا ان الرجل المهـذب لا يستطيع ان يصل الى قيادة شخصية يهتدى بها الى مواضع الخير والشر ، والبطولة والخسة بنفسه ، كما تهتدى الطيور الى اوكارها ، وليس صحيحا ان قواعـد الاخلاق ، ليست الا ظواهر اجتماعية ، لايستطيع في علاجها شيئا وكل ما يجب علينا عمله هو ان (نرصدها) كما يفعلون لنستخرج منها قوانين عامة ، هـذا يا بنى وهم ، بل خداع مبطلين ، ثم اذكر اننا في مجال المعرفة بالانسان ليس لنا الا هدف واحد ، هو ان نصبح خيرا مما نحن .

فبالله ، هب ان هذا الهراء حق فاى فائدة ستجنى منه الانسانية ، انا افهم ان نكشف عن قوانين المادة ، لنسيطر عليها ونسخرها في مرافق حياتنا ، ولكن الانسان ما شأنه بالقوانين ، ومن قال ان الانسان مادة فحسب ، وهب انه كان مادة ، وان الروح لم يكن لها وجود ، وانها تفنى بفناء المادة كما تنعدم النغمات ويتحطم الناى . اليس من الخير ، بل من الواجب على الانسانية ان ترفض علما كهذا لن ينتهى الا بتحطيم حياتنا وشل ارادتنا وتقويض دعائم الهيئة الاجتماعية التى نحيا بينها .

ويقول الدكتور مندور : هذا هو الدرس القاسى ، الدرس الصارم النافـع الذى تلقيته عن الشيخ في مستهل حياتى رويته اليوم راجيا ان تتدبره شبيبتنا الناهضة ، رويته لاننى وجدت طلابنا يروون اصطلاحات علمية عن دوركايـم والعقل الجمعى لايحسنون فهم مدلولها ، فهم الناقد المستنير .

يا بنى : ليس هناك عقل جمعى كما زعمت او زعم لك دور كايم وانما هنـاك عقل فردى ، هناك ارادة حرة ، ارادة يجب ان تستيقظ في القلوب وانما هناك نشاط حر ، نشاط لايعرف الياس ، كم احزننى من شاب مثلك ان يقول بقيام قوانيـن تقف دون ارادة هذه الامة فتردها عن اهدافها ، آمن بان النشاط الانسانى حر وان ارادتنا لابد اتية على كافة المصاعب دون ان يقف امامها عقل جمعى او قوانـين اجتماعية ولكن الدكتور مندور الذى هاجم المدرسة الاجتماعية اليهودية ، لـم يلبث ان سقط صريعا لمفهوم اخر غادر كان الاستشراق مصدره حين سيطر عليه وذلك حين يقول ان الثقافة العربية هى مزيج من عناصر ثلاثة : (العنصر العبرى ، والعنصر الفارسى ، والعنصر اليونانى)

ثم يقول (ان في القران وفي الاسلام ما لايحصى من مبادىء التوراة وقصص التوراة واصول التوراة التشريعه ، وفي الحضارة العباسية كثير من وسائـل الحياة الفارسية ، بمظاهرها المادية وتياراتها الاخلاقية والفكرية في بعض الاحيان، اما اليونان فاظن ان تاثيرهم فى الفلسفة الاسلامية والمنطق الاسلامى وعلم الكلام واللغة والنحو والبلاغة اوضح من ان يذكر)

ولاريب ان هذا القول كله نسخة منقولة من الفكر الصهيونى الحديث الذى حاول ان يسيطر على مجموعة من شبابنا المثقفين الذين تعلموا فى الغرب ، ولقـد مضت كلمة مندور هذه في حينها دون ان يرد عليها احد مع ما تحويه من خطـورة شديدة وزيف كثير ، فمن قال ان الثقافة العربية لم تكن وليدة الاسلام والقران

اصلا ، وان ما يتصل بالتوراة والكتب المقدسة أمر اخر لم يكن يعرفه العرب اذ ذاك فضلا عما وضع من دراسات في نقد هذه الكتب والكشف عن تعارضها واضطرابها ومائبت من انها من وضع كتاب من بنى الانسان خلافا للقران الذى هو النص الموثق الذى لم يجرؤ احد ان ينسب اليه وضعا والذى ما زال يتحدى البلغاء في كل عصر وبعد اربعة عشر قرنا بان ياتوا بسورة من مثله او آيه من اياته

اما العنصر الفارسى والعنصر اليونانى فان الفكر الاسلامى قد اتصل بهما في مرحلة الترجمة ثم تحرر منهما وزيف كثيرا مما لا يتفق مع منهجه الربانى التوحيدى ٠

ولكن هكذا تساق النصوص التى تلقى لتفسد مفهومنا الصحيح وانه ليحق لنا ان نقول ان طليعة الذين ذهبوا الى اوربا في هذه الفترة قد وقعوا فى ايدى المستشرقين اليهود وابرزهم : ليفى بريل ، دوركايم ، والاخرون امثال كازانوفا وماسنيون ومرسيه كانوا اشد قسوة على الاسلام من الصهيونيين او كانوا ممهدين لهم وذلك ضمن خطة الاحتواء التى بدات السيطرة الصهيونية العالمية على دوائر المعارف وتزييف المصطلحات الخاصة بالعرب والاسلام والقران واللغة العربية وابرهيم واسماعيل ٠ ولعله مما يثير العجب ان تعلو الصرخة عام ١٩٢٦ وقبل ان تكشف مخططات الصهيونية العالمية باعلان اسقاط ابرهيم واسماعيل من التاريخ الحقيقى للامة العربية ، هذا الاسقاط يؤكده صاحبه ويتحدى به حتى ذكر ابرهيم واسماعيل في التوراة والقران ويرى أنه بالرغم من ذلك فان وجودهما ليس من الحقيقة العلمية في شىء ، ولقد ذهب الناس في فهم هذا التحامل الخطير مذاهب ولكن احدا لم يفهم حقيقة الهدف الذى تبين بعد ان نشرت بروتوكولات صهيون ومذكرات كثيرة من ان الصهيونية تحجب احد ابناء ابرهيم وهو اسماعيل جد العرب وتوءكد اسحق حتى تجعل ميراث ابرهيم كله قاصرا على ابناء اسحق وتلك خطة مريبة كانت خافية على المسلمين والعرب في هذا الوقت البعيد ولكنها كانت واضحة لصاحب كتاب الشعر الجاهى : ابرز رواد الفكر العربى وتلميذ دور كايم البكر ، الذى كتب تحت اشرافه رسالته عن ابن خلدون فأسف وتحامل على الرجل العظيم فخر المسلمين والعرب والذى اشادت به مئات الدراسات ونسبت اليه الفضل الاولى فى انشاء منهج علم الاجتماع ومنهج البحث التاريخى ٠

لقد عرف الادب العربى في العصر الحديث ارهاصات كثيرة للصهيونية كان في مقدمتها الحملة على اعظم رجلين في الادب العربى : المتنبى والغزالى ومن المدهش ان هذه الحملة اعلت من شان شعوبيين كثيرين : فلماذا ، ذلك ما سوف احدثك عنه بعد ٠

القاهرة انور الجندى

التخيل الأدبي من الوجهة النفسية

الدكتور احمد حسن الرحيم
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

- تتمة -

التخيل الوهمي Fancy

يقصد به ان يدل على اشياء وهمية اى غير موجودة وانما يخترعها اصحابها من تصوراتهم الخاصة . من ذلك ما قيل عن السعالي والعفاريت الطيارة وغيرها .

وقد جاء في بعض كتب الادب العربى ان قبيلة عمرو بن يربوع من ولد السعالى وذكروا كذلك ان قبيلة جرهم من ولد الملائكة .

وزعموا ان الجن تقول الشعر ومن شعرها في ركوب الجنادب قولها :

وكل المطايا قد ركبنا فلم نجد الذ واشهى من ركوب الجنادب

وزعموا ان عمر بن الخطاب صارع جنيا فصرعه وان الامام على قاتل الجن في معركة ضارية تسمى معركة «ذات العلم» الى اخر هذه التصورات الظريفة . ولعل النفس الانسانية تجد فيها متعة او تتخذ منها امثالا ادبية عند نقلها الى مواقف الحياة .

قيمة التصوير الادبى

من الضرورى من جهة فنية الا تكون الصور الادبية صورا للتصوير ذاته ، من دون ان يكون وراء ذلك غاية فنية اعمق من تصوير الشىء لاظهاره في صورة صغيرة مكثفة فمن الضرورى ان يكون وراء التصوير غرض قيم يقصد اليه الشاعر لينقله الى نفس القارىء او السامع . ومع ان الشعر في عصرنا هذا قد اصبح - فى الغالب - للقراءة لاللانشاد الجماهيرى كما كان سابقا وقد ضعفت صفته الخطابية لهذا السبب واصبح الاهتمام بالصور الشعرية اقوى مما كان سابقا حين كان للاهتمام بقعقعة الالفاظ وقع خاص في الانشاد مع كل هذا فليس من صفات الادب السامية ان يكون التصوير للتصوير نفسه كقول الشاعر :

وامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

فقد ابلغنا الشاعر ان الدموع تشبه اللؤلؤ وان العيون تشبه النرجس والخدود تشبه الورد والشفتين تشبهان العناب . وكل ما فى الامر ان شيئا من الاشياء يشبه شيئا اخر فلا تنسوا هذا . ومثل هذا البيت في الاتيان بالتشبيه للتشبيه ذاته قول ابن المعتز (٨٦١-٩٠٩م)

(*) نشرت الحلقة الاولى من هذا البحث في العدد الثالث (اذار ١٩٧٥) ، السنة التاسعة .

كـــأن آذريونهـــــا غب سماء هاميـــه (١)
مداهن مـــن ذهـــب فيها بقايا غاليـــه

فقد علمنا من الشاعر ان زهر الاذريون اذا ابتل بالمطر تألقت الوانه وصار يشبه مدهنة ذهب فيها بقايا من عطر الغالية ٠

ولا اعلم ما حاجتنا الى العلم بهذا ٠ وقد استفاد النقاد من هذا البيت فائدة لم يقصد اليها الشاعر وهى تأثر الادب ببيئته فلأن ابن المعتز من بيئة غنية وهى بيئة الخلافة فقد شبه بما هو متوفر فى بيئته من نفائس القصور المترفة ولـو اراد وصف الاذريون شاعر فقير كابن الرومى لكان له في ذلك شان اخر ٠ وقـد يقول قائل ان هذه التشبيهات لاتخلو من قيمة فنية فطالما رأينا في معارض الرسم صور اوراد او حيوانات او اشياء اخرى فتثير فينا سرورا ومتعة ولكنها في اول درجات السرور والمتعة الفنية ٠ اما اذا امتازت الصورة بجرتها ودقتها في اظهار الخصائص وفي الايماء الى هدف جيد فقد حازت على نواح فنية قيمة ٠

الصورة في المذاهب الادبية

١ ـ الصورة في المذهب « الكلاسى » او الاتباعى

يعتمد المذهب « الكلاسى » او الاتباعى على الفكرة الصائبة واتباع الاوائل في السبك وحسن التعبير ويعمد الى الصورة لاظهار ما يطمح اليه من توضيـــح الفكرة او العاطفة

فالصورة وسيلة لتبيين اوجه اتفاق او اختلاف بين شيئين او اشياء كثيرة ٠ وحيثما وجد هذا النوع من الادب فان الصور البيانية ذات مركز ثانوى فيـــه ففى رأى الكلاسيين ان الفكرة الصائبة وقوة البيان واثر الموسيقى انفـــذ الى النفس من الانبهار بالصور البيانية ٠

وهذه هى نظريتهم في نفسية الادب ٠

٢ ـ المذهب الرومانسى

يرى اصحاب المذهب الرومانسى ان الصورة وسيلتهم البيانيـــة الاولى في التأثير النفسى فهم يعتمدون التصوير ويستندون اليه في اثارة الفكرة والعاطفـة والتمتع الفنى ٠ وعندهم ان الصورة ظهارة العمل الادبى لابطانته وهى في رأيهـم صالحة لكل انواع التعابير المدحية والهجائية والوصفية ، وغير ذلك وهذا هـــو مبدؤهم في نفسية الادب وتحليل تأثيره في الناس ٠

من ذلك هذا المقطع من قصيدة ميخائيل نعيمة :

اخى ان ضـــج بعد الـــحر ب غربـــى باعمالـــه
وقدس ذكـــر من ماتـــوا وعظـــم بطش ابطالـــه
فلا تهـــزج لمـــن سادوا ولا تشمت بمـــن دانـــا
بل اركع صامتـــا مثـــلى بقلـــب خاشـــع دام
لنبكـــى حـــظ موتانـــا

(١) الاذريون : زهر اصفر في وسطه خمل اسود وليس هو بذى رائحة طيبة
السماء الهامية : الممطرة ٠ الغالية ٠ اخلاط من المسك والعنبر

ففى هذه المقطوعة صور الشاعر الرجل الغربى منتصرا يتبجح باعماله وبطولات جيوشه · وصور الرجل العربى خاشعا صامتا يبكى بلا دموع حظ من ماتوا من قومه في تلك الحرب الطحون ·

لم ماتوا ؟ وعن اى مصالح دافعوا ؟ وما ذا كانت حصيلة كل ذلك الدفاع والقتال ·

تصوير مفجع كئيب لمن قتلوا من دون ان يعلموا غايتهم وقد رزىء الاحياء بفقد اهليهم من دون ان يكون لهم في تلك الحرب غاية معروفة او نتيجة مثمرة ·

٣ ـ الرمزيون السرياليون

هؤلاء يكثرون من الصور الغامضة التى تحتاج الى مشقة في التفكير لفك رموزها وهمهم او رأيهم في كل ذلك التعبير عن وحدة الاشياء وان كانت متضادة فى عرف الناس · فعندهم ان الفضيلة تساوى الرذيلة والحسن يساوى القبح والاشياء سواء وان اختلفت فى تقييم غيرهم · وطالما وردت في اشعارهم اوصاف للعاهرة الطاهرة والقبيح الجميل الخ ·

ففى قصة (دوماس الابن) المعروفة ب (غادة الكاميليا) تصوير لامرأة فاجرة يدفع بها المؤلف الى مصاف النساء الطاهرات لانها اقدمت على تضحية كبيرة لا يقدم عليها الا الاشراف ·

وتعليل مذهبهم ان الاشياء لا تستمر في طبيعة واحدة فطالما نتج الخير عن الشر والشر عن الخير وطالما حسنت الاشياء القبيحة وقبحت الاشياء الحسنة · وان القلب الذى يحب الوجود كله يعجب بالوجود كله · ولا يمايز بين الناس ولا الاشياء بل يغمرها جميعا بحبه وتقديره واعجابه ·

٤ ـ المذهب الواقعى والصورة

المذهب الواقعى لا يشجع الخيال المغرق ولا يطلب تصوير الواقع به لان في الخيال المغرق مبالغة لايقبلها المذهب الواقعى الذى يصور الاشياء كما هى ، ولكن هذا المذهب يريد تصوير الاشياء او تصوير ما تنطوى عليه الاشياء من اسس كما هي او على حقيقتها وواقعها ولا يرى في التزيد الخيالى ضرورة يدعو اليها الادب الحق ·

التخيل والابتكار وتعليلهما فى التراث العربى

شغف الادباء والشعراء العرب بالصور الادبية وجاء ادبهم مكتظا بها · وفى الشعر العربى قديمه وحديثه بصورة عامة صور فنية رائعة قل ان تجد لها نظيرا فى الاداب الاجنبية قديمها وحديثها ·

فقد وصف احد البداة حمارين وحشيين في الصحراء يركضان في ارض رخوة تثير غبارا ثم يصلان الى ارض صلبة لا تثير غبارا ثم يبلغان ارضا رخوة ثم ارضا صلبة وهكذا فقال يصف منظرهما هذا الوصف الدقيق :

يتعاوران من الغبار ملاءة ... بيضاء واسعة هما نشراها
تطوى اذا وطآ مكانا محزنا ... واذا السنابك اسهلت نشراها(١)

(١) احزن اي دخل في الارض الحزن وهى الصلبة واسهل اى دخل في الارض السهلة وهى الدمثة اللينة ·

فقد صور كل حمار منهما في ركضه وشبه ما يثيران من غبار بينهما بالملاءة البيضاء فهما يتعاوران هذه الملاءة فهي عند احدهما مرة وعند الاخر مرة اخرى حسب طبيعة الارض التي يركض فوقها وهي تنشر وتطوى اثناء ركض هذين الحمارين في ارض فيها مواضع ترابية ومواضع صلبة تحتمل ضرب حوافر الحمارين من دون اثارة غبار ·

وقد انتبه العرب القدامى الى مقدرة الشاعر على التخيل وابتكار المعاني ونظمها في قوالب موسقة من الالفاظ فعللوا ذلك بانه من قرين غير مرئي هو شيطان الشعر · اما ذو المقدرة الابتكارية غير الشعرية فله قرين من الجن ولهذا فقد دعي بالعبقري وعبقر واد تسكنه الجن على زعم العرب ·

وقد ورد ذكر شيطان الشعر على السنة الشعراء · وادعى بعضهم لشيطانه القوة والبطش بصورة خاصة قال ابو النجم الرجاز المشهور :

اني وكل شاعر من البشر   شيطانه انثى وشيطاني ذكر

وقال اخر :

اني وان كنت صغير السن   فان شيطاني كبير الجن

ثم زعموا ان بعض الشياطين يصيبه الصرع كما يصيب البشر قال احد الشعراء وهو دعلج الحكم :

وكيف يفيق الدهر كعب بن ناشب وشيطانه عند الاهلة يصرع

وقد قال الاعشى في شيطانه مسحل :

دعوت خليلي مسحلا ودعوا له   جهنام جدعا للهجين المذمم

وزعموا ان هميما شيطان الفرزدق هو خال مسحل شيطان الاعشى ·

والبلاغيون في العربية كالسكاكي والجرجاني وابن الاثير تكلموا في الصور الشعرية وبينوا قيمتها واثرها ومراميها كما نقدوا الانواع الرديئة منها · وهذا شيء مفصل في كتب الادب والبلاغة ولا ضرورة للاسهاب فيه · وقد تناوله المختصون وغير المختصين ومن ادق ما ذكر في موهبة التخيل والابتكار في التراث العربي ما جاء في كتاب « الامتاع والمؤانسة » لابي حيان التوحيدي · قال ابو حيان نقلا عن ابي عباس انه قسم الناس في العلم على ثلاث درجات فواحد يلهم فيعلم فيصير مبدأ والاخر يتعلم ولا يلهم فهو يؤدي ما قد حفظ والاخر يجمع له بين ان يلهم وان يتعلم فيكون بقليل ما يتعلم مكثرا بقوة ما يلهم(٢) وقال كذلك ابو حيان التوحيدي نقلا عن احد الفلاسفة: ان الدماغ ينقسم على ثلاثة اقسام يحجز بينها اغشية احدها في مقدم الرأس وهو موضع التخيل والثاني في وسط الرأس وهو موضع العقل والفكر والتمييز والثالث في مؤخر الرأس وهو موضع الحفظ والذكر والقبول فكل واحد مما ذكرنا يخدم الاخر واعتدالهن وسلامتهن قوام

---

(٢) التوحيدي ابو حيان ، الامتاع والمؤانسة تحقيق احمد امين ، مطبعة لجنة التاليف والنشر والترجمة القاهرة ١٩٣٩ ، ج٢ ص ٤٣

البدن والنفس (٣) . فقد تعين مما ذكره ابو حيان اصناف الناس من حيث مقدرتهم على التخيل ، فاولهم الملهم وهو الرائد المبتكر ثم الذى ليس على حظ من الابداع او الابتكار ولكنه يتعلم ما علم فيعيده كما كان اما الثالث فهو ذو حظ من الابتكار ومقدرة على التعلم فيجبر قليل ما تعلم بما اوتى من مقدرة على الابداع فينشىء مما تعلم اشياء مبتكرة بفضل مزاوجته بين التعلم والتخيل اما ما ذكره ابو حيان من تعيين لمواقع العقل والتفكير والتذكر والتخيل فهى مواضع في العقل لم تقل فيها الكلمة الفاصلة لحد الان ، والمعروف علميا ان العقل يعمل وحدة متكاملة لا اجزاء متفرقة

التخيل في النقد الادبي

وقد ورد التخيل في فلسفة الكندى وابن سينا وجعلوا له منزلة قيمة بين مذاهب الانسان .

اهتم النقاد في تقييم الصور الادبية من تشبيه على انواعه ومن استعارة ومجاز وكناية لكى يعرفوا ما للاديب او الشاعر من حظ في اصابه الغرض الذى رمى اليه ثم قاسوا كل ذلك باطار بيئته وثقافته . فللصور الشعرية في النقد مكانة بارزة يبلغها الناقد بعد ان يتاكد من سلامة اللفظ والوزن وهما في المرحلة الاولى من النقد . وقد ورد في كتب الادب والبلاغة قصص متفرقة فيها شذرات من النقد كما الفت في ذلك كتب خاصة تعالج هذا الموضوع القيم . فقد أستهجن النقاد الصور المغرقة في المبالغة منها قول احد الشعراء .

نحلت حتى صرت لوزج بى ... فى مقلة الوسنان لم ينتبه
وكان لى قبل الهوى خاتم ... واليوم لو شئت تمنطقت به

وقال احد الشعراء فى المعتصم وقد نظم المعتصم فارسين برمحه في طعنة واحدة في احدى المعارك فقال فيه ابو تمام وهو من مستهجن المبالغات والصور .

لو كان طول قناته يوم الوغى ... ميلا اذن نظم الفوارس ميلا

ويقال ان احد النقاد الظرفاء ذهب الى دار ابى تمام ايضا ومعه كاس فلما **طرق الباب وخرج ابو تمام قدم اليه الكاس وقال ساخرا ارجو ان تملأ لى هذه** الكاس من ماء الملام الذى ذكرته بقولك :

لا تسقنى ماء الملام فاننى ... صب قد استعذبت ماء بكائى

فقال ابو تمام لا افعل حتى تأتينى بريشة من جناح الذل الذى ذكرته الاية الكريمة .

واخفض لهما جناح الذل من الرحمة .

وقال ابو العتاهية انشدت النظام بيتا هو :

اذا هم النديم له بلحظ ... **تمشت في محاسنه الكلوم**

فقال النظام ان حبيبة الشاعر رقيقة جدا يخشى عليها من النظر ويلزم **الا يجالسها الا رجل اعمى .**

هذه القصص وغيرها وضعت تخيلات الشعراء على المحك وميزت جيدها من رديئها . واسمحوا لى ان اذكر بيتا للمعرى قاله عن نفسه وهو :

---

٣ – المصدر السابق نفسه ص ٤٢

وانى جواد لم يحل لجامـــه وسيف يمان اغفلتـــه الصياقل

وعندى ان هذا البيت من الاستعارات الرديئة المحطة من قدر صاحبها فقد جعل المعرى من نفسه جوادا ملجما بصورة دائمة استعدادا للمعارك في ما يستنتج وليس المعرى من اهلها ، وعندى كذلك ان بيت المتنبى مصيب اذ قال :

ولولا احتقار الاسد شبهتهم بهـــا ولكنها معدودة في البهائم

ومن التشبيهات الرديئة من اشعار الجاهليين قول عنترة العبسى في جواده الطعين :

يدعون عنتر والرماح كانهـــا اشطان بئر في لبان الادهـــم

وتشبيه الرماح المغروزة فى صدر الجواد بالحبال تشبيه فاشل لان الرماح تكون صلبة ثابتة والحبال رخيه متدلية ٠

ومثله عندى في الرداءة قول شوقى في ابى الهول

تهزأت دهرا بديك الصبـــاح فنقـــر عينيـــك في ما نقـــر

اسال البياض وسل الســـواد واوغل منقـــاره في الحفـــر

وقد حرت في معرفة ديك الصباح فان كان اراد به الزمن وتأثيره في الحجارة فكيف جمعه في بيت واحد مع الدهر ٠ ثم متى تهزأ ابو الهول بالدهر واظهر لـــه سخريته وازدراءه ليقال له تهزأت بالصباح دهرا وما الجامع بين ديك الصبـــاح وبين الدهر ليوءتى به عوضه ٠

ان في الادب كثيرا من التخيلات التى اكسبته مجاله ووسعت من افقه وهى غير خفية على الناقد المتأمل ٠

مصادر البحث

أ ــ المصادر العربية

١ ــ اسماعيل ، عز الدين ، التفسير النفسى للادب ٠ دار المعارف القاهرة ، ١٩٦٣

٢ ــ الجرجانى ، عبدالقاهر ، دلائل الاعجاز ، تعليق وشرح محمد عبدالمنعم حفاجى مكتبة القاهرة ، ١٩٦٩

٣ ــ خير الله ، سيد ، علم النفس التعليمى ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٣

٤ ــ فهمى ، ماهر حسن ، المذاهب النقدية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢

٥ ــ القزوينى ، جلال الدين بن عبدالرحمن ، التلخيص في علوم البلاغة ، ضبط وشرح البرقوقى ، دار الكتاب العربى ، بيروت ،

ب ــ المصادر الاجنبية

1. Vernon, M.D., The Psychology of Perception, Penguin Books, U.S.A., 1966.
2. Wiseman, Stephen (Editor), Intelligance and Ability, Penguin Books, U.S.A., 1967.

عبدالله نيازي والفن القصصي

الدكتور عمر الطالب

من الكتاب الشباب[١] الذين يعالجون كتابة القصة ٠ وهو من المكثرين في الانتاج القصصي الا ان قصصه يعوزها التأثير في القارىء في بداياته وهو يسرد احداثا ، ولكن هذا السرد لا يثير القارىء او يجذبه وهو اكثر نجاحا في القصة القصيرة منه في الرواية ٠

ونيازي غامض الاتجاه مبهم الميول تتجاذبه رواسب عديدة متباينة اظهرتها كتب المنفلوطي والزيات والف ليلة واشرطة السينما ٠ تعور اسلوبه ديباجة مشرقة ، تركيب سليم لا يخلو من بعض الاخطاء اللغوية والنحوية وقد ينتوي الافصاح[٢] ٠ واشد مايظهر ذلك في كتابه « همس الايام » الصادر عام (١٩٤٩) في اقصوصة « لما يعد » يصور شابا يتردد على بيت عمته ٠ وقد نشأ بينه وبين ابنتها حب لم يستطع البوح به ٠ وكانت ابنة عمه شغوفة بقطة تسبغ عليها كل الحب ٠ نمنى الفتى لو حل القطة ٠ لكن الفتاة تتزوج من ابن عم لها ويقطع البطل علاقته بها ٠

والاقصوصة فاشلة ، فعاطفة الحب عند الفتى غير واضحة ٠ (انه كان أسيرها وحبيبها دون أن يشعر بذلك او دون ان يدري هو أنه كان أسيرها) ٠ ولا يصح ان يكون حبيبا وهو غير عارف بأسره ٠ وليس من سبب يدعو الكاتب الى تحليل سبب انصراف عناية الفتاة الى قطتها ، وأطالته في تصوير حياة الفتى ٠ كما اورد جملا تليق بمقال لا بأقصوصة[٣] كقوله : (وليس هناك ما يدعو الى الوصف فيه[٤]) ٠ (ولو اننا نعلم شيئا من ذلك لما عجزنا عن وصف شعورها وما تخفيه في قرارة نفسها)[٥] ٠ (ولو اننا نختلق الاشخاص لما عجزنا عن اختلاق الحوادث لنحشرها حشرا سواء لاءم الفن القصصي ام لم يلائم)[٦] ٠

---

(١) ولد عام – ١٩٢٦ – ودرس في المدرسة الابتدائية ولكنه لم يعط الفرصة لاتمام دراسته الثانوية واشتغل في الدوائر الحكومية ولكن رغبته في ان يكون كاتبا ساقته الى الجد والاكثار في المطالعة ٠ وقد قرا لعدد كبير من القصصيين العرب والاجانب وهو معجب بنجيب محفوظ من القصصين العرب وتشيخوف من القصصيين الاجانب واصدر سبعة كتب قصصية بالاضافة الى الاقاصيص والمقالات التي نشرها في الصحف والمجلات العراقية والعربية ٠ عن داؤد سلوم (تطور الفكرة والاسلوب في الادب العراقي) ص ١٣٩ اشغل منصب مدير التاليف بوزارة الاعلام ثم نقل الى وظيفة مدير دار الكتاب العراقي في القاهرة ٠

(٢ ، ٣ ، عبدالقادر حسن امين ، القصص ص ١٥٥ ، ١٥٦

(٤) عبدالله نيازي – « همس الايام » ص ١٢ ٠

(٥) المصدر السابق ص ١٣ ٠

(٦) المصدر السابق ص ١٧ ٠

وعبارته ضعيفة والسرد عنده متكلف وقد يحار القارىء احيانا في ادراك ما يرمي اليه الكاتب(٧) . وشغلت من تفكيره وقتا قد يطول اذا كان الشخص ممن تمجه النفس ويقصر اذا كان ممن تتلهف اليه النفس ويهفو اليه الفؤاد)(٨) ولا تخلو اقصوصته (فوضى المقاييس) من طرافة ، وهو فيها يريد السخرية من المسؤولين حيث يعينون دكتورا في الفلسفة مديرا في وزارة الاشغال وحامل دبلوم في الرسم ملاحظا في وزارة المعارف . ولكنه شط عن ذلك وحدثنا عن حياة زميلين في المدرسة الابتدائية فرق بينهما الدهر ثم جمعهما في السوربون .

وفي (الشمس الآفلة) فتاة تحسن الرسم . ترسم لحبيبها الشاعر لوحة تقدمها هدية له بمناسبة فراقهما . يقفز ساعة الوداع من القطار ليبقى الى جانب حبيبته اذ لم يطق البعاد عنها . ولكن الكاتب لم يحسن تصوير عواطف البطل الثائرة ، الذى يذرف الدموع ساعة الوداع وهذا لا يتفق وعواطف رجل يريد ان يرتفع في عيني من يحب(٩) .

أبطال عبدالله نيازي في هذه المجموعة رومانتيكيون ، تؤلمهم الحوادث وعلاقات الغرام ولا تكتفي هذه الحوادث بأيلامهم وانما تساعدهم على الاختفاء او الانتحار(١٠) . في «همس الايام» كان البطل ضائعا معدما . (حتى عثر عليه في يوم وهو جثة هامدة يحوم حولها الذباب ويطن .. فحمله ابن سبيل ، اوسع له حفرة في احد المقابر والقاه مع ملابسه ووارى عليه التراب) .

وحتي اذا لم يلفه الموت فهو في عداد الاحياء الاموات . (وكثيرا ما كان يشاهد وقد اهمل نفسه وطالت لحيته في ساعة معينة يقصد النهر ويظل هنالك حتى تتوارى الشمس وراء الافق وينشر الليل سدوله ويخيم الظلام فيكر راجعا الى البيت وما يستطيع احد ان يكلمه بحرف) .

قصص الكاتب في مجموعته « همس الايام » رومانسية وابطاله من الالهة الذين يدينون بقوانين غير قوانيننا . وسلطان الحب عليهم اقوى من اي سلطان . (١١)

وفي مجموعته الثانية « شجن طائر » يحاول الكاتب ان يفلسف حديث ابطاله وان يعطي شيئاً من الحوار كلما عرض صورة او اوضح فكرة . في « شجن طائر » عمد الى الرمز في موضوع لا يحتاج اليه ، حيث يقدم الطائر نصائحه للكاتب يستخلصها من نظرته الى الحياة . (١٢)

(ان كل نفس مشغولة بنفسها والحكيم هو الذى لاينتظر المعونة من احد كائنا من كان ومهما كان الطلب بسيطا ... انهن لا يساوين العذاب مهما كان قليلا لان الانثى لا تتخلى عن خداعها ....) .

ويتاهر فيها تاثير « كليلة ودمنة » غير ان القاص يستهدف منها عرض بعض

---

(٧) عبدالقادر حسن امين ، القصص ص ١٥٧

(٨) عبدالله نيازى همس الايام ص ٢٤ .

(٩) عبدالقادر حسن امين ، القصص ، ص ١٥٧ .

(١٠ ، ١١ ، ١٢) داؤد سلوم (الادب المعاصر في العراق) ص ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ .

ارائه في الحياه . كما هو شأنه في بقية اقاصيصه . ويبدو تأثير الف ليلة في اقصوصته « الربوة المنعزلة » حيث تظهر الحبيبة ، وما تلبث ان تختفي دون ان يعرف الحبيب كيف اختفت واين ذهبت(١٣) ويحيط كل ذلك بجورومانسي جميل كما في قصته « ليلتان » وفي « صدى الذكريات » التي تصور شابا لم يوفق في الاقتران بمن يحب لانه لم يكن ذا منصب مرموق . ولكن ما يلبث ان يتقدم في الحياةويخنى الدهر على اسرة حبيبته . وتشاء الصدف ان يلتقيا بعد بلوغه الخمسين ثم يتزوجا ويشتط الخيال بالكاتب في هذه الاقصوصة فيصف لنا الماء بذوب النجوم ، واستحالة النفس الى اثير يسبح في صمت ثقيل .(١٤)

وابطاله في هذه المجموعةترضى بالشقاء . ويخلق لها المؤلف عواطف يصطنعها . واقاصيصه كلها قاتمة قائمة على اصطناع الجو الحزين لابطال يعيشون حيانهم كلها في شقاء وفجيعة وهو جو مثير بأبتعاده عن الواقع وامعانه في التصنع .

يعجز عبد الله نيازى في مجموعته القصصية « بقايا ضباب » عن خلق عالم متميز واضح الابعاد والخطوط . وشخوصه دمى لا حياة فيها ولا نبض ، يوحد ابطالها شعورهم بالضعة والصغار والحقارة وضعف الارادة والاستسلام المشين ظانين انهم بذلك يلتزمون جانب الخير . كما يتميز بعضهم بأحساس مرهف . تتساقط دموعه بسرعة ولاقل بادرة . وافضح ما فيها نظرته الى الحياة والتي تقوم علىعدم الثقه بالانسان والاستخفاف بالضعيف .(١٥) (وعجب كيف ان الحكومة قد غفلت عنهم في حين ان هناك تصريحا في قتل الكلاب المسعورة ! وهل يختلف هؤلاء عن الكلاب المسعورة في قليل او كثير ؟! ... يمينا لو ان أحدا لوح للخطيب بدينار اذن لنزل يعدو كالكلب الجائع حين يلوح له احدهم برغيف)(١٦) . (لقد أستجبت لفتاة فمنحتها اللذة ثم عدت تصورها لنفسك في صورة قديسة طاهرة ... ونسيت طهرها .. هل هناك طهر ؟! ايها الابله ماذا فعلت ؟ لقد اجبت نداء الجسد واعطيت للجمال حقه ... ليس في الحياة سماء(١٧) .. ومتى كان الله حكيما ... مهزلة)(١٨) .

ترك لنا الكاتب في مجموعته القصصية الاخيرة « اعياد » الصادرة عام ١٩٦٣م أناصيص لاحداث يتأثر بها القارىء وينفعل ، ويتحسس ، واضاف نتاجا أصيلا الى القصص العراقي الاصيل . فالقصة عنده في هذه المجموعة حادثة او مجموعة صغيرة من الحوادث مترابطة فيما بينها بطريقة مشوقة قادرة على ان تترك في قارئها الاثر الذى يحمله الكاتب لتلك القصة جماليا كان ذلك الاثر او انسانيا او فكريا ، وتتصف هذه الحادثة او مجموعة الحوادث بالتشويق الا انها

(١٣ ، ١٤) عبدالقادر حسن امين ، القصص ، ص ١٥٨ ، ص ١٥٩ .
(١٥) المصدر السابق ص ١٥٩ .
(١٦) بقايا ضباب ص ٢٦ .
(١٧) بقايا ضباب ص ٣٥ .
(١٨) بقايا ضباب ص ٢٦ .

لا تهتم باثارة العواطف والانفعالات اثارة مبتذلة وانما تهتم بجذب نفسى لشد انتباه القارئ وشعوره معا بواسطة ايجاد الرغبة ·

ومن ناحية الشكل يفضل الكاتب السرد ويفتن في التقاط زوايا رؤيتها ورصد جملة حوادثها وتقل عنده جملة الوحدات الكلاسيكية ووحدة الحدث او المكان او الزمان · اذ يستطيع ان يعوضنا عنها بوحدة الموقف ووحدة الاثر ·

والشخصية عنده موقفيه تحمل رأيه غالبا · يهتم بالسمات الداخلية والسمات الخارجية معا · ليعين مشاعر الشخصية وميولها ويساعد على تحليل صراعها وازمتها واحساسها وهو لا يعتمد في التحليل على المونولوج الداخلي ولا حديث النفس المباشر ولكنه يلجأ الى تطورات الاحلام او الى الطريقة الوصفية ·

ويضع الكاتب الشخصية في مواجهة المجهول او في مواجهة المجتمع ويبدأ الصراع بين الانسان والمجتمع وينتهي الصراع في معظم الحالات الى اندحار الانسان ويكاد التشاؤم يصبغهم لولا كبرياؤهم التي يعيشون في حضنها · ولا يخيفهم المجهول فهم يتحدونه في سبيل غاياتهم المثلى وهكذا يبذل الكثير منهم كل مجهود لبلوغ طمأنينة النفس غير ان العالم المحيط بهم ينقلب عليهم وينتهي بمجهودهم الى العدم ويحارب بعضهم من اجل مثلهم العليا بكل قواهم ولكنهم لا يبلغون غاياتهم ومع النهايات الفاجعة للابطال فأن قصصه لا تتصف بالعنف ، وحزنها لا يتسم بالبكاء ولا الصخب ولا العويل بل هو حزن صامت ·

ان القصة صورة مجسدة لادراك الفنان لواقع مجتمعه ومبلغ محاولته تغيير هذا الواقع · وقيمة القصة كفن ان تؤثر في الواقع فتغيره لان واقع المجتمع ما هو الا حياة الملايين والقصة ليست مجرد صورة مأخوذة من هذه الحياة وانما هي تعبير اكثر الناس ادراكا لهذه الحياة وموقفهم من ضرورة تعديلها وتغييرها ·

ويرى الكاتب في المقدمة ان الفن ، جهد وعرق وتمزق يستنزف دم صاحبه قطرة قطرة ولا يبلغ الارتقاء وليس هنالك سعادة اكثر للفنان الحي من ان يهب حياته قربانا رائعا للبذرة التي يراها تنمو داخله · لكن هنالك العقبات الصلدة ، ظروف العيش ومتطلبات الحياة · (لم أرض ان أغير العمل المرهق الذي اقوم به والمحاولة المستمرة القاسية للتوفيق بين موردي ومتطلبات الحياة الضرورية لزوجة واطفال والخوف من المستقبل المرعب ، والقلق المحزن المرعب الذى يعانيه جيلنا ، اهمية رئيسية في ابتعادي عن الكتابة · بل كنت أوهم نفسي بان الاديب الحق يستطيع ان يحيا حياته الخاصة مهما كانت الظروف ومهما كانت الحياة قاسية وغير ملائمة لعمل منتج · ان الفنان الحق يستطيع ان يعلو بنفسه على كل هذه التوافه ويخلق بعزيمته التى لاتنضب الظروف التى تساعد على الانتاج ·· والفن ممارسة وموهبة الفنان لاينتظر الوحى بل ان عليه ان يواصل استدعاءه وانه لابد ان يستجيب) ·

ويعيش عبدلله نيازى في أعياد الصراع والتمزق · والتطلع الى الخلق الفنى الاصيل بمعاناة متحدية ولكنه في ذات الوقت يعانى العبثية وتفاهتها وان التزم هدفا يسعى اليه في انتاجه ·

الاقصوصة الاولى في المجموعة (٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٥٦) يستوعبها جو واسع عريض وتتناول احداثا سياسية مازومة ابان العدوان الثلاثي على مصر وهي وان التزمت هدفا وطنيا الا انها مشحونة بالعواطف والانفعالات اكثر من كونها تجسيد للبناء القصصي الفني حيث نجد على سعيدا بنهاره الجميل ولكن سعادته تتبخر عندما يقابل صديقه حامد الذى يخبره بالعدوان المشؤوم ويعيش الجميع اياما مأزومة ولكن الايمان بعدالة القضية العربية سرعان ما يبدد الحزن والقلق ويتطلع الفرح مع يوم الانتصار ٠

(لا نريد ان نكون وحدنا ونحن نخوض معركة الحياة ، لن تعني الانتكاسة شيئا ابدا ، لن تعنى الخور والتشاؤم والقعود في ركن مظلم واجترار حوادثها للكسالى المقعدين ، والا فاننا بذلك نكون قد كفرنا بالحياة نفسها)[١٩] ويظهر الهدف الذى التزمه في القصة : (ان زمن المعجزات ولى ، انه المارد الجبار الذى حطم السلاسل وانطلق يملأ الكون دويا واعيا انه البعث الذى يزأر في الكيان العربى ويجعله كالبركان لايقف عند حد)[٢٠]

وفي (اعياد) يتسابق القلق النفسي وتتارجح الثورة الوجدانية في ذات القاص فهو بعد تمرد على مستلزمات العيد والتزاماته ، ابى ان يشارك زوجته فيها ٠ وسار في دروب الالتزام بخطى مبررة : (هل تعتقدين انه يحق لنا ان نتقمص جنود القردة ونرقص عند اول قرع في الوقت الذى تستباح فيه مقدساتنا وتنهش لحوم اخوتنا وتسفك دماؤهم ؟ ٠٠ ونحن اليس الاجدر بنا ان نطمر انفسنا في المستنقعات اذا كنا لانملك ان نطالب بحقنا في الحياة ؟!)[٢١]

وفي (قلق وحمه وحسن افندى والحمارة البيضاء) صور ناجحة لواقع معاش ، وصور قاتمة تكتسح المجتمع العراقى ٠ الحمال الفقير الذى يسجن لانه لايمنك جنسية عراقية (حمة) والام المنتظرة لابنها السكير (قلق) والحمال الذى يعنى بحماره ويحلم بالزواج من فتاة يحبها (الحمارة البيضاء) ٠ والموظف الذى تخنقه افكار متضاربة قلقه (حسن افندى) البائس الذى يهرب من من واقعه المؤلم الى الخمر (لم يكن مريضا) والشاب المتمرد على كوابيس قلقه وتمزقه (الدليل)

وتفقد قصته « قتلت اخى » عنصر الاقناع والواقعية لانها تصور حقد اخ كبير على اخيه الصغير الذى فقد بسببه حنان ابويه فاغتاله في حفرة اعدها ببستان مهجور ٠

ولا اريد ان اجعل عبدالله نيازى في صف القاصين العراقيين المحليين الذين لم يهتموا الا بالانسان العراقى والبيئة العراقية ٠ لانه في اثاره الاولى لم يعن بالتفصيل والشرح ولم يهتم كثيرا بالشخوص من حيث انها عناصر تتفاعل مع

---

(١٩) عبدالله نيازي ـ اعياد ـ ص ٥٥ ٠

(٢٠) المصدر السابق ـ ص ٥٦ ٠

(٢١) عبدالله نيازي ـ اعياد ـ ص ٧٦ ٠

بينتها لتنتهي الى نتيجة محققة · ولا اقرنه بالقصصيين الذين يعنون بالمونولوج الداخلي والذين يقفون على حركات النفس ويعالجون نقائصها ·وانما اضعه الى جانب القصاصيين الذين يصطرعون مع الحياة ويصورون صراعهم ويعرضون الام الناس وافراحهم والذين ينتزعون قصصهم من البيئة ليضفوا عليها من انسانيتهم ما يكفل لها الخلود ·

يقول الكاتب عن ادبه[٢٢] : (ان كل اديب او قاص ملتزم بطبيعته سواء رضي ام لم يرض وكل فنان او قاص يحترم فكرة معينة او عقيدة محددة مهما كانت تلك الفكرة والعقيدة ومعنى ذلك ان من يرمي التحرر من سيطرة الفكرة او العقيدة يجعل من ادبه فنا خالصا لا يحترم غير الفن هو ايضا ملتزم من هذه الناحية · فانا التزم قواعد الفن واتقيد بخطاه اكثر من اى شيء اخر · وانا احيانا اتخذ من الفكرة المألوفة والمهملة في نفس الوقت لانها مألوفة جدا ، مادة اشكلها حسب ما توحى به بصيرتى الفنية لاكون منها شيئا جديرا كما في قصة الحمارة البيضاء مثلا فقد القيت الاضواء كلها لحظة واحدة من لحظات الانسان في اوج انفعاله · واعنى بالاضواء والظلال اكثر من عنايتى بالمحتوى اى بالجزئيات كما فعلت في « درهم وقلق »)

وخير نموذج لادب الكاتب قصة « درهم » من مجموعته الاخيرة « اعياد »

يبدأ الكاتب قصته بالحديث عن «شوقى» بطل القصة · لم يكن شوقي ليجرؤ ان يخطو بضع خطوات ويضع في يد صاحب الدولاب ، درهمه العزيز فيشارك لداته فرحهم وابتهاجهم العظيمين بالعيد ولو كان اخوه (جاسم) معه لما تردد لحظة في اقتناص هذه الفرصة الكبيرة التى اتاحها له العيد فقد خرج جاسم ولم يصطحب معه اخاه الصغير شوقى ولم تفد معه توسلات امه وبكاء اخيه ولكن شوقيا لم ييأس فقد تتبع اخاه جاسما بحذر وحين احس به جاسم طلب اليه ان يعود ادراجه الى الدار وعندما لم يفد معه الترغيب لجأ جاسم الى العنف وهدده بالضرب فانفجر شوقى في البكاء وتمرغ في التراب مما اثار غضب جاسم : (اهكذا تفعل بثيابك يا حيوان ؟ هل تظن ان احدا سيحسن اليك ثانية ويخلع عليك ثوبا نظيفا من ثياب اولاده ؟ امسك به من شعره وجره الى الدار ثم صفق الباب وراءه)

ظل شوقى يتمرغ في الارض ولم تفد معه توسلات امه (فاضطرت اخر الامر ان تفك عقدة فوطتها وتخرج منها الدرهم الوحيد الذى تملكه وتضعه في يده وهى ترجو في دخيلتها ان تسترده منه بالحيلة او بالتوسل اذا هدأ قليلا وتناسى بكاءه وما كاد شوقى يشعر بالدرهم يستقر في راحة يده حتى وجد ان عويله يجمد في حلقه دون ان يدرى وجد نفسه خارج الدار واسقط في يد الام وما كانت لتدرى اى شيء تصنع فخرجت كالمجنونة دون ان ترتدى عباءتها) · ذهب شوقى الى حيث يقام مهرجان العيد واحس بسعادة كبيرة فلا يوجد بين

---

(٢٢) من رسالة وجهها الى داؤد سلوم ·

اقرانه من يملك مثل هذا المبلغ . (اى شىء يصنع به لقد شعر بحيرة كبرى لا يظن انه صادف مثلها من قبل . كيف سينفق هذا الدرهم ؟ .. ان اكثر هؤلاء الباعة لصوص . هكذا قال اخوه جاسم مرة حين اعطاه جارهم ـ رضا ـ اربعة فلوس قال له : اتريد ان يسرقها الباعة ؟ ثم انتزعها منه واستأثر بها لنفسه وظل يحمل هذه الفكرة عن الباعة الى ذلك الوقت فخشى ان هو اعطى الدرهم الى احد الباعة ان ينكره عليه ويسرقه منه وحينذاك اى شىء يستطيع ان يفعل !) . وحنق على اخيه لانه لم يصطحبه وقبض على الدرهم بقوة وضربه احد الاطفال بكتفه وهو يعدو فشد شوقى من قبضته على الدرهم . (وتمنى لو انه استطاع ان يتخلص من هذا الدرهم اللعين الذى يشل خطواته ويفسد عليه بهجة العيد وتمنى صادقا لو انه لايملك اكثر من عشرة فلوس اذن لتقدم بخطوات ثابتة الى صاحب الدولاب .. وحينذاك يستطيع بكل حماس ان يشارك اقرانه فرحهم وابتهاجهم بالعيد) وبينما هو سارح مع افكاره ضربه احد الاطفال بحذائه على ظهره فتحفز للدفاع ولكن الاطفال كانوا منشغلين بلعبهم ، وحين راه صاحب الدولاب واقفا يحملق فيه طلب اليه الركوب فلم يجبه شوقى وصرخ مسرعا الى الدار وكاد يسقط اكثر من مرة وهو يتعثر بعربات الباعة واوانيهم ولم يقف حتى وجد نفسه في داخل البيت (ودون ان ينبس بحرف مد قبضته وقد كانت يده ترتجف وجسمه كله يضطرب وبجهد قال :

ـ خذيه لا اريده .

ـ ولكن ماذا بك ؟

ـ الدر ... هم .. ان .. انهم ارادوا ان يسرقوه . وحين فتح قبضته لم يكن الدرهم موجودا فيها لقد ضاع في الزحام ودون ان يشعر .)

يصور لنا الكاتب قطاعا صغيرا من حياة الطبقة الفقيرة في العراق واطفالها المحرومين من كل بهجة وسعادة حتى في ايام العيد ، ويحسن الكاتب التلوين لابراز الالم الذى يعانيه الاولاد الفقراء بمقارنتهم بالاطفال الاخرين (وجد ثلاثة حمر وقد علت ظهورها جمهرة من الاطفال وهم يصفقون ويغنون بصخب ـ يالسمرة روحى غيرج فلا حبيت ـ يقودها صاحبها ليشق بها طريقا وسط هذا الحشد الصاخب الذى جاء يحتفل بالعيد فظل يرقبها ونفسه تتحول الى حسرات يزفرها بحرقة وتوجع) والشخصية في الاقصوصة ، ايجابية فقد وضعها الكاتب في مواجهة المجتمع وبدأ الصراع بين شوقى الطفل ومجتمعه . لقد صارع شوقى اخاه طلب اليه ان يصطحبه معه ، وجاهد في سبيل ذلك ولكن شوقيا لم ييأس فما كاد يدع اخاه جاسما يخرج حتى راح يتتبعه بحذر ويتعقب خطواته وعندما منعه اخوه من اقتفاء خطواته ومناه بانه سيأخذه معه في المرة القادمة لم يستمع اليه شوقى واستمر في صراعه قعد على التراب (جعل يفحص الارض بقدميه ويذرى التراب بيديه ويبكى بكاء مجنونا) وعندما عاد به اخوه الى الدار ولم تفد توسلات الام مع جاسم ، فاز شوقى بما كان يأمله بالدرهم الذى اعطته امه له (ابتسم والدموع تتلالا على خديه الذاوبين) وانتقل شوقى في صراعه الى المجتمع الكبير

فهو حذر ان يسرقه احد (وبينما هو في هواجسه وحيرته ضربه احدهم بحذائه على ظهره فالتفت مذعورا وقد تحفز للدفاع عن درهمه حتى النفس الاخير) ولما طلب منه صاحب الدولاب ان يركب (هم ان يستغيث ويستنجد فوجد ان صوته يموت في فمه وانطلق هاربا وقبضته مشدودة على الدرهم) ٠

الا ان الكاتب ختم هذا الصراع باندحار الانسان امام المجتمع فقد شوقى الدرهم وسط الزحام ، اورغم هذا الاندحار لانجد اثرا للتشاؤم ، ففى كبرياء شوقى وايمانه بالصراع منجى من التشاؤم ومع النهاية المؤلمة التى انتهى اليها درهم شوقى فأن الحزن الذى تنتهى اليه الاقصوصة حزن صامت لاعنف فيه ولا بكاء ولاصخب (الدر ٠٠ هم ٠٠ ان ٠٠ هم ارادوا ان يسرقوه ٠٠ وحين فتح قبضته لم يكن الدرهم موجودا فيها ٠ لقد ضاع منه الدرهم دون ان يشعر)

وان كانت لحظة التنوير تلقى الضوء على الاقصوصة وتبين موقف الكاتب من الحياة ، الا انها خاتمة تعسفية لاتناسب سمات الشخصية وحرصها على ما تملك من ناحية و لاتناسب التطور الانسانى لان الطبقات الفقيرة اصبحت قادرة لان تحصل على ما تريد ٠ لا ان تفقد ما تملك كما ارادها الكاتب ان تكون

اهتم الكاتب بالسمات الداخلية والسمات الخارجية للشخصية معا ليضيء مشاعرها وميولها ويساعد على تحليل صراعها وازمتها واحساسها دون ان يعتمد في التحليل على المونولوج الداخلي ولاحديث النفس المباشر ، بل لجأ الى الطريقة الوصفية (اى شيء يصنع به ؟! كيف سينفق الدرهم ؟ اى شيء يشترى ؟ خشى ان هو اعطى الدرهم الى احد هؤلاء الباعة ان ينكره عليه ويسرقه منه ٠٠ واحس ثانية ان قلبه يمتلىء غيظا على اخيه جاسم ٠ ماذا كان يحدث لو انه بصحبته الان ؟؟ انه من دون شك يشعر بقوة تسنده ولما خشى احدا من هؤلاء الباعة ٠ ولما فكر احد من هؤلاء ان يسرق الدرهم منه ٠ والا فان اخاه جاسم يستطيع ان يتعارك معهم ويبطش بهم فعمله بالحدادة اكسب عضلاته قوة يهابها جميع اولاد المحلة ، لن اعطيه شيئا من الدرهم حتى لو مزقنى اربا) ٠

والقصة حادثة بسيطة طفل يفقد درهما وسط الزحام ولكن الكاتب استطاع ان يشوق القارىء وان يترك في نفسه اثرا جماليا وانسانيا دون اثارة للعواطف والانفعالات اثارة مبتذلة ٠ ومن ناحية الشكل فقد اتبع الكاتب الاسلوب السردى واهتم بالتقاط زوايا الرؤية والجزئيات والالوان والظلال ٠ فهو يصور غضب الاطفال وبكائهم (جعل يفحص الارض بقدميه ويذرى التراب بيديه ويبكى بكاء مجنونا ٠٠ وراح يتعقبه ثانية وهو يحتك بالجدار المهدم) ويصور غضب الكبار (فخرج جاسم وصفق الباب خلفه بقوة) والقى اضواء على مباهج العيد (الباعة المتجولون ، مهرجان العيد وما فيه من مراجيح ودواليب هواء ودراجات وعربات وحمير واطفال يغنون) وغير ذلك مما تزخر به الاعياد ٠

ولم يهتم الكاتب في عرضه بالوحدات الكلاسيكية القديمة فلا عقدة ولا بداية بل عوضنا عنها بوحدة الموقف ووحدة الاثر ٠

وجاء الاسلوب اللغوى بسيطا جميلا زاخرا بالتشبيهات الجميلة (فخرج

وصفق الباب خلفه بقوة فظلت السلسلة المعلقة به تضربه ضربات سريعة وكانها تحاول ان تشد جاسما اليها فلا تدعه يذهب دون اخيه شوقي ويحرمه هـذه البهجة التي لاتعوض) ٠

واستخدم الاوصاف كجزء من الحدث تلقي ضوء على الشخوص حينا وعلى المكان الذي يجري فيه الحدث حينا اخر ٠ وينقل الصور باحساس وواقعيـة جميلة بعد رصد الزاوية التي يلتقط منها الصورة (وما كاد شوقي بشعـر بالدرهم يستقر في راحته حتى وجد ان عويله يجمد في حلقه وان عينيه تنفتحان بقوة وتنظران الى الدرهم بدهشة لم يعرفها فيه وسرعان ما تقلصت راحته عليـه بحرص شديد ثم تطلع الى امه فالفرح يكاد يخرجه عن الطور : درهم !! وابتسم والدموع تتلالا على خديه الذاويين ٠٠ وشعرت امه بقلبها يتفتح ويكبر ويمتلىء نشوة طاغية) ٠

وجاء الاسلوب اللغوي بسيطا جميلا معبرا ولكنه لم يخل من ثقل احيانا (وصفق الباب خلفه وهز من التنك بقوة فظلت السلسلة المعلقة به وهي رتاجه تضربه ضربات سريعة) ٠ وقد استخدم الحوار الفصيح ورغم انه كان مناسبا في كثير من الاحيان الا ان الحوار العامي افضل بالنسبة لمثل هذه الشخوص والاحداث ٠

وقد اهتم الكاتب بالاطار الخارجي والقاء اضواء كافية على المكان الـذي جرى فيه الحدث مما زاد في جمال اللوحة الفنية التي رسمها ٠ (وصف الزقاق المترب ، وصف مباهج العيد ، وصف الدار القديم ، وصف ملابس شوقـي) (اهكذا نفعل بثيابك ياحيوان ؟ هل تظن ان احدا سيحسن اليك ثانية ويخلع عليك ثوبا نظيفا من ثياب اولاده ؟) ٠

ولم تكن مجموعته الاخيرة (الهمس المذعور) ١٩٧١ بمستوى مجموعته السابقة (اعياد) ويبدو انه كتبها في لحظات انفعال شديد حيث تدور معظـم قصص المجموعة في فترة قاتمة من تاريخ العراق الحديث ٠ وهو اذ يعرض المه النفسي من خلال ابطال قصصه كمتنفس له عن واقع خانق لا يستطيع التنفس فيه بحرية ٠ انما يسعى الى علاج نفسه كما يقول (ادلر) اكثر من سعيه الى كتابة قصة جيدة ٠ فالتخلص من الاختناق افضل عنده اثناء كتابة معظم قصص المجموعة لانه الهدف الاساس الذي سعى اليه ٠ كما في قصة (العشب الاحمر) التي تكاد تتلمس في حناياها معاناة شخصية اليمة ٠ ومثلها قصة (النشيـج المبحوح) التي تدين الحكم القاسي ٠ ويظهر حبه الخاص للقراءة في قصتيـه (الكتاب) حيث يفضل شراء كتاب على الجلوس في المقهى ٠ وقصة (ضياع) حيث يفضل الثقافة على الحب ٠ ولا تخلو بعض قصص المجموعة من هبوط الى مستوى القصة المقالية كما في قصته (الرغبة المغلولة) او اسلوب الحكاية كما في قصة (حكاية) ومن نقل حرفي لاجواء غريبة كاجواء الغجر المنتشرين في ضواحي المدن العراقية (صيد) ٠

ويتجلى الحس الانساني في قصتيه (الكوخ والجرذان والمطر ، الهمـس

المذعور) ويستخدم فيهما اسلوب التداعي ليتعمق شخصيته • الاولى شخصية (محمود) الاجير المخلص في عمله الذي يعده رئيسه بالترقية ولكنه لم ينفذ وعده يعود محمود الى كوخه المتداعي وزوجته الشقية (وضحة) وهو يحس بان الجرذان تأكل فيه كما تاكل القش الذي سقف به كوخه « لم اعد اطيق الرغيف العفن الذي احمله اليكم لقد لوث دماءنا واحالنا الى عبيد ولكني لم اخلق لاكون عبدا • ولم انجب هؤلاء ليكونوا عبيدا لرغيف مشبع بالدم • لم يعد بيني وبين ابشع جرم اساق الى اقترافه غير سواد هذا الليل • لقد طلب الى النذل ان اتهم شابا صغيرا •• » (٢٣) والشخصية الثانية شخصية الراوي ، فهو يعيش كوابيس شبيهة بكوابيس شخصيات ادجارالن بو ، فقد قاده الوضع الشاذ الذي يحيا فيه الى الشك بنفسه ، فهو يخشى حبيبته ، ويستمر في اكل نفسه حتى نهاية القصة حيث يقبض عليه ، ويتملكه العجب فهو لم يتحدث بشيء الى احد حتى يدرك انهم يتسمعون الى كل حديث حتى ولو كان همسا مذعورا « لقد ظلت مثل هذه الاحاسيس تجيش في حتى خلت ان هناك رحى تطحن بقسوة لحظات حياتي ، لحظة ، لحظة فتحيلها الى هباء واحسست ان شيئا يتمرد في ويحطم الاغلال دونما حدود • والتقيت حنانا في اليوم التالي ، وكانت اعصابي كلها ماتزال متحفزة للوثوب •• كان صوتها يدور في اذني كوحش جريح •• وجعل يتهته بكلام هو السم بعينه كانت حروفه رؤوس افاعي تلتصق بجسدي فتحيل كل شيء الى سم اسود •• كتلة من الحجارة كنت فلم اقو على ايقافه فلا ادعه يردد ما كان ينعق به والنشوة تتقاذفه ككرة من المطاط » (٢٤)

ويبدو لقاريء المجموعة ان شخصيات قصصه جميعها كانت تعاني نفس الاحساس بالانسحاق واللاجدوى • انها نفثات موقتة اطلقها عبدالله نيازي في بحران الم • ونحن ننتظر ما يجود به قلمه بعد تخلصه من الكابوس القاسي واستقباله الحياة التي كان يسعى اليها دائما •

★ ★ ★

خير من يمثل الاتجاه الرومانتيكي في الرواية العراقية الحديثة (عبدالله نيازي) في روايته (نهاية حب) عام ١٩٤٩ و (اناهيد) عام ١٩٥٣ ويتناول المؤلف فيهما حوادث الحياة ببساطتها التامة دون ان يشبعها بالفنية المطلوبة • ويغلب عليه فيهما طابع السرعة وتسعفه في ذلك ذاكرة عجيبة ، تمده بحوادث الايام ، ونوائب الدهر • ولا عجب ان يتأثر اسلوبه بتلك السرعة حتى يهبط الى المستوى الصحفي احيانا • ويعتمد على المبالغة والتهويل وتضخيم العواطف والافعال •

ونلمس في روايتيه هوة سحيقة بين واقع الشخصيات واحلامها ، فهي شخصيات يمضها الواقع المؤلم ، ويحزنها ما فيه من قيود وعادات وتقاليد ، تقف حائلا امام سعادتها وانطلاقها ، فتهرب من عالمها هذا الى عالم الاحلام ، حيث

(٢٣ ، ٢٤) عبدالله نيازي ، الهمس المذعور ، ص ٢٨ - ٢٩ ، ٤٢ - ٤٤ •

تكسر فيه القيود وتحطم العوائق ولكنها ما تلبث ان تكشف الهوة بين الواقع والحلم فتنطوى على نفسها وتجتر الامها ويدفعها عجزها عن مصارعة الحياة الى الاغراق في الالام والاحزان وكانها تلتذ بها .

وقد اتخذ (نيازى) في الرواية وسيلة للتعبير عن ذاته ، وكشف نفسه ، وثورته ، ومطالبته بالحرية ، والتحرر من القيود الاجتماعية ، ويعقب ثورته تلك بالشكوى والتشاؤم والسلبية ، وقد يجد في شقائه نعيما ونبلا رغم محاولته الهرب من ارزاء تلك الحياة .

ويدور محور الروايتين حول احداث غريبة . تعتمد على المصادفات المدهشة من غير خضوع لتخطيط معين بل تجريان في حرية واسترسال تسوقان فكرة معينة او تعكسان حالة نفسية .

يحدثنا المؤلف في روايته الاولى (نهاية حب) اول ما يحدثنا عن (عمر افندى) الموظف الصغير في قرية نائية من قرى الجنوب عرف بحسن الخلق وقناعة النفس ، كان يرفض الزواج اول الامر ، ولكنه رضى اخيرا ان يتزوج فتاة تركية تصغره بسنين كثيرة فانجب منها بنين وبنات ثم نفس عليه زملاؤه مكانته وعلو مركزه فدبت عقارب السعاية ، وحملت الوشايات الملفقة الى رئيسه حتى فصل من وظيفته ثم اجريت له عملية استئصال الزائدة الدودية وتشاء الاقدار ان يحقنه الطبيب خطأ بسم يقضى عليه . وشقيت الام بتربية ابنائها واستطاعت بمساعدة اخ زوجها ان تحصل على وظيفة معلمة في مدرسة في بغداد ، وتحسنت حالة الاسرة الصغيرة بعض الشىء وتقدم الصغار في دراستهم عدا الولد الكبير (عادل) فقد كان طالبا خاملا في الدراسة ، سعى له عمه فوجد له وظيفة بمرتب صغير يتعيش منه . وحين شبت الابنة البكر عن الطوق ، تقدم الى خطبتها شاب رضيت به الام صهرا لها ، واضطرت ان تصحب ابنتها الى مقر وظيفة الزوج تاركة ابنها الكبير يقاسى الام الوحدة الا انه وجد في بيت خالته بعض السلوى ، واحب ابنتها وحينما تقدم لخطبتها رفض طلبه ، وحز في نفسه ذلك الرفض ولكن الحب الذى اضطرم في قلب الفتى وجد له متنفسا فى المطالعات الادبية ، وهكذا كانت نهاية حبه ذكرى حلوة جميلة يستمد منها القوة في انتهاج مسلك الادباء[25] .

ولا تخرج الرواية الثانية (اناهيد) عن هذا المضمون ايضا .

والعقدة في هاتين الروايتين ، هى العقدة التقليدية ، شاب يحال بينه وبين حبيبته . لتحقيق منفعة مادية تعود على ذوى الفتاة فيقضى عمره غما والما وحسرة ولا ينفع شىء فى تعزيته[26] والتركيز حول هذه العقدة الروائية لا يعنى ضحالة الخيال بقدر ما يعنى التنفيس عن الكبت الفكرى والاجتماعى والاقتصادى الذى تعانيه الطبقة المتوسطة في العراق .

---

(٢٥) انظر : عبدالقادر حسن امين ، القصص ، ص ١٩٨ - ١٩٩ .
(٢٦ ، ٢٧) سهيل ادريس ، اناهيد ، مجلة الآداب ، العدد ١٢ ، ١٩٥٣ .

وقد انعزل المؤلف بذاته وتفرد بالامه ولم ينفعل بالمجتمع الذى عاش فيه . فقد كان موقف البطل موقفا سلبيا جامدا منذ البدء حتى النهاية ، فهو لم يحاول ولم يفكر في ان يثور على الوضع ولم يفعل الا ان يتألم ويتعذب ويمضى حياة جامدة خالية من اى معنى(٢٧) ، وقد كان البطلان ـ عادل ونهاد ـ شخصيتين انانيتين ذاتيتين ضحلتي التجربة النفسية محدودتي الافق مخنوقتي النزعة الانسانية ، لم تحملا لواء الصراع في مجتمع لايجدى فيه غير الصراع . ويغلب على الروايتين الجانب السلبى اى الجانب الوصفى التقريرى لواقع فاسد ولنفوس محطمة وسط ظروف مكدودة هى نفوس هؤلاء الناس العاطفيين المضيعين . ونلمس فيهما الفرد العراقى المندفع بكل الامه وامالـه وعقده التى ولدتها قيود المجتمع الثقيلة التى سحقته تحت عجلاتها .

فيهرب من واقعه الى عالم الخيال ، ينشد الحرية من هذه القيود ، فلا يجد غير الاحلام يلجأ اليها ويتدفأ بصدرها الحنون ليستيقظ ثانية وعلى حين غرة من حلمه اللذيذ ، فيجد نفسه معلقا بين الارض والسماء يخشى السقوط والانسحاق لانه يعجز عن التوفيق بين القدرة والامل اللذين يتعارضان اشد التعارض فيشقى بهذا التعارض .

ولم يدرك المؤلف ان فنية الرواية ليست في التزامها الصدق في وصف مسرح الحوادث بل التحوير بما يحمل هذا الواقع نزوعا ينبغى الايخلو من مثالية . والروايتان مليئتان بالعواطف المفتعلة والاحاسيس المبتسرة ، التى لاطبع فيها ولا تلقائية ، بل افتعال ومبالغة وتناقض وسطحية في المعالجة القصصية وبطء في الحركة ، فقد اعتمد المؤلف على الحديث ، واستعان بالخيال يجمع به شتات الموضوع . كما لا تخلوان من الحشو والفضول . وقد تدخل المؤلف في السرد لابداء رأى او تقديم عظة .

وقد حفلت الرواية الاولى (نهاية حب) بالكثير من المبالغة والبعد عن الواقع ، فليس مفهوما ان يفصل شخص من وظيفة بناء على وشاية مغرضة ، دون ان تشفع له خدماته الطويلة وسمعته الحسنة(٢٨) ، كما يستبعد وقوع خطأ كهذا الخطأ الذى وقع فيه الطبيب وادى الى وفاة المريض اذ ليس معقولا ان تترك حقنة ملئت سابقا بسم اعد لقتل كلب مسعور في غرفة العمليات كما لا يعقل ان يجهش رجل بالبكاء في عربة ركاب عامة(٢٩) ولا يصح ان تنقلب عاطفة الام الحنون هذا الانقلاب الفجائى من النقيض الى النقيض ، فقد كانت شديدة العطف على اولادها ، تسهر على راحتهم ، وتحرص على مستقبلهم ، فما بالها تقابل ابنها الكبير بهذا الجفاء وتلك القطيعة . كما يؤخذ عليه اسرافه في التفاصيل ووقوفه عند التافه منها حتى انه ليذكر ان مدير المدرسة اخذ بيد الولد وارشده الى الصف بعد ان تم قبوله في المدرسة . والى هذا الرأى ذهب عبدالقادر حسن امين(٣٠) ويظهر التناقض والضعف واضحين في

(٢٨ ، ٢٩) عبدالله نيازي ، نهاية حب ص ١٨ ، ٢٠ ، ٩١ ، ٢٧ على التوالي .

(٣٠) انظر (القصص) ص ١١٩ .

روايته (اناهيد) ، فهو يبدأها بقوله (كانت الطيوف تراوده كما تراود شخصا ينتظره مجهول مخيف ولكنه ماكان يقيم لاحاسيسه هذه وزنا ولا لشعوره اهمية وما هذه الطيوف السوداء التي تراوده الا ظلال نفســـه الكئيبة التي لاتنعم بغير الحزن ولا ترضى بغير الشقاء والتي قد يبلغ الامر بها في بعض الاحيان ان تخلق الحزن خلقا وتوقظ الالم الدفين لتعيش ساعة في جحيم من الاحساس العنيف)(٣١) ، ورغم التناقض الظاهر في هذه العبارة حيث يبدأ بالقول انـــه لايقيم وزنا لاحاسيسه ولكنه ما يلبث ان يقول انه لا يعيش الا في هـــذه الاحاسيس الحزينة . نجد صورة صحيحة لهذا البطل الذي لا يرضى بغير الشقاء ويخلق الحزن خلقا ليعيش في جحيم من الاحساس العنيف ، والروايتان تقومان على اصطناع الجو الحزين لانسان يعيش حياة في شقاء وفاجعة ويمشي نهاد بالاسى والحزن وهو في طريقه الى دار عمته ، وحين يخرج من عندها يحس انه يودعها الى الابد ولا داعي لهذا الاحساس لانها لم تخبره بخطوبة حبيبته ، وهو يحزن لشقاء والد اناهيد ، ولضيق ذات يده ، ولكنه يقول بعد صفحات قليلة من قوله السابق (ولقد كان سعيد حين يرى ان الذين قوضوا حياته يتالمـــون ويتعذبون ..)

ويتخلل الروايتين كثير من السرد غير المحبوك والاحساسات غير الناضجة والتعابير التي لاتتفق والسرد القصصي بل هي عبارات ينفث فيها الكاتب اراءه ، وعواطفه على لسان ابطاله . لحرصه على التعبير عن نفسه وعرض افكاره ، ولم تخل من نصائح تعليمية يقدمها الى الاباء يحثهم على السماح لاولادهم الصغار باللعب لانه يفيدهم ويزيد ثقتهم بانفسهم(٣٢) ويدعو الناس الى الانصراف الى القراءة والدرس(٣٣) والاراء التي يوردها (نيازي) اراء فجة مبتسرة ، ولنأخذ على سبيل المثال قصة انقطاع الخيط وفلسفة العمياء السعيدة ، وفلسفة شرب الخمر(٣٤) . كما يتصف عرضه لواقع المجتمع العراقي بالضحالة والسطحية .

« ايه .. هذه هي الحياة او قل انها هكذا في الشرق وحده يقبلون على الواحد منا اذا كان جيبه عامرا ويشغل منصبا مرموقا وان كان من الحطة والقذارة بحيث تزكم رائحة افعاله الكريهة . ويبتعدون عن الانسان الذي تفوح منـــه رائحة العفة والطهارة والشرف كما يفوح الشذى من الاوراد اذا كان خـــالي الوفاض ولا يشغل منصبا مرموقا ، ايه هكذا هم الناس وقد اسميتهم كذلـــك مجازا فليسوا هم اناسا بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة »(٣٥) .

وقد عجز المؤلف عن خلق جو او عالم متميز واضح الابعاد والخطوط(٣٦) والروايتان متكلفتا العاطفة (فنهاد) لايفعل شيئا غير ذرف الدموع في كل وقت

---

(٣١) (اناهيد) ص ٩ .

(٣٢ ، ٣٣) (نهاية حب) ص ٧٢ ، ١٠٩ .

(٣٤ ، ٣٥) (اناهيد) ص ٣١ ، ٣٥ ، ٤١ ، ٦٠ على التوالي .

(٣٦) انظر (اناهيد) مجلة الآداب العدد ١٢ عام ١٩٥٣ .

تماما مثل عادل فى (نهاية حب) واناهيد شخصية ضبابية غير واضحة المعالم كحبيبة عادل – التى لم يخصها الكاتب باسم ما – في الرواية الاولى ٠ وموضوع (الحب) الذى اختاره تعبيرا عن مشكلة الذاتية شأنه شان الكثير من كتاب هذا الاتجاه ، الذين اتخذوا من الحرمان والحيرة اللذين يسودان علاقتهم بالمرأة ، رمزا للحرمان والحيرة اللذين يسيطران على علاقتهم بمجتمعهم بصورة عامة ولما كان جو الروايتين في اغلبه حزينا يائسا ، فان وصف الطبيعة هو الاخر غائم ممطر دائما ليساير نفوس الشخصيات الحزينة ٠ وفى هذا تجن على الطبيعة في العراق التى قليلا ما تهدر وتعصف ، وكثيرا ما تشرق وتبسم – فضلا عن اقحامه الطبيعة اقحاما (كالديكور) الذى لا يناسب المسرحية ٠

فاذا رفع هذا الوصف لا يؤثر فى سير الحدث(٣٧) كما ان رغبته المستمرة في التعبير عن اسس الطبيعة تحتفظ لها بصورة ثابتة لا تتغير ٠

وتفتقر شخصياته بالاجمال الى الحياة الطبيعية وهى تبدو نماذج جامدة لاتحركها العواطف الانسانية المتقلبة فضلا عن ان عنصر المبالغة في وصف هذه الشخصيات كثيرا ما يفسدها ويجعلها تبدو وكانها في عالم يختلف كل الاختلاف عن العالم الذى نحياه ونعيشه ٠ وهى على العموم شخصيات مسطحة لا ابعاد لها عمومية مجردة من المسحة الانسانية المادية او النفسية ولا يتبطنها المؤلف من الداخل ونادرا ما يصفها من الخارج وقد يسهو عن اعطائها اسما وكأنها مشجب يعلق عليه الكاتب الحدث والفكرة ٠ وشخصياته جاهزة غير متطورة ، فنهاد تعادل عاشق مدنف لايكف عن ذرف دموعه واناهيد غائمة غير واضحة المعالم ليست انسانية الخلق ولا الابعاد ، ولاتتصف بصفة الفرد المتميز ٠

وهدف الكاتب : ابراز شخصيتى – عادل ونهاد – ولهاتين الشخصيتين عند الكاتب مفهوم واحد ثابت ، طلق لا يتغير وان تغيرت المواقف التى يجدان فيها نفسيهما ، والاشخاص الذين يتعاملان معهم ، وان لهما معنى بعينه عند الكاتب هو الجرى وراء مالا يمكن ان ينال ، والحيرة الدائمة ، والسعى وراء اوهام النفس ٠

وتجد شخصياته بصورة عامة مكانها في الحياة الحقيقية الواقعية ، ولكنه لايريد لها ابدا ان تدخل الى الواقع ، ومصيرها بالنسبة اليها لايحمل الا معنى خارجيا ، ومملكتها ليست من هذا العالم فهى لاتود ان تخط طريقها في هذا العالم ، ولا ان تشغل مكانها بل تنفق من ذاتها دون حساب ولا تقوى ابدا على تكهن ما ستقوم به من اعمال ٠ ولهذا تحدث فيها شخصيات نيازى تاثيرا يدلنا على حمقها فهى لا تسير قدما ، وليس لها غاية تقصد اليها وهؤلاء الكبار يحتاجون الى عكاز كالعميان يترنحون كالسكارى وينفخون ويستديرون ، ويلقون جميع انواع الاسئلة ، ويندفعون نحو المجهول ، دون ان ينتظروا جوابا فيخيل انهم وصلوا حديثا الى عالمنا ، ولم يعتادوا الحياة فيه ٠ وهم قلقون مضطربون

---

(٣٧) اناهيد ص ٢٧ ، ٢٨ – ٢٩ ، ٦٢ ، ٦٩ ٠

وعاطفتهم المتدفقة ينقصها نقطة الارتكاز ، قلوبهم مثقلة بالصدمات وعدم اليقين ففي كل مكان نجد الخوف والذل والاهانة ، تصدر عن العاطفة الوحيدة لهؤلاء الناس • فمثلا (عمر افندى) اشرف على الاربعين من عمره او جاوزها قليـــلا موظف حكومي قديم الا ان راتبه لايزيد على الخمسة عشر دينارا لاهماله في المطالبة بحقه ولان الحكومة نفسها لا تتذكره لتشمله بالترقية (٣٨) • وشاء القدر ان يموت عمر افندى بحقنة سامة اعدت لكلب مسعور اثناء اجراء عملية جراحيـة له(٣٩) • وقد ترك صبية في الثانية عشرة من عمرها وولدين احدهمـــــا في العاشرة والثاني في الخامسة من عمره تركهم جميعا بلا عائل(٤٠) • و (عادل) بطل رواية (نهاية حب) شاذ في كل مرحلة من مراحل نشأته ، فقد كانت حياته فوضى ، بائسة (٤١) •

ويهتم المؤلف بالوصف الجسماني لشخصياته دون الالتفات الى ما يدور في نفوسهم من انفعالات واحاسيس ، فهي شخصيات مسطحة دائما ثابتة ابدا فعمر افندى يشرف على الاربعين • طويل القامة ابيض اللون يضرب الى السمرة قليلا قوي البنية ، صحيح الجسم ، مستدير الوجه ، دقيق الانف ، يحوط فمه شاربان لاهما بالكثيفين المدببين ولاهما بالخفيفين(٤٢) • وزوجته : لاتزيد علـى السادسة عشرة بيضاء البشرة ، ذهبية الشعر ، دقيقة الانف عسلية العينيـن دقيقة الخصر ناهدة الصدر (٤٣) •

ويكتب (نيازي) باسلوب بسيط لا تعقيد فيه ولاعناء ولكنه لايعمـــق الاحاسيس ولا يمضي بها الى غايتها من الوصف والتحليل ، فهو كمن يضـرب في انتظام ضربات هادئة فاترة ، فيصيب بعضها مواضع حساسة ويخيب بعضها الاخر وحتى الضربات التي تصيب ، سرعان ما يضيع تاثيرها مع تتابع الضربات ، لانه يكتب في نوع من عدم المبالاة والسلبية وهو يميل الى الاسلوب الخطابي في المواقف المثيرة اليائسة ، وتراه يقيم بينه وبين شخصياته علاقة قد تكون مباشرة حينا وغير مباشرة حينا اخر ولكنها في الحالتين تسمح له بان يعلق على هـــذه الشخصيات ويصف سلوكها ويوجه هذا السلوك ، وهو بدوره يدعم الطابـــع التعليمي للفن الخطابي ويؤكد ما يحمل من مبادىء اخلاقية(٤٤) وهذا الاسلوب الذي يكتب به اخباري تقريري ،اشبه ما يكون بالاسلوب الصحفي عباراتـــه الفاظ تقرأ العين حروفها ويفهم العقل معناها اللغوي ثم لاشيء بعد ذلـــك ، ليس في اسلوبه نبض الحياة ولا لمسة الفن ، والفاظه وعباراته مصمتة لا تنفتح على افاق موحية بما يمكن ان تغوص عليه من اغوار • او تمتد اليه من ابعاد او تموج به من نغم ، او توحي اليه من الوان وظلال ، اما لغته فتشكل العقبـــة

(٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣) نهاية حب ص ٧ ـ ٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ١٠٨ ـ ١٠٩ ، ١٠٧ ، ١١٢ على التوالي •

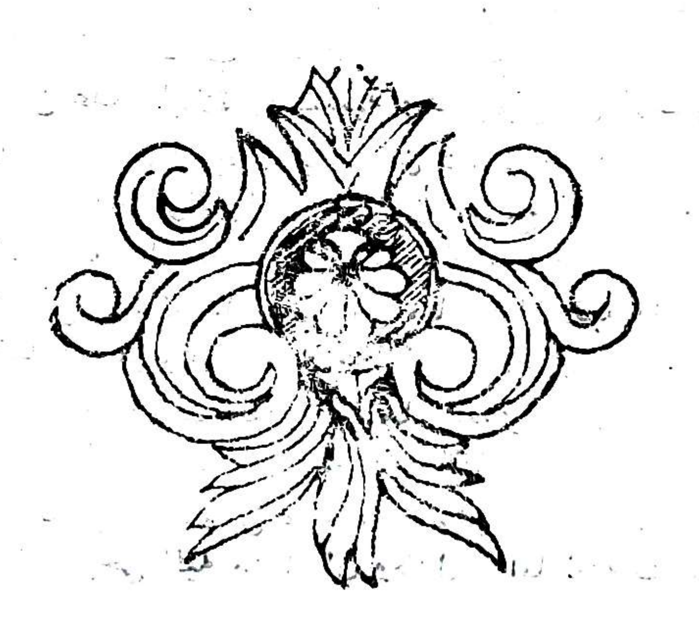
(٤٤) انظر : اناهيد ص ١٨ـ١٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ • نهاية حب ٨٠ ، ٩٢ ـ ٩٣ ، ٩٤ ٩٦ ، ١٠٣ ـ ١٠٤ ، ١٠٩ •

الكبرى في سبيل تطور فنه القصصي ، فاللغة ضعيفة ، تشيع بين سطورها اخطاء كثيرة (٤٥) ، وقد يلتوى عليه التعبير وتشيع الركاكة في اسلوبه وان تطورت لغته في روايته الثانية عما كانت عليه الحال في روايته الاولى ولناخذ صفحتين من صفحات روايته (نهاية حب) على سبيل المثال فنجد فيهما وحدهما كل هذه الاخطاء (تقدم بالخطوبة لها ـ خرجت مع امها لزيارة بيت من اهل البلدة ـ كانت بناء على طلب دعوة وجهت له ـ وجاءت خالته ومتعلقوها ـ يمشى بنزوة بنزو بها قلبه ـ يخدش عزة نفسه) ٠ ولم تسعفه لغته ليلقى من الضوء على شخصياته ما يكفى لتالقها وتجليها ، كى يستطيع القارىء ان يتعرف عليها ويدرك انفعالاتها بقوة ووضوح(٤٦) ٠

ولكن الكاتب لم يقدم بعد افضل نتاجه فالذى يكتب قصص مجموعة (اعياد) في خمسينات هذا القرن لابد ان يقدم نتاجا عظيما في سبعيناته ٠

الدكتور عمر الطالب
كلية الاداب ـ جامعة الموصل

(٤٥ ، ٤٦) القصص ص ٢٠٠ ٠



أسباب الهجرة الداخلية وآثارها

الدكتور عبدالكريم اليافي

- ١ -

بعض الالفاظ الكلية كثيرة الاستعمال واضحة المعانى · ولكنها عند التأمل تستدعى مناقشات فلسفية وتعديلات بحيث تنقلب غامضة كل الغموض · فلا بد حينئذ من تحديد تلك المعانى بالضبط لكى يسهل الاتفاق عند استعمالهـــا في المجال العلمى · من تلك الالفاظ الكلية السببية او العلية · ولما كان بحثنا يتعلق باسباب الهجرة الداخلية واثارها لزم ان نحدد ما نريد من معنى السببية ·

ليس السبب عندنا هو المتقدم اللاشرطى الذى اذا وجد ترتب على وجوده حصول ظاهرة متأخرة عنه هي الاثر او النتيجة كما كان يقول ستيوارات ميل ·

ولكن السبب عندنا بمعنى الدالة او التابع الرياضى الذى يربط بين عوامل او متغيرات متفاوتة يؤثر بعضها فى بعض تأثيرا متبادلا · السببية اذا نستعملها بمعنى الدالية او التابعية ·

واذا كانت المتغيرات في مضمون الظواهر الفيزيائية قليلة ومحـــدودة كارتباط حجم كتلة من الغاز وضغطها وحرارتها فاننا حين نصل الى الظواهـــر الانسانية تتكاثر المتغيرات · ومع ذلك فيمكن حصرها في زمر كبيرة على الاقل · ويهمنا ايضا تبين تاثيرها المتبادل · وعوضا من ان يكون ارتباطها حتميا ومتصلا كما في مثال الغاز « الكامل » الانف نفسح في مجال القضايا الانسانية للاحتمال واللاحتمية والانفصال على الشكل الذى تبحثه فلسفة العلوم الحديثة · وليست الحتمية الظاهرة في المجال الانسانى الا ضربـــا من الحتمية الاحصائية ·

ثم ان تلك المتغيرات عوضا من ان يكون فعلها في اتجاه واحد نرى ان فعلها مزدوج الاتجاه · فقد يكون سلبيا وقد يكون ايجابيا ، وهو ما ندعوه بازدواج الدلالة ·

تلك المتغيرات الانسانية رهينة التطور اى تتضمن في كيانها عنصر الزمن لكل منها ايقاع زمنى خاص تتغير وفقه · ولذلك لايكفى تحليل تلك العوامـــل وتمييز بعضها من بعض وتبين تاثيرها المتبادل ، بل يجب احيانا تتبع تطورها في سياق الزمان اى بيان الجانب التشريحى او السكونى في جدلية او « تتامية » مشتبكة ·

واذا اوضحنا على الوجه الانف معنى السببية لزم ايضا ان نحدد معنـــى الهجرة الداخلية · فهي نموذج من الحراك يؤدى بصاحبه الى اقامة متطاولة او

نهائية في المكان المقصود • وهي ايضا تغير في محل الاقامة العادى يحدث بين قسم اداری واخر لفترة زمنية تستغرق سنة او اكثر والوحدة الادارية قد تكون من الدرجة الاولى كالمحافظة او الولاية او تكون من الدرجة الثانية كالمدينة او القضاء او الناحية حسب الاقسام الادارية المتعارفة وكلها ضمن الدولة الواحدة • وذلك مقابل الهجرة الدولية التى تحصل من دولة الى اخرى • وكلامنا هذا عام لان دراسة كل هجرة داخلية تقتضى تامل تلك الاقسام الادارية من قرب وقضية تسجيل حركة الهجرة والمكان الاصلي والمكان المقصود ومعنى تيار الهجرة والتفريق بين عدد المهاجرين وعدد الهجرات • فقد يقوم المهاجر نفسه بالهجرة عدة مرات او يعود الى موطنه الاصلى قبل الاتصال به في موطنه الجديد فلا تحسب هجرته الى غير ذلك مما يتطلب بيانه عند دراسة الهجرة من الناحية الكمية • وكذلك يلزم الانتباه لنمط حياته الجديد وحرفته التى يزاولها فى مكان المغادرة وفى مكان الوصول • وهذا يهم عند دراسة الحراك الاجتماعى والحرفى من خلال دراسة الهجرة •

كذلك الموقف الايديولوجى له تاثير كبير في الاعتبارات • فاذا نظرنا الى البلاد العربية على انها دول منفصلة ، لكل منها كيان خاص (وهذا هو الواقع) كانت الهجرة من كل واحدة الى الاخرى هجرة دولية • ولكننا اذا اعتبرنا تلك الدويلات وطنا واحدا امكن بوجه من الوجوه النظرية اعتبار الهجرة فيها هجرة داخلية وكبرت عندئذ ابعادها •

ومثل ذلك تقريبا الهجرة بين المانيا الديمقراطية والمانيا الغربية ويمكن اعتبارها هجرة دولية ولو كان احد الحدود بينها جدارا كما في برلين ، او هجرة داخلية •

وقد يكون للهجرة بين بلدين عربيين متجاورين تتداخل حدودهما ويسهل اخذ رعايا الواحدة منهما رعوية الاخرى مشكلات في الحصر والاحصاء كما بين لبنان وسورية او بين جمهوريتى اليمن الديمقراطية والعربية • بيد ان التنظيم والتدقيق والدراسات العميقة امور تتوطد بالتدريج في العالم الثالث • وللهجرة في جميع انحاء العالم مشكلات مختلفة • والمهم هنا تفهم هذه الظواهر ابتغاء توفير مزاياها الحسنة وتلافى مغباتها السيئة •

يمكن تصنيف الهجرة الداخلية اربعة اصناف : ريفية ريفية ، وريفية مدنية ومدنية ريفية ، ومدنية مدنية • وهنا ايضا على الرغم من بساطة هذا التصنيف نحتاج الى تعريف المركز الريفى والمركز المدنى • فقد يكون المركز قليل السكان فهو بهذه القلة يدخل في الريف ، ولكن حياة قاطنيه مدنية كسكان مدينة الطبقة (مدينة الثورة) في سورية وهى التى تقوم على سد الفرات الجديد : سكانها مهندسون وموظفون وان كان عددهم قليلا • على حين ان طائفة من المدن فى العالم الثالث قد تكون كثيرة السكان نسبيا ولكن وجوه الحياة الزراعية الريفية فيها ما زالت عميقة جدا •

اهم هذه الاصناف الهجرة الريفية الى المدن • انها تتبع درجة التقدم ،

وتغير الثقافة ، وتبدل نمط المعيشة • وهذه كلها من خصائص التطور الاجتماعي الحديث في مختلف بقاع الدنيا • وهي تؤلف غالبية الهجرة الداخلية • وهي التي ادت الى اتساع العمران ونشوء المدن العملاقة في العصر الحاضر •

كل هجرة رد فعل من قبل المهاجر تجاه قوى اقتصادية وديموغرافية واجتماعية وجغرافية ومرفولوجية في المحيط الخارجي • يسعى المهاجر لاقامة توازن في معيشته او لتحسين التوازن ملبيا بعض المارب او مبتعدا عن بعض الضغوط الواقعة عليه ولو كان ذلك وهما يسعى وراءه • ونظرية العوامل النابذة والجاذبية تعبير مجرد يعين على تصنيف تلك القوى المؤثرة • وهنالك متغيرات عديدة في كل صنف من تلك العوامل الجاذبة والنابذة وتختلف اثارها باختلاف الناس • ويمكن القول بوجه عام ان تدفق الناس من منطقة الى اخرى مرتبط بحدوث تغيرات صميمية اقتصادية او غيرها تحفزهم على البحث عن تلاوءم جديد مع تلك التغيرات الطارئة •

وهنا نعرض مختلف الاسباب والاثار الاقتصادية والديموغرافية والجغرافيه والمرفولوجية دون حصر وننوه باشتباكها وبتأثير بعضها في بعض تأثيرا متبادلا كما سبق ، وان كان بعضها يبدو اهم من بعض بحسب اختلاف الازمنة والامكنة • وتدخل فى العوامل الاجتماعية الامور الثقافية والدينية والنفسية وما الى ذلك دون تحديد دقيق • وبحثنا هذا عام ولكن نشير في الحين بعد الحين الى بعض الظواهر في البلاد العربية • وذلك لقلة الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع فيها ، ولان المهاجر في اكثر هذه البلاد قد يهاجر ويبقى مسجلا في دائرة النفوس ببلده الاصلي • فكشف تيار الهجرة انما يتم بالمسح الديموغرافي او بالتعداد بصورة غير مباشرة كما هو معروف •

- ٢ -

العوامل الاقتصادية

تكاد تكون الظروف التى تحفز على الهجرة من بقعة الى اخرى في داخل البلاد مماثلة للظروف التى تحفز على الهجرة الخارجية او الدولية • فحيثما توافرت اسباب العمل وتيسرت الوظائف وارتفعت الاجور والرواتب وازدهرت المرافق الاقتصادية وجادت غلات الاراضى زراعية او معدنية او نفطية اشتدت الهجرة اليها • بل ان تأثير العوامل الاقتصادية في تيار الهجرة الداخلية اشد واعمق منه في تيار الهجرة الخارجية ، لان الحواجز التى تحول دون الانتقال من منطقة الى اخرى في الدولة الواحدة ضئيلة وضعيفة ، من اليسير التغلب عليها ان وجدت • هذا فى البلاد التى لاتوجد فيها سياسة لتنظيم توزيع السكان • ولكن قد تشرف الدولة على تيار الهجرة الداخلية فتوجهه وفق حاجاتها وخططها • وتيسيرا للبحث نصنف الاسباب الاقتصادية الى ثلاثة : نابذة وجاذبة وطارئة •

تتعلق العوامل النابذة على الغالب بالزراعة وتصدر عن نظام تملك الاراضى فقد يكون فى المنطقة ملاكون كبار وعمال زراعيون يكدحون ولا ينالون الا الزهيد

من الاجر ، فتغريهم الهجرة الى المدن للعمل حيث يكون كسبهم اعلى • وفي المقابل قد تتجزأ الملكية الكبيرة اجزاء صغيرة جدا – يعجز ريع تثميرها لصغرها عن سد حاجات الاسر ، فيندفع بعض ابناء هذه الاسر الى انتجاع المدن •

لقد تحسنت وسائل الزراعة واخذ اعتمادها على الالات يشتد في جميع البلاد تقريبا • فقلل ذلك من الحاجة الى الايدى العاملة في استغلال الاراضى فمن الطبيعى ان يهاجر الفائض من تلك الايدى العاملة الى المدن • كانت الزراعة فى الماضى وسيلة لدى الزراع للحصول على بلغ معايشهم وحاجات اسرهم • ولكنها تطورت مع الزمن ، فاصبحت سبيلا للتجارة والربح • وغدا الزارع المتصل بالارض يحسب حسابه وينظر في الريع المالى الذى يكسبه من العمل في الارض واستغلالها • فهو يرتبط بها عن طريق ذلك الريع • فان نقص بعد كل حساب عما يمكن ان يكسبه من المال في المدينة حمله حب المال على ترك ارضه واهمالها •

قد يكون النظام الرأسمالى مسؤولا عن هذه الهجرة ، لان من شأنه ان يضعف الطلب على الايدى العاملة الزراعية ويزيد من طلب الايدى العاملة الصناعية • وهكذا يتكون فيض من الايدى العاملة الزراعية في الارياف تعيش في الضيق والقلة ، فهى تنزح نحو المدن •

توجد هذه الهجرة في البلاد الاشتراكية • ولكن ظروفها تختلف عما سبق ان المزارع فيها جماعية حكومية او اهلية • ويوجه العدد الفائض من الايدى العاملة اما نحو اراض جديدة تستغل وتستثمر ، واما نحو مراكز صناعية • ويتم هذا التوجيه المنسق باشراف الدولة حرصا منها ما امكن على مصالح رعاياها واستفادة من اغلب طاقاتهم وتلافيا للمشكلات المرهقة التى قد تعترض للمهاجرين العفويين • ثم ان الصناعات في البلاد الاشتراكية لا تقوم دائما في المدن بل احيانا في الريف بعيدة عن المدن • وعند التعداد ينتبه لهذه المراكز الصناعية هل هي بالنسبة لعدد سكانها او نمط الحياة الصناعية فيها من المراكز الريفية او المدنية

ويدرس المسؤولون في البلاد المتقدمة اشتراكية او غيرها الان تخفيف الاعباء الصناعية عن المدن وابعادها الى خارجها لجملة غايات منها تسهيل المواصلات وحفظ صحة الاهلين من لهاث المصانع الداكن المؤذى ومن جلبتها المزعجة •

من العوامل الجاذبة توافر وظائف العمل في المناطق الصناعية وتيسر مختلف السلع في المدن • وكلما ارتفع دخل المرء اشتد طلبه لسلع الاستهلاك وللخدمات المتهيئة في المدينة ، واقبل على جوانب حضارية وثقافية لايجدها الا فيها • بل ادى تنظيم الغلات الزراعية الى انتقال مراكز النشاط الاقتصادى التابع لها من القرى الى المدن كالتهيئة النهائية لمشتقات الالبان وتحضير اللحوم وحفظها • وهكذا تتكاثر سبل الموارد الاقتصادية في المدن • كانت القرية في لبنان ذات اكتفاء اقتصادى ذاتى • ولكن هذا الاكتفاء طفق يضعف بل يتلاشى واخذت القرية تعتمد في حاجاتها التموينية والاستهلاكية على المدينة واذا كانت طائفة من القرى

في البلاد العربية بقيت تحتفظ بسماتها التقليدية فان تلك السمات تتجه نحو الزوال .

هذا وليس من الضرورى ان تكون المناطق الريفية الفقيرة هى التى يركب ابناوءها متن الهجرة الى المدن . فقد يهاجر من المزارعين من غلاتهم مرتفعة نسبيا ولكنهم يأملون في هجرتهم ان يجدوا احوالا افضل وكسبا اكبر . وقد تكون الامال اكثر مساورة لنفوس المزارعين اولى الغلال الحسنة منها لنفوس اولئك الذين سد الفقر عليهم نوافذها ومساربها . ذلك انكثيرا من الاميين القرويين فى اسيا وامريكا اللاتينية وافريقية يجدون انفسهم غير قادرين على الهرب من اوضاعهم الشقية اذ تنقصهم الكفاءة والحذق لاقتناص الفرص المتاحة . وهذا يدل على انه لا تكفى العوامل الجاذبة ولا النابذة وحدها لتفسير الهجرة التى تقع بالفعل .

هنالك عوامل عامة طارئة بالاضافة الى ما سبق . ان ظاهرة الهجرة الى المدن او منها مرتبطة بالظروف الاقتصادية المتقلبة . فاذا ازدهرت تلك الظروف احتاجت الاماكن الصناعية مزيدا من الايدى العاملة التى تاتى غالبا من الريف . فالريف لهذا الاعتبار ذخر الايدى العاملة . واذا ساءت الظروف توقفت الهجرة او ضعفت وحلت البطالة . بل قد ينقلب تيار الهجرة فيحمل بعض قدماء المهاجرين من المدن الى مساقط روءوسهم لدى بزوغ النشاط الاقتصادى أيا كان نوعه في تلك القرى او لانهم لم يجدوا عملا فآبوا الى اهليهم او هم قد يجمعون امرهم على الهجرة نحو مدينة اخرى . وقد تمنح بعض الدول المتقدمة عونا ماليا للذين لا عمل لهم فهم يمكثون حيث يقبضون من ذلك العون .

ولقد كانت مشقة السفر وتكاليفه كبيرة في السابق ولكن الازمنة الحديثة يسرت المواصلات باشكال شتى . وهذا من شأنه ان يزيد تيار الهجرة ويسهل مجراه .

على ان هذا التيار ليس من الضرورى ان يجرى في جهة واحدة . بل هو في الغالب يجرى في جهتين متقابلتين وان كان تغلب غزارته في جهة على الجهة الاخرى .

العوامل الديموغرافية

الى جانب العوامل الاقتصادية نجد ان العوامل الديموغرافية لا تعدم تأثيرا في توجيه تيار الهجرة وذلك لتفاوت معدل نمو السكان الطبيعي بين مناطق البلاد ، على ان هذه العوامل الديموغرافية نفسها مقترنة بالعوامل الاقتصادية .

من المعلوم ان معدل المواليد في الارياف اعلى منه في المدن . وينجم عن ذلك ان معدل النمو في الاولى اكبر منه في الثانية ، على الرغم من ان معدل الوفيات في القرى اكبر منه في المدن . هذا ما هو حاصل في الوقت الحاضر . ذلك ان معدل الوفيات في القرى ربما كان اضعف منه في المدن حتى امد قريب . بيد ان الامر قد انقلب في عقود السنين الثلاثة الاخيرة فاصبح فى المدن اقل منه في الارياف لاعمار معينة .

لقد تغيرت احوال المدن في العصر الحاضر عنها في الغابر · فقد تقدم العمران واتسعت الشوارع وزادت الخدمات الصحية وتحسنت مرافق الحياة ، وجرت المياه النقمة الى البيوت وتيسرت التدفئة والتكييف ، كما انتشرت النظافة واشرفت الحكومات على تامين السلع الضرورية من اغذية وملابس ومساكن ، الا انه ما يزال في المدن مجال للتحسين في احوال المصانع وفي محروقات مطايا المواصلات كالسيارات والشاحنات وأمثالها (قسم كبير من السيارات والباصات والشاحنات التى تشتغل على المازوت ما تزال في المدن السورية تفسد أجواءها بسناجها الاسود الذى تنفثه) · وما يزال الدخان والضجيج والازدحام يرهق الحياة في المدن · ومع ذلك تتوافر السيطرة فيها على العلل الحادة والامراض المعدية · فمعالجتها الحسنة هنا اسهل منها في الريف ·

ثم ان الصحة لا تتعلق بالاجر ولا بالملاط ولا بالخدمة الصحية ، بل تتعلق ايضا بعادات الناس وهى التى تتحكم فيها التربية والذكاء ، وتتعلق كذلك بالغذاء وبمستوى المعيشة ، وترتبط بمقدار الدخل ، ولو ان هذا الارتباط اخذت تخفف منه قوانين تاميم الطب والضمان الاجتماعى ·

زيادة معدل الوفيات نسبيا في الريف يعدل بعض شيء من ارتفاع معدل المواليد فيه · ولكنه يبقى على ارتفاع معدل النمو الطبيعى السنوى في القرية · ولا بد لذلك النمو الديموغرافي في الريف من ان يغذى المدن القليلة المواليد نسبيا · هذا ما يحصل في كل مجتمع ، وان كان معدل المواليد في المدن العربية مرتفعا في حد ذاته · وسنرى اثار ذلك في القسم الاتى من البحث ·

ثم ان الزواج عامل ديمغرافي في الهجرة الداخلية · فقد يكون الزوجان المتحابان مقيمين في بلدين مختلفين · يذكر الباحثون ان العادات في بعض قرى الهند تفرض على اهل القرية ان يتزوج ابناوءها وبناتها من اهالى قرية اخرى · وبسبب هذه العادات ينجم جزء لا بأس به من الهجرة الداخلية عن عقود الزواج ·

وربما لا يرضى الاهل عن زواج ابنائهم وبناتهم ، فيعمد هؤلاء الى النزوح والاقامة في مكان اخر ·

هذا ، وفي المدن الشرقية الكبيرة اكثر المهاجرين اليها من الذكور الشباب على حين تحمل الهجرة من الارياف في شمالى اوروبة كالسويد مثلا الفتيات اللائى يضقن ذرعا بريفهن الى استكهولم وابسالا وغوتبرغ وامثالها للعمل فيها ، الى حد ان هذه الهجرة الانثوية الداخلية تفضى الى ازمات في زواج الذكور الريفيين الذين بقوا متصلين باراضيهم الزراعية حيث يفوق عددهم عدد الاناث ·

وفي جمهورية مصر العربية تتلقى المدن الكبيرة فيها كالقاهرة والاسكندرية هجرة عدد كبير من اهل النوبة الذكور ليعملوا فيها ويكسبوا بعض المال ولو كان قليلا · وتبقى صلاتهم باسرهم المحافظة في الصعيد قوية · والمرأة منهم شديدة الارتباط بموطنها وقلما تهاجر ·

العوامل الاجتماعية

روابط الاسرة واعتباراتها الاجتماعية الى جانب حاجاتها الاقتصادية قد تدفع بافرادها الى الهجرة ذكورا احيانا واناثا احيانا او بهم جميعا بحسب المناطق . ولا شك ان هذه الهجرة تستلزم الاطلاع في الغالب على توافر وظائف العمل وانواعها وعلى احوال المعيشة . كما ان عامل التقليد الذى اشاد به المفكر الفرنسى «تارد» ذو اهمية . فان الفرد قد يهاجر ، فاذا اطمأن به مكان هجرته الجديدة وتحسنت حاله وعرف ذلك ذووه وجيرانه في قريته او غيرها حملهم ذلك على اتباع طريقه وسلوك منهجه . وقد يعود الى قريته فيكون ما جمعه من مال ايضا حافزا لغيره على الاقتداء به . ولا شك ان للتقليد شانا كبيرا في الهجرة كما في الحياة الاجتماعية ينبغى التنويه به كما فعل « تارد» ومن قبله ابن خلدون وان كان ابن خلدون اكثر اعتمادا على متغيرات متعددة الم بها في بحوثه .

المدن مراكز للعلم فيها من بيوته ومعاهده وكلياته وجامعاته ما ليس في الريف . فيقبل ابناء القرى لينهلوا من معينها . ولكنهم بعد ان يتخرجوا يكونوا استساغوا الحياة المدنية فيؤثروا الاقامة في المدن لذلك او بحكم ممارستهم اعمالهم واختصاصهم او بسبب وظائفهم التى يسعون لها ، وقل ان يعودوا الى قراهم اذ لا تستطيع هذه القرى ان تقدم لهم المزايا التى يجدونها في المدن من جد ولهو ، وكسب ، وتقدم في المناصب ومشاركة عميقة في الحياة الثقافية والاجتماعية ومن المعلوم ان تنوع الاختصاص وعلو المناصب مكانهما في المدن ولا سيما العواصم .

واذا الزمت الدولة الطبيب المتخرج او الصيدلى ان يمارس عمله في الريف آثر ان يتوظف او هو يفتح في الريف عيادة او صيدلية تشتغل خاصة موسم الصيف ، حتى اذا قضى الفترة المطلوبة منه اسرع في العودة الى المدينة .

واذا كان اختلاف العرق وتفاوت اللغة يفسران بعض التفسير ضعف تيار الهجرة الداخلية في الهند لتعدد اللغات فيها ونظام الطبقات وتفاوت التقاليد والعادات فان وحدة اللغة وتشابه التقاليد وعمق فكرة المساواة في البلاد العربية تتجاوز عقبات الهجرة من دولة عربية الى اخرى لغايات اقتصادية او غيرها . ومن الاحرى ان تضعف العقبات وتضؤل ازاء الهجرة الداخلية في لدول الواحدة بالنسبة لغيرها من البلدان .

هذا وسياسة الدولة عامل مهم في دعم تيار الهجرة من منطقة الى اخرى او في تعويقه وحجزه .

يكون دعم تيار الهجرة بفتح مكاتب رسمية تعطى معلومات عن مجالات العمل في مختلف المناطق او في المنطقة المراد توجيه الهجرة اليها ، وباعداد برامج لانواع التدريب المهنى اللازمة كى يتلاءم المهاجر مع العمل الذى سوف يمارسه .

وقد يكون التشجيع على الهجرة بمنح رقع من الارض المهملة للمهاجرين كى يستغلوها كما حصل سابقا في الولايات المتحدة وكندا وامريكا اللاتينية وزيلندة

الحديدة وغيرها وكما يحصل احيانا في العالم الثالث وفي البلاد العربية اذا جرى فيها اصلاح زراعي ووزعت بعض الاراضي في منطقة ما على الفلاحين .

وقد يكون التشجيع على الهجرة ايضا بمنح عون مالى كما حصل في الاتحاد السوفياتى لحمل المزارعين والايدى العاملة المختصة على الهجرة الى المناطق والمدن في شرقي البلاد .

وقد توجد في الدولة مناطق مكتظة بالسكان واخرى متخلخلة بهم . فتعمد الحكومة الى تشجيع الهجرة من الاولى نحو الثانية . لقد نظمت الحكومة الاندونيسية الهجرة فيها من جزيرة جاوة المزدحمة الكثيفة الى الجزر المجاورة القليلة . وشجعت الحكومة اليابانية على الهجرة من الجزر المتوسطة ذات الكثافات العالية الى جزيرة هوكايدو في الشمال . ومع ذلك لاينجح مثل هذه المحاولات النجاح المرجو في تخفيف الضغط السكانى على المناطق المزدحمة .

ويكون تعويق الهجرة الريفية دعما للزراعة في الارياف وذلك بادخال الاصلاحات الاقتصادية والزراعية والاجتماعية والصحية والثقافية . فقد توزع فيها الملكيات الكبيرة وتؤلف التعاونيات ويشجع العمران وتقام صناعات متممة للزراعة وتنشط الحياة الثقافية والاجتماعية .

العوامل الجغرافية

تتناول بعض البحوث علاقة الهجرة الداخلية بالمسافة المقطوعة التي يجتازها المهاجر . ان اختيار المكان والتغلب على بعد الشقة منوطان بعوامل مختلفة كتوافر المعلومات المفيدة عن ذلك المكان وسبل العمل فيه وتشابه الحياة الصناعية والاجتماعية والاجتماعية في البلد الاصلي وفي البلد المقصود . اى ان العوامل الجغرافية متداخلة ايضا مع العوامل الاجتماعية . وربما كان من المناسب ان نشرح بعض الشيء جوانب من تلك البحوث التى تدخل المسافة المقطوعة متغيرا ذا مكانة في الهجرة . ونحن نذكر هذه الامور المعروفة لدى الديموغرافيين رغبة منا في اشاعتها باللغة العربية .

لقد درس رافنستين Ravenstein ظاهرة الهجرة في انكلترة وعدد من المجتمعات الاخرى سنة ١٨٨٥ ولخص نتائج دراسته في سبع قضايا يمكن ان يعتبر مجموعها ضربا من النموذجات السكونية المشتقة من الواقع ، ويشمل عدة متغيرات بعضها جغرافي وهي :

١ ـ اغلب المهاجرين يؤثرون الامكنة القريبة . وكلما نأت الشقة قل المهاجرون

٢ ـ الناس الذين هم على مقربة من المدن الكبيرة يهاجر بعضهم اليها حين تزدهر الموارد الاقتصادية فيها . والفراغ الذى يتركونه في اعمالهم يملؤه مهاجرون ريفيون ياتون من الامكان القاصية في البلاد .

٣ ـ كل تيار للهجرة يقابله تيار معاكس يعدله .

٤ ـ اهل الحضر اقل اندفاعا نحو الهجرة من اهل الريف .

٥ ـ كلما كانت الهجرة قريبة اربى العنصر الانثوى فيها على الذكور .

٦ ـ تقدم الصناعة يزيد في معدلات الهجرة .

٧ ـ رغبة الناس في تحسين احوالهم الاقتصادية اقوى حافز لهم على الهجرة .

هذا الى جانب حوافز اخرى غيره مؤثرة .

هذه العلاقات مر على بيانها تسعون سنة ، وما زال اكثرها سليما وان كان غير حتمي . ومن المعلوم ان الامور الاجتماعية والعلاقات الجارية بينها رهينة التغير الدائم بتغير الاحوال فهي « لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر » كما كان يقول ابن خلدون .

وكانت ميكانيك نيوتون مسيطرة على عقول العلماء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين يحسبون انه يمكنهم اعتمادها في مختلف الاعتبارات ومتفاوت البحوث . فقربوا في ايضاح ظاهرة الهجرة بينها وبين قانون تجاذب الكتل سواء كانت مغناطيسية او غيرها . ولما كانت الكتل هنا عبارة عن المدن والمراكز الريفية زعموا اول الامر ان تيار الهجرة متناسب طردا مع كتلتي قطبين من السكان او مركزين لهم والكتلة هنا عدد السكان في كليهما ومتناسب عكسا مع مربع المسافة .

واختار زيف Zipf علاقة ابسط منها وهي ان التناسب عكسي مع المسافة لا مع مربعها .

ثم اعتمد اندرسون Anderson في دراسته للهجرة بالولايات المتحدة ان التناسب العكسي مع المسافة مرفوعة الى الا س يه اي مع ب يه . ويه هذه تتغير من ٤ر٠ الى ٣ر٣ فالقيم الضئيلة تتعلق بهجرة اهل المدن والقيم المرتفعة تتعلق بهجرة اهل الريف ، وانها بوجه عام هبطت بعض الشيء في غضون قرن (من ١٨٥٠ الى ١٩٥٠) .

وثمة تنويع متعددة لتلك العلاقة التي تدعى احيانا علاقة باريتوزيبف Pareto-Zipf لا مجال للافاضة فيه . وانما يهمنا ان هذه العلاقة تدخل المسافة الفاصلة بين مكان المغادرة ومكان الوصول .

ولما جاء ستوفر Stouffer لم يجد بين المسافة والانتقال من علاقة ضرورية . وانما وجد العلاقة بين الانتقال وتوافر سبل العمل ووظائفه . فزعم ان عدد المهاجرين الذين يجوبون مسافة ما يتناسب طردا مع وظائف العمل المتوافرة في نهاية الطريق وعكسا مع وظائف العمل التي تتهيأ في ابان الطريق . ومع ذلك فان قضية الهجرة اشد اشتباكا من تلك العلاقة البسيطة .

هذا وان الحواجز الطبيعية تؤلف حائلا يقف امام سهولة الهجرة الداخلية في البلاد الواحدة كما هو حاصل في النرويج وسويسرة . فربما كانت التضاريس الجبلية قد قللت بعض الشيء في السابق من شدة الاتساع في عمران مدنها .

ولا شك ان المناخ الطيب ذو اثر بالغ في اجتذاب السكان ، كما ان الاراضي الخصبة والمدن القائمة على ضفاف الانهار وعلى سواحل البحار كانت منذ القديم عاملا جاذبا للسكان (يمكن ان نذكر هنا وادي نهر النيل

الخصيب وكثافة الناس في شمالى تونس بالنسبة الى جنوبيها الذى يتلقى انفاس الصحراء الكبرى الحارة) ٠

ثم ان الانسان نفسه عامل مهم في التغلب على العوامل الجغرافية والمناخية والامثلة كثيرة في هذا المجال ٠ وربما تتغير الامور بالنسبة للاماكن الصحراوية في البلاد العربية اذا احسن تذليل المناخ فيها لراحة الانسان وتوسعة مجال نشاطه ٠

العوامل المرفولوجية

اشرنا عند ذكر العوامل الجغرافية الى ان تيار الهجرة متناسب طردا مع كتلة مركز الهجرة الاصلى وكتلة المركز المقصود ٠ ان التجمع يمكن ان ينظر اليه ايضا من الناحية المرفولوجية ٠ وكان يمكن اغفال هذا العامل المرفولوجي لولا ان باحثا اجتماعيا اصيلا هو موريس هلفاكس من مدرسة دركهايم الفرنسية كان قد نوه به وارجع اليه كثيرا من الظواهر الاجتماعية والديموغرافية والنفسية في كتابه « علم الاشكال الاجتماعية Morphologie sociale وعنده ان شكل التجمع المزدحم او المتخلخل يوءثر بصورة غير مباشرة في مختلف الظواهر الديموغرافية انفسها ٠ فتخلخل السكان في الريف يوءدى الى ارتفاع مواليدهم ، وازدحامهم في المدن يضطرهم الى ضبط نسلهم كما يحصل للمرء في الازدحام حين يلم من ذاته ، وكذلك الامر بالنسبة للاسر ٠ وتناقص معدل الوفيات في المدن ناشيء عن شدة الازدحام ، لان الازدحام يوءلف خطرا كبيرا على حياة الناس ، فلذلك يبتعث الاهتمام بالصحة العامة وبجر المياه وبالنظافة وبمكافحة الامراض والاوباء ٠ فالاهتمام بصحة الفرد ورفع مستوى حياته انما هو من مقتضيات الازدحام ، كما ان الصناعة نفسها وتقدمها منوطان بالوصول الى درجة من الكثافة مناسبة لقيامها وهلم جرا ٠٠

مثل هذا التحليل قمين ان يفسح له في مجال البحوث الديموغرافية وان قل من يشير اليه ٠ ولو هاجر الناس من المدينة الى الريف لسمحوا لنسلهم بالازدياد ٠ ان شكل التجمع يؤثر اذن في معدل المواليد وفي شؤون اجتماعية ونفسية اخرى وهذا من شأنه ان يؤثر في تيار الهجرة ٠ والمؤلف في ذلك وفي لقواعد المنهج الاجتماعى الذى خطه استاذه دركهايم ولا سيما في كتابه توزيع العمل الاجتماعى Division du travail social وان كان هلفاكس اكثر اطلاعا منه على بحوث علم النفس وعلى قضايا السكان ٠

- ٣ -

الآثار الاقتصادية

الهجرة الداخلية كالهجرة الخارجية تزيد العناصر الفتية القادرة على العمل في المكان المقصود ٠ ولهذا ينقص المعدل المتوسط لعدد الاشخاص المعولين بالنسبة للعاملين ٠ ويجرى العكس في المكان الاصلى وهو ارتفاع معدل المعولين من اطفال ومن شيوخ ٠ وربما كان لسهولة التنقل اثر في خفض السن المتوسطة

للمهاجرين ولاسيما في الشرق وخاصة في البلاد العربية ذات المناخ المعتدل • واذا لم يكن هناك سن محددة للسماح بالعمل هاجر صغار السن الى المدينة وقبلوا بمهن بسيطة وباجور زهيدة جدا لعلها تدر عليهم بشيء من المال قد يفيد في سداد حاجات اهليهم الذين بقوا في القرية • وهكذا نجد طائفة من صغار السن هـؤلاء يعملون في المدن التى هى مراكز تجارية وصناعية وسياسية • ويزداد عددهم في الصيف حين تغلق المدارس فينصرفون الى مختلف انواع الاعمال كاعانة بعض البقاليات والمخازن او بيع السلع البسيطة •

ان لتيارات الهجرة الداخلية اتجاهات عامة • ولها اهمية كبيرة في ازدهار الاقتصاد كاستصلاح الاراضى واستغلال مناطق جديدة وتغذية مشروعات الصناعة الحديثة • ولقد كان اتجاه المهاجرين في الولايات المتحدة من الشرق الى الغرب ومن الجنوب الى الشمال وما نزال نجد الناس فيها كثيرى الحركة والتنقل لمآرب اقتصادية متفاوتة • فالهجرة الداخلية ذات مكانة في هذه البلاد • ومن الغريب ان التقدم الصناعى الحديث يجعل من سكانها نموذجا جديدا من اشباه البدو الرحل فقد تبين ان واحدا من خمسة اشخاص فيها يبدل محل اقامته كل سنة •

والهجرة الداخلية في الاتحاد السوفياتى اتجهت في اغلبيتها من الغرب الى الشرق وغدت رهينة التنظيم وساعدت على استغلال مناطق جديدة في آسيا •

واهم نتائج هذهالتحركات السكانية اتساع المراكز المدنية اتساعا كبيرا وتبدل نسب الريفيين الى الحضر في مجموع السكان • وقد انخفضت نسبـة الريفيين في الولايات المتحدة عن ١٠ في المائة • هذه النسبة في العالم الثالـث باقية فوق الوسط على الرغم من انخفاضها ويضؤل ظهور هذا الانخفاض ان كان عدد السكان كبيرا كما في الهند •

من آثار الهجرة الريفية الى المدن زيادة الاستهلاك كما وتحسينه كيفا • ذلك لان الريفي النازح الى المدينة لابد من ان يطلع على انماط جديدة من العيش وان يحس بحاجات حديثة يتأثر بها ويحاول ارضاءها ويحافظ عليها ان رجع الـى ريفه •

ولا شك ان لهذه الهجرة الريفية بعض المغبات الاقتصادية السيئة كانخفاض الانتاجية الزراعية • ولكنه في الوقت نفسه ينبه المسؤولين الى الاهتمام بالريف والسعى لتحسينه بشتى الوسائل • ثم ان السدود المائية الكثيرة في البـلاد العربية والسعى لاعادة توزيع السكان سوف يتلافى تلك المغبات من الوجهـة الاقتصادية • وقد نشات او سوف تنشأ تيارات من الهجرة نحو تلك المناطـق الزراعية الجديدة •

ومن الضرورى انشاء تعاونيات للفلاحين يستطيعون بها ان يتغلبوا عـلى بعض المشكلات الاقتصادية والبيئية • فلا يكفى في الاصلاح الزراعى ان توزع الاراضى عليهم • بل ينبغى تعهدهم الدائم وارشادهم المستمر والاشراف عـلى شؤونهم العامة • والا فهم لدى اى عقبة تعترضهم يحاولون بيع الاراضى التـى

اخذوها للتجار متلاعبين على القانون الذى يحظر البيع . والتعاونيات الزراعية تكون اداة صلات بينهم وبين المسؤولين في الدولة لحل بعض المشكلات البيئية ومكافحة الآفات والعوادى . والناس هنا في الشرق على خلاف ما اشيع عنهم اذا اطمأنوا ميالون الى التعارف والتضامن .

ان فريقا من الناس بسبب ضيق مواردهم في الشرق يتجشمون عقبات الهجرة الى كل مكان للحصول على الرزق . وهكذا نجد مثلا الى جانب مدينة الطبقة او « مدينة الثورة » الحديثة الآهلة بالمهندسين والموظفين ضاحية بسيطة نشأت من صغار الباعة يقيمون باكواخ ومساكن فقيرة ويبيعون بعض السلع لسكان ذلك المركز . هذا الامر الذى لم يكن متوقعا يقتضى من وزارة البلديات والشؤون القروية كما من غيرها من الوزارات البعد عن البيروقراطية والسعى لتلافى مختلف الحاجات المستجدة .

اختلاف التركيب السكانى الذى ذكرناه هنا يمكن ان يورد ايضا في الآثار الديموغرافية .

الآثار الديموغرافية

لا تزيد الهجرة الداخلية عدد سكان الدولة ولا تخفضه بادىء ذى بدء ، لانها تتم داخل الدولة نفسها على خلاف الهجرة الخارجية . ولكنها كالهجرة الخارجية تغير التركيب السكانى في المناطق ولو الى امد ، كما انها تغير توزيع السكان فيها .

ان معدل النمو في البلاد العربية مرتفع جدا ، وهو حوالى ٣ في المائة . وهو في الريف اعلى منه في الحضر كما سلف . فلا تزيد الهجرة الريفية المراكز المدنية الا نموا اكثر وتضخما اسرع .

هذا ، وعلى خلاف ذلك يكون معدل النمو الطبيعى في المدن بالبلاد المتقدمة ضئيلا ولكنه يبقى موجبا . بيد ان نسبة التكاثر الصافي فيها قد تغدو اصغر من الواحد (او عدد لوتكا يكون فيها سالبا) وهذا يعنى ان سكانها متجهون نحو التناقص ان لم تغذها الهجرة الريفية وتزيد في نموها العام .

ان الهجرة الريفية في العالم الثالث تحشد المهاجرين في ضواحى المدن فيتراكمون تراكما سريعا يتجاوز توقع الهيئات البلدية المسؤولة . فيقيم الوافدون في منازل مكتظة تكاد تشبه في بنائها الاكواخ ، لا تخضع للتصميم الصحى ولا تتبع التخطيط المدنى العام . وربما لا تتوافر لدى السلطات المسؤولة الميزانيات اللازمة لتسكين اولئك المهاجرين وتعهدهم بجميع الخدمات المدنية والثقافية والصحية الا بمشقة بالغة . ولا شك ان هذه الامور جديرة بالنظر والاعتبار وبحساب التوقعات المقبلة ورصد الاموال اللازمة . هذا مع العلم ان قسما كبيرا من الميزانيات العامة تذهب لدى بعض البلاد لحاجات الدفاع عن النفس بسبب الاخطار المتلاحمة .

وينجم من تفاوت نسب المواليد بين فئات سكان المدينة تغير جبلتهم

البيولوجيا • ولكن هذا التغير يتم ببطء شديد لا يكاد ينتبه له ولكنه امر واقع •

هؤلاء المهاجرون الريفيون الوافدون الى المدن لابد لهم من ان يتأثروا باحوال المدن وخصائصها الديمغرافية فينخفض معدل المواليد لديهم تدريجيا • وقد يؤدي ذلك الى انخفاض عدد السكان بعد امد في المجموع وان يكن للهجرة الداخلية اثر مباشر في ذلك • الا اذا اتخذت بعض التدابير كالتشريع او غيره •

هذا وقد نشأ في التراث الفلسفي الاجتماعي لدى الغرب نظريات عرقية فوجد بعضها في تيار الهجرة الريفية ضربا من الاصطفاء بحيث يحمل التيار خيرة الريفيين من المغامرين اولى الرؤس المستطيلة على حسب دعواهم • وهؤلاء متى استوطنوا المدن دخلوا في غمار الطبقة المتوسطة من سكانها فبعضهم يرتفع في سلم الحياة الاجتماعية ويصيبه العقم ويبيد ، وبعضهم الاخر يفتقر ويكثر نسله وينزل الى مستوى الطبقات الكادحة على تفاوت في اعتبار هؤلاء الباحثين (انظر اوتو أمون وجورج هانس وفاشر دولابوج) • ولكن اراءهم هذه فقدت قيمتها في الوقت الحاضر ولاشك ان كل ادب عنصري عرقي لاتؤتي الا ثمرات مرة سامة •

(Vacher de Lapouge, George Hansen, Otto Ammon)

وايا كان الامر فان للهجرة الريفية اثارا اجتماعية متعددة •

الآثار الاجتماعية

لابد للهجرة ايا كان نوعها من ابتعاث بعض المشكلات • ذلك ان فريقا من الناس كان يعيش في بيئة روحية واجتماعية فانتقل ليعيش في بيئة جديدة اخرى تختلف عنها • ولعل اشد المشكلات ما اشتملت عليه هجرة افراد القبائل في جنوبي افريقية الى مدنها حيث التفرقة العنصرية تسومهم العنف ومختلف المشقات •

ثم ان هذه الهجرة لابد لها من ان تزيد اغتصاص الاحياء الفقيرة • ويذكر الباحثون انها تزيد في البغاء ونسبة الجرائم وفي خفض مستوى الصحة العامة •

مثل هذا حاصل في مختلف بقاع الارض • الا ان البلاد ذات التخطيط الواسع والاشراف الحكومي اقل تعرضا لتلك النتائج • وهنا نشير الى ان تشرد الاحداث في الشرق قد يكون ناشئا عن تصدع الاسر • الا انه من المناسب ان ننوه هنا ان الناس في الشرق اميل الى التعاون ومد يد المعونة الى الجيران والى التعاضد بين ابناء الاسرة الواحدة والى المسالمة وكراهية الجريمة • واللغة العربية حين تدعو الخير بالمعروف والشر بالمنكر تشير بوضوح الى الجانب الاجتماعي لهذين الامرين كما ان الناس في الشرق يحبون الغرباء ويبذلون مايستطيعون لمساعدتهم • كذلك اكثر الريفيين من صفاتهم التقليدية النظافة ومكافحة الاوساخ في بيوتهم •

على ان للهجرة جانبا أخر وهو ان المثقفين والمتعلمين من ابناء الريف ان في الشرق وان في الغرب بعد ان يتخرجوا يفضلون الاقامة في المدن • وهكذا يضيع الريف افضل عناصره البشرية •

والمدن بعلومها ومعاهدها واختصاصاتها وملاهيها تجتذب الريفيين كما يجذب النور الفراش • وقد يكون من المناسب ان نكمل من التشبية فنقول ان بعض الفراش

يحترق ليتساقط سدى وهدرا ولكن بعضـــه الاخر كالنفوس الانسانية تحترق وتتوهج بسنا المثل العليا على حد تعبير الشاعر الالماني غوته لتنير ميادين الفـن والعلم وامثالهما. فان المدن مخازن التراث وينابيع الحكمة ومواطن القيم الانسانية الرفيعة . ولاعبرة لاولئك المؤلفين العراقيين القدماء الذين نددوا بمساوىء المـدن حين حسبوها متلفة لخصائص العرق مستنزفة لمزايا الحضارة .

ونجد في البلاد العربية هجرة ريفية وافرة نحو المدن يؤلف جزءا منها المثقفون الذين تخرجوا في معاهد المدن او تخرجوا في الجيش واشتغلوا بالسياسة .

والـــذي يجوب شوارع دمشق في الوقت الحاضر لايكاد يتعرف فيهـا ملامح الاسر الدمشقية القديمة لان افواج المتعلمين والموظفين والسياسيين وضبـــاط الجيش قد استوطنوها وشغلوا احياءها الحديثة على حين تفرقت تلك الاسر القديمة وقل شانها . بل اللهجة المحلية الدمشقية قد تبدلت وحل محلها لهجة جبلية او شبه صحراوية اقرب الى اللهجة العربية الصحيحة . ومثل ذلك واقع في حلـب وحمص كما هو واقع في مدن عربية غيرها كالقاهرة والاسكندرية .

الاثار الجغرافية

من خصائص التقـــدم الحديث انه ربط القرى والمدن بالطرق المعبدة ويسر وسائل المواصلات بينها فاصبح السفر بين داني البلاد وقاصيها يسيرا بالسيارات والقاطرات والطائرات بعد ان كان يشتمل على مشقات كبيرة ومخاطر جسيمـــة كما اشرنا الى ذلك من قبل . فاصبحت المسافات وكأنها اقرب مما كانت . فازداد الحراك الجغرافي ازديادا كبيرا .

لقد قل تجمع الاسر والعشائر والطوائف وامثالها مما كان يؤلف اطارا يحف بالمرء من كل جانب ويمسكه في معترك الحياة ويـربطه بمحيطه الانسانـي وبمحل اقامته . فتفرقت تلك الجماعـات وانتشـرت في غـمار الحـياة ومناكـب السـعي والكسب ، وغدا المرء كائنا مغفلا بين سيول الجماهير الغفـيرة يشـعر بوحـدته ولا يرتبط الا بعمله ووظيفته ، وصار الانتاج والاستهلاك هما المقولتين الهامتين في كيان المدينة المتسعة.

لنضرب امثلة واقعية . ان اقصى قرية في لبنان تبعد من بيروت بعدا لا يتجاوز ١٣٠ كلم . ولقد كان تعبيد الطرق في لبنان من غاياته خدمة القرى وكان بها سابقا نوع من الاكتفاء الاقتصادي الذاتي من تموين واستهلاك محليين فاذا بهـذا الاكتفاء يتلاشى لتعتمد القرية في حاجاتها التموينية والاستهلاكية على المدينة .

واذا كانت القرى في لبنان جميلة ومتقدمة فانها في سورية على الرغم من الطرق الواصلة بينها وبين المدن بحاجة كبيرة الى العناية والى دعم الحياة الاجتماعية كي يتسق ذلك مع جمال الريف وحسن افاقه .

هذا وتاخذ بعض البلاد العربية حديثا بشق الطرق بين ارجائها الواسعة بالاعتماد احيانا على بعض الدول الاجنبية كالصين مثلا او الاتحاد السوفياتي كما في اليمن . على ان بعض البلاد العربية الاخرى مـا زال بعض مناطقها محتاجا للطـرق الجيدة والمواصلات اليسيرة ، ولا سيما اذا كان بعض هذه المناطق جـزرا صغـيرة قليلة السكان شحيحة الخيرات كجزر « كوريا موريا » في جنوبي عمان .

لقد كانت الطرق قديما في شمالى افريقية والمغرب العربى موازية لساحل البحر الابيض المتوسط ، اذ كانت ترتبط بين مجتمعاتها وتيسر الانتقال من بعضها الى بعض • ولكن الظروف التاريخية التي طرأت على البلاد جميعها جعلت الطرق في تلك المناطق عمودية على ساحل البحر • وهذا من شأنه ان يبدل اتجاه تيار الهجرة •

ان الحياة المدنية الحديثة اصبحت تبتعد في كل مكان من اشكالها الهادئة المتمهلة الريفية السالفة التى لن تعود لان التاريخ لايرجع الى الوراء •هذا الوضع العام الحاضر عاقبة التطور الاقتصادي العميق والتكنولوجي الحثيث • والبلاد العربية سائرة في هذا الطريق والمهم الان في هذا التطور هو اسباغ مزايا القلب والروح في اجواء المدن بالاضافة الى حسن التخطيط والتنظيم العقليين • ولقد قيل ان المدينة تغذي العقل وان الريف يقوي الروح •

على ان الاتساع الكبير في عدد السكان المدنيين جعل حكومات بعض البلدان تتخذ التدابير المناسبة لتقوية تيار الهجرة الى الارياف ولاشك ان وسائل المواصلات اليسيرة وجمال الريف وادخال بعض الصناعات فيه امور تدعم ذلك كما ان شيوع الهاتف والراديو والتلفزيون يقلل العزلة فيه ويزيد من الاتصال بالمدن اى زيادة •

ومثل هذه القضايا قد تورد في الاثار الاجتماعية كما قد تورد في الآثار المرفولوجية

الآثار المرفولوجية

هذه الآثار هى ما سبق من آثار اقتصادية وديموغرافية واجتماعية منظورا اليها من وجهة البنية والشكل • فلا شك ان المدينة تضغط على سكانها بطرق مختلفة كارتفاع النفقات وضيق المساكن وحب اللهو وزيادة الاستهلاك كما وتحسينه كيفا وكالمشاعر النفسية والسلوك الانسانى مثل حب الارتقاء في السلم الاجتماعى ومعقولية التصرف كما نوه بها ارسين دومون Arsene Dumont ومن جراء هذا الضغط يحصل تناقص في معدل المواليد ، وفي الوقت نفسه تناقص في معدل الوفيات بالتدابير الصحية والعلمية المختلفة • وقد يكون المرء واعيا لهذا التأثير ، ولكنه فى الغالب لايعيه •

مثل هذه الاثار المرفولوجية موجود في الحيوان وفي النبات • وقد اشار الى ذلك المفكر العربى القديم الجاحظ حين ذكر ان الدجاج يقل بيضه في القن اذا تكاثر ، وان النخيل تقل ثمراته اذا تكاثف اذ يدخل بعضه الحيف في ازدحامه على بعضه الاخر • وربما كان مثل ذلك حاصلا في اكتظاظ الناس بسبب ان الانسان كائن طبيعى يخضع للقوانين الطبيعية • ولكن الانسان في الوقت نفسه يستطيع دائما ان يتلافى مشكلاته بارادته الحصيفة وحريته الخلاقة وتخطيطه المعقول •

— ٤ —

من العرض السالف استبان تداخل الاسباب والاثار المختلفة واشتباكها اشتباكا قد يوحى بما يشبه تكرار بعض القضايا • ولا شك ان الفكر بعد ان

يسلك سبيل التحليل يعمد الى التركيب فيحيط بتلك العوامل جملة واحدة ليتفهم طبيعة الظاهرة التى يتأملها وهى هنا الهجرة الداخلية ٠

وقد اغفل البحث حركات البدو والحركات الموسمية عامة وان كانت طريفة تستحق الانتباه ٠

حركات البدو الرحل في بادية الشام موسمية ٠ فهم يتنقلون في طرق معروفة يسلكونها مع مواشيهم بين مواطن لهم شتوية وصيفية ٠

ويفد الفلاحون المتعطلون في سورية رجالا ونساء الى المناطق الزراعية في موسم الحصاد ليقوموا به تلقاء بعض الاجور الزهيدة ٠ فتمتلىء بهم اسواق المدن قادمين اليها من القرى القريبة ٠ وهم حين يكونون في ساحات حمص وحماة مثلا بانتظار عقود العمل يقومون برقصات الدبكة الشعبية الجميلة الشائقة للتسلية ٠ وقد ضوءلت هذه التحركات بسبب دخول الات الحصاد الحديثة ٠

كما ان تحركات الناس في لبنان بين الجبل المطل على البحر والمدن المستلقية على الساحل قوية في جميع الفصول ولاسيما الصيف والشتاء ٠ ويكان يتضاعف سكان بيروت في الشتاء عنهم في الصيف ٠ ويكفى تامل تيار السيارات الكثيف الهابط عند الصباح من الجبل الى المدينة والصاعد بعد الظهر وعند المساء من المدينة الى الجبل لتقدير تلك الكتل البشرية المضطربة بين ذينكم القطبين ٠ ولا ننس في لبنان الشمالى ترجح سكان زغرتا بين هذه القرية على سفح الجبل للاعمال الزراعية وبين قرية اهدن القريبة من القمة للكسب في موسم الاصطياف ٠ وكأن ايقاع النشاط الانسانى يتبع ايقاع الموسم والمناخ ٠

عند تامل تيارات الهجرة عامة قد يمكن ان نفضى الى خواتم مختلفة ، كأن نقول مثلا ان المجتمع الانسانى كيان عضوى كالجسد ياتى في الترتيب فوق الفرد وفوق الحيوان والنبات من جهة الحركة ٠ النبات لايتحرك بذاته ، والحيوان يتحرك بذاته جملة واحدة ، والمجتمع يتحرك جملة كالقبيلة او الجماعة او باجزائه اى افراده ، كما كان يقول بعض علماء الاجتماع (ليلنفلد)

ويمكن ان نفضى الى نتيجة فلسفية كان يقال : ان الحركة اصيلة في الكون من اجزاء الذرة الى المجتمع الانسانى والى ما هو اوسع من ذلك ، وان الانسان على وجه الخصوص مفطور على الحركة ٠ وكأن مركز «انا» يقع خارجا عن ذاته فهو يلتمس واعيا او غير واع هذا المركز ليحقق ما ينشده من توازن واطمئنان نفسى واجتماعى ٠ وهو في ذلك كله يهرب في وجوه اضطرابه عبثا من مصيره المحتوم الراعب الذى لا بد من ان يلاقيه الا وهو الموت ٠

ولكننا نؤثر ان نكون اكثر واقعية وتحديدا بان نوجه افكارنا نحو المشكلات المختلفة التى تبتعثها الهجرة الداخلية وهى متعددة في كل مكان من الارض ٠ الا انها اكثر وضوحا في العالم الثالث ٠ وتزداد حدة في البلاد التى تتلقى لاجئين في احضانها الى جانب تيار الهجرة الداخلية ٠

لقد آن ان يتوطد الوعى على ان الانسان اخو الانسان كما قال ارسطو منذ قديم الازمان بصرف النظر عن القوميات والعروق والاديان ، وان التعاون ضربة لازب في مرحلة التطور الحديث ، وانه من الضرورى وضع حد نهائى

للحروب وتخريب المنازل والقرى والمدن ولكل انواع العنف • فللانسانيـــة مشكلات اخرى غير ذلك ينبغي ان تتوجه لحلها •

على اننا في عصر يؤذن كل شيء فيه بالتغير نظرا للتطور الكبيـــــر في التكنولوجيا • ولا احد يستطيع ان يستشف المستقبل وان يتوقع ما فيه مـــن مفاجات • وربما جاء يوم فتح له في باب الهجرة فصل يتعلق بقضايا النازحـين من الارض الى كواكب اخرى ملائمة •

بيروت **د • عبدالكريم اليافي**

المراجـــع

العربيـــة :

١ ـ المعجم الديموجرافي المتعدد اللغات ـ وزارة الثقافة ، القاهرة ١٩٦٦
٢ ـ عبدالكريم اليافي في علم السكان جامعة دمشق ١٩٥٩
٣ ـ عبدالكريم اليافي فصول في المجتمع والنفس دمشق ١٩٧٤
٤ ـ عبدالكريم اليافي تمهيد في علم الاجتماع جامعة دمشق ١٩٦٣
٥ ـ القوى العاملة في لبنان ـ تحقيق بالعينة ـ مديرية الاحصاء المركـــزى ، بيروت •

الانكليزية

1. The Determinants and Consequences of Population Trends. ST/SOA/ser A/17 United Nations, 1953.
2. Benjamin B-Demographic Analysis, London. 1948.
3. Bogue, D.J. — Principles of Demography U.S.A., 1969
4. Shryock, H.C., Siegel J.S. and Associates. The Methods and Ma-Terials of Demography. Bureau of Census, U.S.A., second printing 1973.
5. Spiegelman, M., Introduction of Demography, Revised edition, U.S.A., 1970.
6. Wrong D.H. Population and Society, Random House — N.Y. third **edition 1967.**

الفرنسية

1. Courbage, y. et Fargues, Ph., La Situation Démographique **au Liban, T. 2 Publications de l'Université** Libanaise, Beyrouth, 1974.
2. Courgeau. A., Les Champs migratoires en France, I.N.E.D., cahier No. 58, 1970.
3. Halbwachs M., Morphologie Sociale, Collection Armand Colin.
4. Henry, L. Demographie, analyse et modèles, Paris, Larousse, 1972.
5 Hugon, P. — Démographie, Dalloz, 1971.
6. Landry, A. — Traité de démographie, Payot, 1945.
7. Sauvy, A., Th orie Général de la Population. Vol. 2. P.U.F. 1966.

اليهودي التائه

الدكتور ناجي التكريتي
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

تصور انك جالس في الطابق الثالث من نادى جامعة كامبرج الشامخ البناء ، حيث يطل على نهاية نهر وبداية نهر جديد ٠٠ فتحت اقدام النادى ينتهى نهر (كرانتا) ولا يتلاشى ماؤه ابدا ، فهو لازال يتدفق بعنف عبر الغابات والحقول ثم يتحول خلال قناطر وقنوات الى نهر (كام) الذى يبدأ يتلوى خلال مدينة كمبرج بتأن وهدوء ٠

وما ان انتهيت من قراءة الجريدة التى في يدك ، ونظرت الى الامام حيث الشلالات تتدفق على الجوانب شابة متدافعة ، وحولها المروج خضراء زاهية ٠٠ وتطلعت الى ساعتك فوجدتها قد نافت على السادسة مساء ٠٠

وتحركت لتقف في صف طويل لتناول طعام العشاء ، حيث ينتظر امامك من الاساتذة والباحثين اناس كثيرون ٠٠ فليس من المستغرب ان تجد امامك من ناف عمره على الثمانين ، وهو يحمل اناءه بيد مرتعشة وبنفس باسمة وامل في الحياة كبير ٠٠ وتلفت خلفك لترى حامل جائزة نوبل يبتسم لك بتواضع وبساطة ، وعندما تحاول ان تفسح له المجال احتراما ، ينحنى لك بادب جم مؤكداً عليك ان تبقى في مكانك ويبقى في مكانه ٠٠

ها انك تحمل طعامك لتجد قاعة الطعام ، على سعتها ، ممتلئة بالنساء والرجال ، فتجيل النظر عبر الرؤوس الكبيرة المنهمكة في التحدث ، وفي تناول الطعام ، فتجد كرسيا فارغا ٠٠ هناك ٠

وتقدمت مستأذناً من الشخص الذى كان يجلس قبلك على كرسى مقابل ، فيبتسم لك مشيرا لك بالجلوس ، وما ان تاخذ مكانك حتى يهز راسه محييا بهدوء ٠

وتطلعت الى الرجل الذى يجلس امامك فالفيته حنطى اللون اقنى الانف ربعة ، لاهو بالقصير ولا هو بالطويل ، لازال يسبح في اواسط العقد الخامس من عمره ، وقد ارتدى بدلة بنية فاتحة ، وكانت عيناه تتراءيان واسعتين من خلف نظارة مذهبة الجانبين ، وقد تبرقع وجهه بمسحة حزن دفينة وما ان بدأت الاكل حتى انتهى هو من طعامه ، حيث اخرج غليونه ووضعه بين فكيه وداعبه وهو يشعل عود الثقاب ٠٠ وقد احسست انه يسترق اليك النظر من خلال عويناته ٠٠ ويبتسم ثم لم يلبث ، بعد ان نفث دخانه بهدوء ان سالك :

— هل انت طالب هنا ؟

— نعم

– ماذا تدرس ؟
– الفلسفة
– اى عصر ؟
– مقارنة اسلامية يونانية .
فابتسم اكثر ، وهو يزيد :
– في اى كلية تدرس ؟
– اما نويل كوليج
– ومن اى بلد ؟
– من العراق .
وما ان عرف بلدك حتى عض غليونه من جديد .. ثم شرد قليلا خلال سحائب الدخان التى كانت تتعالى في السماء التى تفصل بينك وبينه .
واردت ان تسأله نفس اسئلته ، لانك تراه لاول مرة في هذا المكان .. فبدأته .
– هل استطيع ان اسالك من اى بلد انت ؟
فابتسم وهو يمسك طرف غليونه بيده ليجيب :
– من اسرائيل !
وتوقفت اللقمة في مؤخرة فمك ، وانت تفتح عينيك جيدا ، لترى انه نطق بهذه الكلمة والاسى يقطر من قسمات وجهه ، والمرارة تشع من محاجر عينيه بوضوح .. وكانت فترة صمت ثقيلة ، رغم ان احدكما لم يحول نظره عن الاخر في فترة الصمت هذه قط ، والتى لم تطل الا لحظات قصار ، حيث تكررت الاسئلة وكأن كل شيء طبيعى في هذا المكان الذى لايحتاج الى نرفزة ، ولا يحتاج الى ثورة اعصاب :
– هل انت زائر لكمبرج ؟
واكتفى بان هز رأسه ايجابا والغليون في فمه ، بينما اضفت :
– لفترة قصيرة ؟
– لا ادرى !
تصور انه هز رأسه حائرا ، ونقر طرف المنضدة برأس غليونه نقرة خفيفة ، وهو يكرر بالم ظاهر :
– نعم لا ادرى
فابتسمت لهذا الجواب ، بينما اردف هو موضحا :
– اننى خارج لتوى من اسرائيل
– اتعنى انك قادم الان من اسرائيل ؟
– هذا صحيح ولكنى سوف لن اعود الى اسرائيل
– لماذا ؟

– تصور اننى يهودى من امريكا ، هاجرت الى اسرائيل مع من هاجر قبل عشرين عاما ، وانا احمل شهادة الباكالوريوس في التاريخ .. تصور ان اسرائيل ارسلتنى الى هنا .. الى جامعة كمبرج ، واكملت الدكتوراه على نفقتها .. اعنى

اسرائيل ٠٠ ورجعت الى هناك ٠٠ وعينونى مدرسا في جامعة تل ابيب ٠٠
انني قلت لك انني عشت هناك عشرين عاما ، واستاذا في جامعة العاصمة ، واسكن في ضاحية من ضواحي العاصمة ٠٠ ولكن مع هذا لم اعد اطيق العيش هناك بعد هذا الزمن الطويل ٠٠ انني قادم الى كمبرج الان ، فاذا وجدت مكانا في جامعتها فسأبقى هنا ٠٠ والا سازور بعض الجامعات البريطانية الاخرى بحثا عن عمل ٠٠ واذا لم اجد هنا ٠٠ فسوف ارجع الى موطنى الاول ٠٠ امريكا ٠

تصور انني اعيش في العاصمة واعمل في جامعتها ولكن تمر الليالى دون ان يغمض لنا جفن ، زوجتي وانا ٠٠ ونخرج كل صباح للعمل ونحن غير متأكدين هل سنلتقى في اخر النهار ام لا ٠ ؟ استيقظ صباحا لاركب سيارتى وانا اوجس خيفة ٠٠ واذا ركبت الباص فاتوقع انفجاره في كل لحظة في عرض الشارع ٠٠ واذا اردت السفر الى مدينة اخرى بالقطار ففى كل لحظة تمر نحس اننا غير امنين على انفسنا في اللحظات القادمات ٠٠ اما الطيارة ففكرة السفر فيها قد تلاشت عندنا انا وزوجتي من زمان بعيد ٠٠ تذهب زوجتي لاقرب مخزن لتشترى حاجيات البيت فتودعنى قبل ان تذهب وكانها سوف لن تعود ٠٠ وان من يراها يتصور انها تودعني الوداع الاخير ٠

تصور انك تجاهلت السبب عمدا ، فسألته ليخبرك هو نفسه عن الذى جعل حياته هناك جحيما لايطاق بعد سكنى عشرين عاما ٠٠ وهام على وجهه تائها ما بين مدن اوربا وامريكا :

ـ وما سبب كل هذا الخوف ؟

فاجابك وهو يهز رأسه :

ـ الفدائيـــون

وران عليكما صمت قصير ثم اضاف :

ـ والغلاء الذى لايوجد له مثيل في العالم ٠ وسوء الوضع الاقتصادى وفوضى التفرقة العنصرية ٠٠ وخيبة الامل في الجنة الموعودة ٠٠ كل هذه الامور دفعت بنا انا وزوجتي الى اليأس ٠٠ والهروب ثم قام وهو يودعك بابتسامة حائرة ٠٠ بينما شيعته انت بابتسامة مشفقة ٠



لماذا تخلف آل عثمان عن نجدة مسلمي اسبانيا

محمد جميل بيهم

قصة المسلمين في اسبانيا

لما تفرق شمل العرب في اسبانيا بعد انهيار الدولة الاموية ، وصال عليهم الاسبان وتولى كبر ذلك دولتا اراغون وقشتالة خفت دول البربر اصحاب مراكش لنجدتهم ، واجتازت الحدود تباعا : المرابطون والموحدون والمرينيون . فكانت الواحدة تلو الاخرى تدفع هجمات الاعداء ، وتعيد للمسلمين كرامتهم .

ورغم ما كان يتخلل ذلك من تنازع على السلطة بين هؤلاء البربر وبين العرب فقد ظل الاسلام عزيزا في تلك الديار الى وفاة السلطان يعقوب المريني . لقد اعترضت هذا السلطان مصاعب كثيرة في شمالي افريقية اثارها عليه بعض الطامعين من قومه البربر فذللها بحكمته او قوته ، ثم مني في اسبانيا بمشاكل مثلها في الخطورة اثارها عليه بنو الاحمر اصحاب غرناطة فتغلب عليها ايضا ، وانصب بعد ذلك كالسيل الجارف على الملك سانش الاسباني فانتصر عليه (٦٨٤ هـ ـ ١٢٨٥ م) واضطره للتوقيع على شروط من شأنها ان تعيد للمسلمين كرامتهم . غير ان وفاة هذا السلطان في ذلك العام كانت نقطة انطلاق لانشقاق جديد وقع فيه المسلمون في شبه جزيرة ايبريا افضى في اخر الامر الى جلائهم عنها وليس مرد ذلك الى ان خلفاءه كانوا لا يتمتعون بمثل كفائته فحسب ، بل لما قام بينهم وبين بني الاحمر اصحاب غرناطة من خصام كان يحمل هؤلاء ، في بعض الاوقات ، على الاتفاق مع الملك سانش . على ان هذا الصراع بين المسلمين ساعد الاسبان على التقدم تباعا في بلادهم حتى حصروهم في غرناطة وما حولها عند ساحل البحر .

وكان فردناند الخامس ، المعروف بالكاثوليكي ، ملك اراغون ، يوالي الضغط على غرناطة . وما ان تزوج بأيزابيل ملكة قشتالة واتحد بذلك عرشاهما حتى اتيح له ان يقضي القضاء المبرم على بني الاحمر فسلمت اليه غرناطة سنة (٨٩٧ هـ ـ ١٤٩٢ م) على شروط مدارها احتفاظ المسلمين هناك بحريتهم الدينية وكرامتهم الاجتماعية .

ولكن الملك فرديناند لم يلبث الا قليلا حتى نكث بما قطعه لهم من العهود . ولم يمض على سقوط غرناطة الا ست سنوات حتى اجبرهم على التنصر وشدد في معاقبة الذين استمروا يقيمون منهم الشعائر الاسلامية سرا . وبلغ من ظلمه انه كان يعذب هؤلاء اشد العذاب ، ولا يتورع عن احراق بعضهم ، هذا فضلا عن تعقبه الذين لجأوا منهم الى بعض الجبال منفذا في ذلك احكام مجلس التفتيش

هذا المجلس الذى انشىء سنة ١٤٨١ ثم لم يكن ضربة قاضية على المسلمين واليهود فحسب ، بل شملت مظالمه المسيحين الاحرار افرادا وجماعات ٠

وجرى خلفاء فردناند مجراه في اضطهاد المسلمين الى ان اجلوا البقية الباقية منهم في مطلع القرن السابع عشر ٠

ما هو عذر الترك في التخلي عن اخوانهم المنكوبين والتعاقد مع الافرنج ؟

تلك هي قصة مسلمي اسبانيا في نكبتهم الكبرى ٠ وهذه القصة عاصرت ال عثمان فابتدأ الفصل الاول منها اثناء قيام سلطتهم في الاناضول ، وانتهى بزوال دولة غرناطة بعد تسع وثلاثين سنة على دخول قسطنطينية في حوزة السلطنة ، واما الفصول التالية التى تستعرض العذاب الذى كان المتخلفون في اسبانيا عرضة له والتى تشير الى حملهم المسلمين على ان يختاروا بين التنصر ام الجلاء فقد وقعت خلال حكم السلاطين بايزيد الثانى وياوز سليم وسليمان القانوني وسليم الثانى ومراد الثالث ومحمد الثالث وذلك في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ابان ما كان العثمانيون في اول واخر هذين القرنين من اسياد العالم ، وكانوا في وسطهما اسياد العالم الوحيدين ٠ وهم ما كان بوسعهم حينئذ ان يدفعوا الغائلة عن المسلمين فحسب ، بل كان بوسعهم ان يحتفظوا باسبانيا للمسلمين ، فضلا عن استطاعتهم انقاذهم من ذلك الاضطهاد العظيم ٠

ان هذه القصة المؤلمة وما خلفها من عواقب كثيرا ما تبعث على التساؤل : (لماذا تخلى ال عثمان ، ابان قوتهم ، عن ابناء دينهم في الغرب على حين انهم ظهروا في اللحظة الاولى من قيام دولتهم ، بمظهر المتعصبين للاسلام المجاهدين في سبيله وذلك في عصر جاء خلفا للحملات الصليبية على الشرق ، وعاصر الحملات الصليبية في الغرب ، وكانت أجواؤه مليئة بالتعصب للدين عند المسلمين والمسيحين على السواء ٠ ؟)

والواقع ان لبنى عثمان عذرهم قبل السلطان محمد الفاتح لما اصابهم من الاحداث الداخلية التى افضت الى انقراض سلطتهم بالغزوة التيمورلنكية ، وحملتهم ٠ من بعد ، على لم شملهم واعادة دولتهم ، هذا فضلا عما خلف ذلك من انكسار عظيم اصابهم في حرب النمسا ايام مراد الثانى (١٤٢١ ـ ١٤٥٩ م)

ولكن ما عذرهم بعد ان استتب لهم الامر في عهد ابنه محمد الفاتح (١٤٥١ ـ ١٤٨١ !) هذا السلطان الذى ما ان ادرك امنيته من القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م حتى راح يسترسل في الفتوحات ، فاخضع نهائيا ممالك الافلاق والسرب والبوسنة والهرسك والالبان في اوروبا ، كما استولى على سلطنة قرمان في الجانب الاسيوى بالاناضول ، وذلك اثناء ما كانت دولة بنى الاحمر بالاندلس تشرف على الاحتضار

واذا انتحلنا لمحمد الفاتح عذرا ما ، فما عذر ابنه بايزيد الثانى (١٤٨١ـ ١٥١٢) الذى عاصر فردناند المسمى بالكاثوليكى (١٤٧٤ ـ ١٥١٦) وكانت تصل اليه انباء مظالم مجلس التفتيش وسومه المسلمين سوء العذاب ، فضلا عن اجبارهم على التنصر وحرق من يقوم منهم سرا بممارسة الشعائر الدينية ؟ ٠

وما عذره وقد وصلت اليه الوفود من مسلمي الاندلس مستجيرة ولكنه بدلا من انقاذ اخوانه المستجيرين به انصرف الى محاربة مماليك مصر المسلمين ، والى غزو قبرص ، والاستيلاء على سواحل المورة في اليونان . ؟

اجل هذه غرناطة عاصمة بني الاحمر ، التي كانت اخر ملجأ لمسلمي اسبانيا امست على شفا جرف هار ، ولم يبق لها امل الا بنجدة تاتيها من ال عثمان اولئك الذين اصبحوا بقوتهم المتفوقة سادة البر والبحر .

وهذا ابو عبد الله اخر ملوك غرناطة يبعث سنة ٨٩٢ هـ ١٤٨٧ م رسولا الى السلطان بايزيد الثاني يلتمس منه النجدة على فردناند ولكن السلطان وضع اصابعه فى اذنيه ، ولم يستجب لاى نداء

هل صحيح ان السلطان ساق عمارة لنجدة مسلمي الاندلس ؟

اذا استثنينا ما قاله صاحبا كتاب العالم بان السلطان استجاب لنداء الاندلس وساق اسطولا لنجدتها بقيادة رجل من حاشيته اسمه جمال نظرا لما كان يتمتع به من الجمال الفائق ، اذا استثنينا هذا الخبر فانا لا نجد في كتب التاريخ ما يشير الى هذا الاسطول او الى التنويه بنجدة قدمها السلطان لمسلمي الاندلس مما يجعلنا نشك في صحة هذا الخبر .

وربما كان يعود هذا الاغضاء عن مسلمي الاندلس الى الحرب التى نشبت وقتئذ بين السلطان بايزيد ومماليك مصر الشراكسة تلك الحرب التى استمرت عدة سنوات ، وصرفت ايضا ملك مصر عن الاستجابة لاهل الاندلس الذين استنجدوا به ايضا . غير ان هذا العذر هو اقبح من ذنب لان كلا من العثمانيين ومماليك مصر انصرفوا الى التقاتل بدلا من ان يجدوا في انفسهم حافزا لانقاذ الاندلس .

او ربما كانت الثورات التى نشبت في المجر عقب وفاة مليكها مانياس كورفن في سنة (٨٩٧ هـ ـ ١٤٨٢ م) هى التى شغلت السلطان عن اخوانه بالاندلس ، اذ خيل له ان الفرصة سانحة للاستيلاء على بلغراد التى عجز عن فتحها سلفه تاركا دولة بنى الاحمر تقع فريسة بين انياب الاعداء .

على انا اذا افترضنا وجود مبرر ما للسلطان بايزيد المشار اليه لانصرافه عن نجدة غرناطة اثناء احتضارها فماذا عسانا نجد من المعذرة لياوز سليم (١٥١٢ ـ ١٥٢٠ م) الذى كان يسمع انباء اجبار المسلمين على التنصر والتنكيل بهم وذلك بعد سقوط ملجئهم الاخير في تلك الديار ، فما عذره وهو الذى كان يرى الدنيا صغيرة لان يحكمها اكثر من عاهل واحد .

اننا لا نجد له عذرا اذ تحول عنهم الى حروب كان يشنها على اخوانه المسلمين في بلاد فارس ومصر وبلاد الشام . وفوق ذلك فهو لم يتورع عن ختم ايامه بعقد معاهدة مع اسبانيا ضاربا صفحا عن كل ما ترتكب بالمسلمين من المنكرات . وكانت تلك اولى المعاهدات التى عقدت بين السلطنة واسبانيا .

ثم عاصر السلطان سليمان القانونى (١٥٢٠ - ١٥٦٦) فيليب الثانى بن شارلكان ، وهو الذى سجلت ايامه اعظم مظالم ارتكبها مجلس التفتيش .. وكان رعاياه المسلمون خلال ذلك يتطلعون بفارغ صبر الى ال عثمان الذين جمعوا ، في ذلك الحين ، بين السلطتين السياسية والروحية ، كما جمعوا بين السيادتين البرية والبحرية .

وكان من حقهم ان يتطلعوا الى السلطان سليمان القانونى وهم يرونه قد استجاب في الامس القريب الى نداء فرنسوا الاول ملك فرنسا حينما وقع اسيرا في قبضة شارلكان ، فانقذه من الاسر ، وحرر بلاده من الامبراطور الذى كاد يكون تاجه تاج اوروبا قاطبة .

بيزنطة المهزومة تثار لنفسها من العثمانيين

ولكن سليمان رغم انتصاره على شارلكان ، الذى كانت اسبانيا جزءا من البلاد الخاضعة له ، لم يحفل بمصير المسلمين هناك . وما نرى سببا لذلك التغاضى الا ان يكون قيام ال عثمان على انقاض البيزنطيين قد انتزع من قلوبهم ما كان عند ابائهم من قبل من الحدب على الاسلام والمسلمين ، خصوصا بعد ان اصبحت امهات وزوجات كثيرين منهم اوروبيات . وعلى هذا الافتراض تكون بيزنطة التى كان لتسرب المبادىء الاسلامية الى اوساطها الدينية اثر كبير في خلافاتها الداخلية تلك الاختلافات التى قضت على امبراطوريتها ، تكون بيزنطة قد ثارت لنفسها اذ اضفت روحها على ال عثمان الى حد انها جعلتهم لا يبالون بأخوانهم مسلمى اسبانيا ابان نكبتهم الكبرى . واما المساجد الكثيرة التى لا تزال قائمه في عاصمة الدولة وغيرها التى تنوه بماثرهم الدينية فما كان تنافسهم في تشييدها الا قصد اكتساب عطف الشعب وكذلك يقال بالنسبة للحروب التى كانوا يواصلونها في اوروبا الشرقية بعد فتح القسطنطينية فهى حروب وان ظلت تتسم بالطابع الدينى عندهم وعند الافرنج الا انها ، في الواقع ، كانت ترجع الى اسباب سياسية ، قبل كل شىء اخر ، ولا سيما بالنسبة لال عثمان .

بل وان القسطنطينية التى استولوا عليها سياسيا قد استطاعت ان تستولى عليهم من الناحية الاخلاقية فتجعل مصيرهم من ثم كمصير الامبراطورية البيزنطية من حيث الانهيار .

ولقد كان من المؤسف ان الخلافة انتقلت الى ال عثمان حينما صار هؤلاء لا يشعرون مع الاسلام ، ولا يابهون لنصرة المسلمين فامسى لقب الخليفة عندهم (حامى حمى الدين) لقبا اجوفا ليس فيه ذرة من الحقيقة .

ولا بدع وهذا السلطان سليم الثانى (١٥٦٦-١٥٧٤) الذى خلف والده سليمان على ملك عظيم ، والذى قضى حياته في احضان المحظيات بين الكاس والطاس حتى لقب عند الافرنج بالسكير ها هو يفضل فتح قبرص على انقاذ المسلمين من جور مجلس التفتيش والقيمين عليه . ذلك لان سميه اليهودى وصف له خمر هذه

الجزيرة فما تردد في الحملة عليها ثم ما تردد في اقامة هذا اليهودى واليا عليها ليختار له افخر خمورها ٠

وقد علق المؤرخ ليوبولد رنكى على هذا بقوله :

(لما صارت السلطنة الى سليم الثانى عرض عليه القيام باحدى حملتين تتفقان كلتاهما مع الخطة البحرية التى اختطها من قبل محمد الفاتح ٠ وكانت وجهة الاولى منهما موجهة ضد اسبانيا عدوة الاسلام الاولى ، ووجهة الثانية شطر قبرص الجزيرة التى كانت تابعة للبندقية فاهمل السلطان اولاهما رغم ما كان يقدر لتلك الحملة من النجاح الاكيد من جراء ثورة كان المسلمون قد اضرموها هناك ، وكانوا يبلغون نحوا من خمسة وثمانين الف عيلة طالما ارسلوا الرسل الى عاصمة ال عثمان يستنجدون بهم ، واختار الثانية التى جرت عليه المتاعب)

وقد بين المؤلف الخطأ في هذا الاختيار بقوله :

(فلو هوجمت اسبانيا لما تجرأت البندقية على الدخول في الحرب ضد السلطنة لما بينهما من بعد التخوم ، فضلا عن ضعفها بالنسبة لتركيا ـ ولكن مهاجمة السلطان لقبرص اعتبرته البندقية تعرضا مباشرا لها مما حمل فيليب الثانى ملك اسبانيا ، الذى كان يتوجس خيفة من تركيا ويتوقع خطرها على ان يكتسب هذه الفرصة للقضاء على العمارة العثمانية ذلك بانه سارع الى ضم اسطوله الى اساطيل البندقية والفاتيكان ومالطة والسافوا وكانت العاقبة وقوع معركة ليانتيه البحرية تلك المعركة التى انكسرت فيها تركيا ، وافضت الى خسرانها من بعد سيادتها البحرية ، بالاضافة الى خسرانها قوتها المعنوية)

وكان من عواقب ذلك ان اسبانيا ما ان ارتاح بالها من الخطر العثمانى الذى كانت تحاذره حتى بادرت الى اجلاء المسلمين من بلادها وذلك في عام (١٠١٧ هـ ـ ١٦٠٨ م) فضلا عن اليهود ، الا من تنصر من الفريقين ، او تظاهر بالتنصر ٠

ذلك كله كان يحمل العرب خاصة والمسلمين عامة الذين لا يزالون يتحسرون على الفردوس المفقود ، يحملهم على توجيه اللوم الى سلاطين ال عثمان بسبب تخلفهم عن نجدة اخوانهم هناك ، بينما كانت تركيا تتمتع بقوة تسمح لها باسداء المعونة لهم ، وحينما كانت تستأثر بالخلافة وتحمل تبعاتها ٠

بيـــروت **محمد جميل بيهم**



الأثر الوظيفي في طراز البيت العربي

الدكتور خالص الاشعب

تساعد دراسة البيت العربي التقليدي Courtyard house وضمن البيئة الاجتماعية ـ الاقتصادية والمناخية السائدة على فهم تطور اغلب المدن العربية في العراق قبل سنة ١٩٣٦

يعكس هذا النوع من الخطة والتصميم للوحدة السكنية العربية Plan and Design خبرة وحاجات الاجيال العربية العديدة التى بدورها طبعت مدنهم بطابعها الفريد بين مدن العالم وبغض النظر عن درجة تعقيداتها

لايمثل البيت مجرد مأوى لسكانه ، بل يمثل المكان الذى طور الانسان فيه كل افكاره وبنى فيه اماله ، التى تتعدى حدودها الحاجة الى مجرد السكن . مما يؤسف له عدم وجود الكافى من الدراسات التى تعالج البيت العربى التقليدى ومن زواياها المختلفة ، العمرانية ، الاجتماعية الاقتصادية والجغرافية والتى بدون شك ستوصلنا الى نتائج بالغة الاهمية .

لقد اثبت البيت ذو الساحة (او الباحة او الحوش) بانه اكثر التصاميم السكنية مطاطية ، حيث له امكانيته العالية لسد حاجات واستعمالات متباينة .

من هنا بات بالامكان القول بان هذه الوحدة التخطيطية قد نشأت وبصورة مستقلة في اقاليم متباينة ذات حضارات متباينة . ويمكن ارجاع هذا النمط السكنى في بلاد الرافدين Mesopotamia الى ٢٠٠٠ ق.م حيث وجد في اور ونينوى وبابل .ولقد احتل الحوش زاوية الاساس في تصاميم مثل هذه البيوت(١) ومنذ ذلك التاريخ وحتى سنة ١٩٣٦ ساد هذا النمط العمارى ليس البيوت السكنية فحسب ، بل اغلب انواع الابنية ـ المركبة كلا ـ للمدينة العربية اينما كانت ، مثال ذلك ما نراه في بغداد . وهكذا نجد ا نالحوش يحتل الركن الاساس في المنشات التجارية والعامة كما في العلاوى ، الابنية الحكومية والمدارس .

لقد وفر هذا النمط لتخطيطى لهذه الابنية الحماية الكافية ضد موجات الغزو البدوية . كما استطاع العرب حقا ان يترجموا حاجاتهم ، وتقاليدهم وجوانب حضارتهم الاخرى الى هذا الشكل البنائى .

يمتاز العرب بعدم حبهم للعزلة لاجتماعية ، فلا يحب الفرد العربى ان يكون وحيدا . ان التحسس بمثل هذه الصفة الاجتماعية قد عبر عنه بتطوير البيت

(1) Muller, Types of Mesopotamian Houses, Journal of American Oriental Society, LX (1940) 151, 158.

العربى ذى الباحة ، فقد صمم هذا البيت ليحوى العائلة مجتمعه (موحـدة) في خلية بنائية واحدة وذلك لحب العرب بان يتفاعل وبعمق بعضهم مع البعض الاخر الى درجة لا يشعر الفرد منهم بانه يمارس مهنة الحياة اذا لم يكن عضوا فعالا في مجتمعه (بغض النظر عن صور هذا المجتمع) .

لقد انعكس ذلك على حكم العرب في كثير من الحالات فحتى الجنة الخالية من الناس مثلا لاتستهوى العربى بالدخول اليها (٢)

فى العراق ثلاثة انماط من البيوت العربية التقليدية ويجمع بينها وجـود الساحة . متمثلة بالبيوت العربية في الشمال والوسط والتى سيقتصر عليهـا بحثنا ، اضافة الى الثالثة في منطقة الاهوار الجنوبية . لقد طورت هذه البيـوت استجابة وانسجاما مع ظروف تاريخية ، اجتماعية ـ اقتصادية ومناخية سائدة ، ملبية بنفس الوقت تطلعات العربى الذى ضمن لنفسه فضاء كافيا لان يتحرك فيه بنوع من الحرية التى ترافقها الصفة الخصوصية Complete Privacy لقد بلغت درجة هذه الوحدة التخطيطية العربية من النجاح الى الحد الذى اخذت به كل الابنية الخاصة والعامة وحتى سنة ١٩٣٦ . لقد استجاب هذا النمط الى كل متطلبات الحياة اليومية للسكان في المدن والقرى . وهنا تجدر الاشارة الى ان الوحدات المورفولوجية الفردية في الريف العراقى وما استجد من وحدات حديثة قامت بها المؤسسات الحكومية عادة تعتمد هذا التصميم .

ان عدم التطوير السريع في ابنية الريف يعود الى المستويات التكنولوجية ذات المستوى الواطىء من ناحية والى عدم تطور المواصلات الى درجة تزيل التفاوت الحضارى بين الريف والمدن باستثناء هذا العقد الذى بدأ التطور في المواصلات باخذ نمطا جديدا كجزء من التخطيط الاقليمى في البلد . ان المادة الاوليـــة السائدة في بناء مساكن الريف العراقى لازالت متمثلة بالطين واخشاب الاشجار المحلية والحصران . كما ان طريقة البناء لازالت على طريقة اقامة الجـدران وتركيب السقوف بدون تصميم اطار مسبق للعمل . اما الابواب والشبابيك فلا تركب في مثل هذه البيوت وانما تترك اماكنها حرة . يستثنى من ذلك عادة بيوت الاثرياء من الريفيين التى تنصب فيها ابواب وشبابيك خشبية بسيطة . فيتوفر الضياء داخل الغرف في مثل هذه البيوت من الحوش لذى يمثل المجال الرئيسى لتسلية الضيوف .

يمثل الحوش بالنسبة للبيت الريفى ايضا مكان التجمع العائلى ولعــب الاطفال باستقلال تام الى جانب كونه المكان الرئيس للنوم في ليالى الصيـــف القائظة . هذا وكثيرا ما يستعمل كمكان لايواء الحيوانات ايضا . كما ويحتـل التنور العنصر الحياتى الهام بالنسبة للريفى ويقع في زاوية بارزة من الحوش . للاسف الشديد لم نجد ايا من المهندسين الذين تدربوا في الغرب قادرا على التميز بين عملية تقليد الغرب واتباع انماط حياتهم Westernization وبين عملية التمدن Modernization مما ادى ذلك الى اهمال هؤلاء المهندسين

---

(2) Edward J. Hill, The Hidden Dimension, London (1969) 148.

وبشكل كلي ، للبيت العربي التقليدي واسس قيامه وعدم الاستفادة من ذلك في تصاميمهم الحديثة • ان هذا الاتجاه للاسف قد بدأ منذ الثلاثينات من هذا القرن • لقد فشل المهندسون والمعمارون وفي اغلب الحالات لان يستخدموا خبراتهم التكنولوجية والفنية لسد متطلبات حياة العربي الاجتماعية ـ والاقتصادية بشكل يتفق والبيئة المناخية السائدة • ان سيادة البيت العربي تاونسكيب Townscape المدينة العربية جاء لفهم التأثير المتبادل لعوامل عدة متمثلة بالفلسفة الاسلامية ، والتقاليد العربية ، والمواد الاولية المتوفرة وحياة العائلة العربية الاجتماعية والمناخ •

تمثل السماء بالنسبة للعربي عنصرا رحوما في حياته القاسية • لانها بالنسبة للعربي تمثل النقاء والنظافة والعنصر المولد للخيرات المرتقبة ، ومصدرا للماء متمثلا بالامطار وتمثل السماء بالنسبة له بيت الله الذي تأخذ شكل القبة الواسعة المسندة باعمدة •

ومن هنا نرى ان العربي عندما مارس حياة الاستقرار قد ادخل قدسية السماء الى بيته ، بنفس الوقت الذي قد منع دخول تاثيرات الصحراء مصدر الرياح العاتية المتربة والشرور الكثيرة • انه نجح في تحقيق ذلك عن طريق ادخال عنصر الحوش الى بيته ، والتي لم تستطع تحقيقها اية فكرة تخطيطية اخرى انذاك • فاصبح بيت العربي تبعا لذلك عبارة عن فجوة ذات شكل رباعي او مستطيلي ، موجها جدرانه العمياء (الخالية من الفتحات) نحو العالم الخارجي هذا في وقت ادار فيه غرف البيت نحو فضاء البيت الرئيس المتمثل بالحوش الذي يستطيع من خلاله ان يرى السماء متمتعا بما تدخله على نفسه من صفاء وراحة نفسية هو في امس الحاجة اليها بعد نهاره الطويل في ربوع الصحراء •

لقد تحول الحوش تبعا لذلك الى قطعة العربي الخاصة التي يمتلكها من السماء • لقد استطاع البيت العربي التقليدي ان يحقق الصفاء والسكون التام وان ذلك ليس تصورا انما يمثل حقيقة يشعر بها اي انسان يدخل بيتا بغداديا تقليديا او فناء اية مدرسة اسلامية او خانا موروثا •

وهنا تجدر الاشارة الى ان بناء البيت ذي الحوش اينما انتقلنا في الوطن العربي لايناقض وجوده في فترات سابقة ايضا في اقاليم اخرى من العالم ، مثال ذلك ان فكرة البيت النموذجي للقرن الاول الميلادي في الاقطار الرومانية كان ذا ساحة ممثلة عنصرا اساسيا في تخطيطه وهو على الاغلب ذو اصل يعود الى منطقة البحر المتوسط • كما وان البيت ذا الحوش كان شائعا الى درجة كبيرة خلال الفترة الكلاسيكية لفن العمارة منذ ازمان سحيقة • وهنا يجب ان نعلم بانه بالرغم من ادخال الرومان لفكرة الحوش اينما حلوا في مناطق نفوذهم الحضارية فانه مع ذلك ليس من اختراعهم ، فقد ورث الرومان هذا المخطط للوحدات السكنية • فبيوت كريت Crete الصغيرة مثلا كانت ذات نمط تقليدي عنصره الاساس الحوش ، والذي يمتد بعيدا في التاريخ واصلا ربما الى ٢٠٠٠ ق٠م •

لم يهتم العرب عند ادخالهم هذا التصميم بالفطرسة العمارية وحب التظاهر

وذلك بحكم تمثيل هذا التصميم لنواح دينية مقدسة (٣) مما جعلته يمتاز ببساطته العمارية المتناهية ٠

لقد تطلب تركيب العائلة العربية ان تهتم في امر توفير الاستقلال العائلي Privacy وبان تحمى سكان البيت من عيون المارة الغرباء ان هذا المؤثر الاجتماعى قد ادى الى تطوير ما يسمى ب double ciradation system نظام الحركة المزدوجة في البيت عن طريق تقسيمه الى ما يسمى بالسلامليك او ركن الضيوف والحرمليك وهو الركن العائلي ٠ ان هذا العنصر العمارى قد استمر في بيوت المرحلة المورفولوجية الثانية الممتدة بين ١٩٢٠-١٩٣٦ والتى تحتاج الى دراسة اخرى خاصة وبصورة عامة ، فالى الان يمتاز المجتمع العربى في العراق بعزلة النساء فيه عن الرجال ما لم يكونوا على علاقة قربى معهن تعود مورفولوجية المدن العربية القديمة قبل (١٩٢٠) والمتماسكة في وحداتها البنائية الى عامل المناخ بالدرجة الرئيسية ٠ فلم تبن البيوت العربية (ذات الطابع العربى لتقليدى) متلاصقة متضاكه بسبب نمو السكان في المدينة ، ولكن جاء ذلك لتوفير الحماية تجاه اشعة الشمس وهذا بدوره اعطى المدينة طابعها ذا النسيج المتماسك ٠

ان الحاجة لتوفير حاجز يوفر الحماية من هذه الحرارة يعنى وبشكل منطقى انذاك تطوير نوع سميك من السقوف والجدران ٠ لقد بنيت الجدران باللبن المحروق بالشمس المائل الى الصفرة لونا او بالطابوق المحروق بالفرن وبالاستعانة بالملاط ٠ أن هذا النمط التخطيطى في بناء البيوت التقليدية متجاوب وبالشكل الذى يمكن رؤيته حاليا فيما تبقى من محلات عربية ، قد زاد من ضيق الازقة الى درجة ان بعضها قد اصبح مسقفا (ان هذا الامر هو الاخر بحاجة الى دراسة حقلية خاصة ومفيدة) ٠

ان لكل حضارة في عالمنا هذا اسسها العمارية التى تعكس شخصيتها المميزة وبالتالى تطبع مورفولوجية حدتها ٠ ففى بغداد اليوم كممثلة للمدينة العربية اينما وجدت ، واستنادا على دراسات حقلية مكثفة توصلنا الى ايجاد اربعة اطرزة عمارية للوحدة السكنية تشكل جميعا اهم جزء من تركيب المدينة الحالى ، وما يهمنا هنا هو الطراز العربى الاصيل من البيوت البغدادية الذى توقف بناؤه سنة ١٩٢٠ وهو الممثل للمرحلة المورفولوجية الاولى من التطور الحديث لغالبية مدننا العربية ٠ يشغل البيت العربى التقليدى (ذو الحوش) مساحة معدلها ١٠٠ م٢ ، يمثل المبنى منها ٨٠٪-٩٠٪ وتتراوح كلفة بناء المتر المربع منها بين ١٠-٣٠ دينار وذلك حسب نوع المواد الاولية المستعملة فى البناء وبعض العوامل الاخرى ٠ ان الجزء ذا الطابع العربى التقليدى من بغداد مثلا

---

(3) Hassan Fathi, Planning and Building in the Arab Tradition: The Village Experimental Gourna, Bombay, (1965), 70-187; R. J. Solomon, Procedures in Towns cape Analysis, Annals of the Association of American Geographers, 56 (1966) 254-255.

والمشغول بهذه البيوت يمثل اربعة نوى مركزية ذات مورفولوجية متراصة تشبه في نسيجها (الكيك) مقطعة فقط بالازقة التقليدية ٠

وبالرغم من ان البيت العربى التقليدى استمر كطراز وحيد للوحدات السكنية بين ١٩٢٠ـ١٩٣٦ فقد استثنينا هذا البيت اولا لضيق المجال هنا لمعالجته وثانيا لوجود بعض التحويرات ، ربما الايجابية ، على النوع الاول وهو بيوت ما قبل سنة ١٩٢٠ ، والذى كما اشرنا يحتاج الى دراسة خاصة به ٠

تمتاز بيوت المدن العربية في هذه المرحلة (ما قبل ١٩٢٠) بملاصقتها بعضها ببعض اى بعدم وجود اى منها منفصلا ، او شبه منفصل ، مما يميز البيوت عموما بعد سنة ١٩٣٦ ٠

لقد تطور البيت العربى التقليدى حول الحوش وبطريقة تتناسب وشكل قطعة الارض التى يحتلها ، وبنفس الوقت موفرا المجال الكافي لتخطيطه بشكل كفوء ٠

يمثل البيت التقليدى باطاره الخارجي خلية واقية لساكنيه ، تمتاز ببساطتها مما طبع بالتالى ازقة المدينة وذلك لان مداخل هذه البيوت تمتاز ببساطتها البالغة وباستبعاد الزخرفة والتنميط العماريين المعقدين ٠ لقد راعى المخطط او المعمار انذاك تفاصيل التقاليد الاجتماعية فلم يوجد وفي اى زقاق طور ، قبل عام ١٩٢٠ ، وعلى الاطلاق مدخل بيت مواجها لمدخل بيت اخر (ان هذا الامر يستحق دراسة تفصيلية خاصة تعتمد على فهم واع لمعامل هذه الظاهرة التخطيطية ونستند قبل كل شيء على الدراسة الحقلية) ٠

ان اهم عنصر عمارى تمتاز به بيوتنا التقليدية هو وجود الشناشيل وهى شبابيك الطابق الاول الخشبية المنزلقة والممتدة نحو الزقاق تظلل الشناشيل هذه ازقة المدينة العربية الملتوية موفرة الحد الاقصى من الحماية ضد الشمس ٠ وتتباين الشناشيل الممتدة فوق الازقة في بغداد من ناحية احجامها ودرجة زخرفتها خالقة انماطا متجاورة من التراكيب والظلال Masses and Shadows لقد بلغ التطور العمارى عند المعمار العربى من الحذق الى درجة انه استطاع ان يصحح من اشكال قطع الارض شبه المعينية السائدة في مدينته ، وذلك في الطابق الاول ٠ لقد حقق ذلك وبمهارة عن طريق مد رقعة البناء من على الجدار الخارجي وباتجاه الزقاق مشكلا بذلك زاوية احد اضلاعها هو جدار البيت وبالتالى خالقا نمطا عماريا فريدا من نوعه وجاذبيته يتكرر في ازقة المدن العربية مشابها بذلك اسنان المنشار ٠

لقد استطاع المعمار العربى المبدع في هذه المعالجة الذكية للخلل في وحدة المساحة المتوفرة من ان يجعل شكل الطابق العلوى مستطيلا مزيدا بذلك من مساحة البيت ، في طابقه العلوى ومضيفا عنصرا جماليا ميز المدينة العربية ٠ تمتاز شبابيك الشناشيل هذه بوجود مشبكات خشبية وبانماط زخرفية متباينة غايتها الاولى هى توفير الاستقلالية التامة Privacy لعالم النساء في العائلة ٠

وبالرغم من عدم امكاننا القول جازمين بتاريخ ادخال الشناشيل الى البيت العربى التقليدى ،فيغلب عليها ان تكون قد دخلت ابان الحكم العثمانى المتأخر اذ لم نعثر على ذكر للشناشيل في كتب المؤرخين والرحالة قبل القرن التاسع عشر (٤) وهنا تجدر الاشارة الى خلو وادى الرافدين من مادة خشب البناء .

من ذلك ربما نستطيع الافتراض ان المحتلين الاتراك قد ادخلوا معهم هذه الظاهرة العمارية الى مورفولوجية المدينة العربية بالعراق . وبما ان تركيا منطقة جبلية فانها غنية باخشابها التى غالبا ما تستعمل بالبيوت التركية بشكل مشابه لما نراه في شناشيل المدن العربية .

يتكون البيت العربى التقليدى عادة من طابق واحد او طابقين وبارتفاع اجمالى من ٤-٨ م فوق مستوى الحوش بينما يمثل الطابوق مادة البناء الاولية في الطابق الارضى ويحتل الخشب مكانه في الطابق الاعلى . ويستعمل الطابق الارضى عادة في الصيف بينما العلوى في الشتاء . وهنا تجدر الاشارة الى ظاهرة تخطيطية هامة وهى ان المعمار العربى قد وضع غرف ووحدات البيت الاخرى بطريقة تتفق وحركة الشمس الظاهرية ان من يدرس توزيع الغرف والاواوين سيجد ان امر ادخال اشعة الشمس او ابعادها قد لوحظ وبمهارة فائقة بحيث اصبحت لكل غرفة اهمية خاصة في جذب افراد العائلة حسب اوقات النهار او مواسم السنة مما يجب ملاحظته في بيوتنا المفرنجة . تكاد تخلو غرف الطابق الارضى - باستثناء - غرفة الضيوف (الديوان) من الشبابيك حيث تعتمد في ضيائها على ما توفره لها فتحات ابوابها من ضياء الحوش وتتجه غرف الطابق العلوى ايضا نحو الحوش عبر المشاة او الشرفة الداخلية التى تحيطه . وتستعمل غرف الطابق العلوى عادة للنوم ، وكثيرا ما يتفننون في صناعة شبابيكها . وتوفر هذه الشبابيك الداخلية مع الشبابيك الخارجية الكفاية من الاضاءة والتهوية الطبيعيتين .

لقد فرضت ، التقاليد الاجتماعية على المعمارى ان يوقع دوما مدخل البيت العربى عند احدى زواياه قريبا من احد البيتين المجاورين . كما ويتصف المدخل بانه منكسر وذلك لكى يمنع العابر الغريب من التطفل على ما يجرى داخل الحوش . كما وان من يعيش داخل البيت لايستطيع رؤية العابرين ايضا موفرا بذلك درجه من الخصوصية والعزلة التى تعتز بهما العائلة العربية .

وكثيرا مانجد انواعا متباينة من الزخارف او الكتابات القرانية على مداخل وابواب البيوت التقليدية المصنوعة من الخشب عادة وغالبا ما يؤطر الباب الخشبى هذا بقوس ذى نقوش من الطابوق . يمكن اتخاذ نوع الباب وطراز

---

(٤) عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ٢ ، ٩٧-٩٨ .

J. Bailie Fraser, Travels in Koordistan, Mesopotamia, ebc., London, (1834) 212-213; Jovan Kronic, Architectural Traditions and New Architecture of Iraq, Somer, A Journal of Archaeology and History in Iraq, XVIII, 1962, 37.

المدخل وانماط الزخرفة عليه ، معيارا ناجحا يعكس ثراء المالك كما ويمكن وجود مداخل (في بيوت علية القوم عادة) ذات قباب صغيرة تجميلية ٠ يؤدى المدخل الى الحوش حيث الهدوء ومجال التجمعات العائلية باشكالها المختلفة ٠ وتتباين احجام وتصاميم الحوش العربى حسب مستوى المالك متراوحة بين الحوش الواسع ذى الحديقة الصغيرة والنافورة المبلط بانواع الموزائيك ، والبسيط في بنائه الصغير بمساحته ٠ كما ويمكن وجود اكثر من حوش واحد في بعض البيوت ٠ تمثـل النافورة في البيت العربى رمزا للمناخ الحار وهى بذلك تقابل المدفأة الحائطية فى بيوت الاقاليم الباردة (شمالى اوربا مثلا) ٠

تحتل النافورة في البيت العربى نقطة مركزية ، حيث لاتستعمل لتلطيف الجو صيفا فحسب ، ولكنها ايضا تقدم وظيفة اخرى وهى تصريف مياه المطـر الشتوى مما يمكن توجيهها نحو حديقة خلفية ان وجدت ٠

لقد استطاع العرب بفن عمارتهم الاصيلة ان يخلقوا ما يعرف في فن العمارة الان بالتضاد البيئوى Environmental Contrast لقد حاولوا بنجاح ان يخلقوا تناقضا بينا بين مناخ صحراواتهم وبين اجـواء وحداتهم السكنية (٥)

لقد تعرض البيت العربى التقليدى الى انتقادات شديدة وقاسية احيانـا وذلك بالادعاء بعدم صحيته ــ خاصة في فترة الشتاء ــ حيث يمثل الحوش مجال الاتصال الوحيد بين اجزاء البيت المختلفة ٠ كما وان التباين الحرارى صيفـا يكون كبيرا بين جو الحوش والجو الداخلى ٠ ان التطور التكنولوجى في فـن العمارة الان كفيل بان يعالج مثل هذا الجانب كان يوفر مماشيا مسقفة ويوجد تحويرا معينا على تخطيط وتوقيع الغرف الداخلية وطبيعة الاتصال فيما بينهـا بشكل يتفق والتطرف المناخى الموسمى الذى يمتاز به اقليمنا ٠

تمثل غرفة الضيوف (المستعملة من قبل الضيوف الرجال عادة) اكبـر غرف الطابق الارضى وغالبا ما تكون مواجهة للمدخل ، كما ويغلب ان تكون عـلى ارتفاع يتراوح بين ٢٠ــ٧٥ سم عن مستوى الحوش ، مما يترك مجالا كافيـا لانشاء فتحات صغيرة لاضاءة وتهوية السرداب الذى غالبا ما يقع تحتها ويوجد في مثل هذه الغرفة عادة شباك او شباكان خشبيان ولاسباب اجتماعية يكونـان دوما اما مغلقين او مسترين بستائر مناسبة ٠ كما لوحظ امر عرض التحـف والمعروضات الاخرى في هذه الغرفة بان وفرت بعض الرفوف الحائطيـة (رازونات) المناسبة ٠

يمثل الايوان عنصرا تخطيطيا هاما في الطابق الارضى من البيت العربى يكون عادة مستطيل الشكل ومفتوحا كليا تجاه الحوش ، ممثلا موقعا جيـدا في البيت ومحاطا بغرف اخرى ٠ يستعمل الايوان في الصيف عادة كغرفة طعام

---

(5) Dr. W. Kisrawi, The Basis of Symbolic Design for the Arab Town and the Ideal Architectural Design, The 11th Arab Engineers Conference, Kuwait, May, 1969, 48.

ومكانا لشرب الشاي · ويمكن استعمال الايوان معيارا اخر يعكس ثراء المالك حيث يوجد اكثر من ايوان واحد في البيوت الكبيرة · تواجه الاواوين عـــادة واتجاه الشمس فقد يوجد ايوان للصيف واخر للشتاء · يرتفع الايوان عادة ٢٠ـ٣٠ سم عن مستوى الحوش مما يوفر راحة نفسية معينة لسكان البيـت عند تمتعهم بالنظر الى الحوش · اضافة الى ذلك فللايوان وظيفة اخرى هـي استعماله كمكان لنومة القيلولة وللاسترخاء ولذلك فقد اهتم المالك بتبليطـه بالكاشي الملون ذى الملمس الناعم · يوجد في الايوان بعض الفجوات الخاصـة تستعمل لحفظ بعض الادوات المنزلية او لعرض بعض التحف ويمكن اعتبارها البديل للخزانات الخشبية العصرية ويسقف الايوان عادة بصفائح خشبيـة ناعمة مشكلة في بعض الاحيان انماطا زخرفية مقارنة مع سقوف غرف الطابق الارضي التي تبنى بالطابوق · ويمتاز الايوان بوجود اعمدة خشبية وبقطـر (١٦) سم ذات رؤوس جميلة التنميق في الجانب المواجه للحوش ، مسنـدة الطارمة التي تمثل تواءم الايوان في الطابق العلوي قد تستعمل للنوم في ليالي الصيف وتعكس الاعمدة الخشبية التي قد تكون سداسية او ثمانية الاضلاع مهارة الحرفي العربي واصالته والتي يجب ان يعود الاهتمام برعايتهـــا وانعاشها في مرحلتنا العمارية الحالية لكي لا نفقد شخصيتنا العمارية العربيـة وتوجد في العديد من البيوت التقليدية اعمدة عديدة تحيط بالحوش مسندة الطارمة المحيطة به وموسعة من سقف الايوان ومؤدية بنفس الوقت وظيفـة جمالية في داخل البيت لايحس بها الامن دخل مثل هذه البيوت ·

اما غرفة المعيشة فهي مهمة ايضا وتكون عادة قريبة من المطبخ وذلـك لتسهيل امر الاتصال به خاصة في فصل الشتاء حيث تستعمل كغرفة للطعام بديلا عن الايوان · تخلو هذه الغرف في حالات عديدة من الشبابيك موفرة الضياء القادم من الحوش عن طريق فتحة الباب او صفائحه الزجاجية العالية ·

تحتل المرافق الصحية (مراحيض وحمامات) موقعا مقاربا للمطبخ ، مشكلة جميعا ركنا مهما في البيت العربي وفي طابقه الارضي عادة ، تخلو هذه الغرف من الشبابيك عادة ، كما وتبنى بالطابوق الاعتيادي مما يجعل جدرانها غيـر مصقولة · يحوي الحمام في بعض الحالات على نظام تركي للتدفئة وهو بذلـك صورة مصغرة للحمام العام ·

تتصف البيوت التقليدية (ونظرا لعدم توفر نظام للمجاري يغطـي المدينة) باحتواء كل منها على Septictank وهنا يجدر التنبيه الى اهم عامل مساعد على تهرؤ العديد من هذه البيوت وهو عدم وجود نظام كفوء للمجاري

ولاكمال الكلام عن الطابق الارضي في البيت العربي فلابد من الكلام عـن السرداب (اصطلاح فارسي مكون من كلمتين تعني المكان الذي يمكن الحصول فيه على ماء بارد) والذي يكاد يكون مفصولا عن العالم الخارجي · لقد جـاء السرداب خلاصة لتجارب طويلة وخبرات عمارية حاذقة وفهم للظروف المناخيـة السائدة من قبل المعمار العربي ويمثل السرداب غرفة واسعة يغلب وقوعهـا

تحت غرفة الضيوف • يمكن الوصول الى السرداب باستخدام درج خاص وفي حالة البيوت الكبيرة يمكن ان يوجد سردابان يحتكر احدهما من قبل العائلة نفسها وعادة يقع مثل هذا السرداب تحت غرفة المعيشة • ومادام يعلو سقف السرداب (وكما اشرنا) مستوى سطح الارض ، فقد وفر الضياء من خلال فتحات صممت قريبا من السطح ومطلة احيانا على الحوش واحيانا على الزقاق اما الهواء النقي فقد ضمن وصوله بواسطة ملقف خاص للهواء او مصياد له والمسمى محليا ونقلا عن الفارسية ، بالبادكير ، ويسمى في مصر بالملقف airscape • يمثل البادكير اختراعا قديما لايصال الهواء المنعش الى الغرف العديمة الشبابيك وكذلك الى السراديب • ولتحقيق ذلك فقد صمم نفق خلال الجدران السميكة والفاصلة وينتهي عند السرداب بفتحة ذات تصميم معين ، يمكن أستعمالها لتبريد فاكهة او جرة من الماء والتي بدورها تزيد من رطوبة الجو وتلطيفه ويبرد الماء هنا عنطريق عملية التبريد التبخرى Evaporative Cooling Process وفي حالات كثيرة ينتهي البادكير بما يعرف محليا « الزنبور » وهو عبارة عن حفرة يبلغ عمقها حوالى المتر دون مستوى سطح السرداب ابتدع الزنبور عادة لتبريد الفاكهة والطعام والحفاظ عليه طازجا • اما نهاية البادكير العلوية فتصل الى ارتفاع يبلغ المتر الواحد فوق مستوى السطح •

وتوجه كل فتحات البادكيرات العلوية في مدينة بغداد تجاه الشمال او الشمال الغربى حيث مصدر الرياح السائدة في العراق (٦) • لقد ادرك المعمار العربى بان الهواء لايكفى وحده لتلطيف جوبيته حيث يجب ان يكون متحركا وبسرعة معتدلة وهو ما تحقق بواسطة البادكير • اذ لو كانت حركة الهواء سريعة لما شعر الساكن بالانتعاش بحكم سرعة عملية التبخر من مساماته الجسمية (وهو ما نراه عند تشغيل المروحة الكهربائية سريعا) لقد اسبغ البادكير على المدينة العربية طابعا خاصا • فبالنظر للتشابه والتناسق في تصاميم البادكيرات في ارتفاعاتها وتوجيهها فقد طبعت الصور الظلية Silhoutte كل البيوت العربية وخط سماء Skyline المدينة العربية بطابع مميز • يستعمل السرداب مكانا لقضاء فترة القيلولة Siesta في ايام الصيف القائظة ، واحيانا يستعمل كمخزن للطعام في الشتاء • الى جانب مميزاته الوظيفية فللسرداب ميزاته العمارية حيث يستعمل الطابوق بطريقة ماهرة لتسقيفه وتعطى صورة حية لحذق المعمار ابن البيئة • اما اذا انتقلنا الى الطابق الاول فسنجد استمرارية معالجة الظروف الاجتماعية ـ الاقتصادية والمناخية السائدة فى البيئة المحلية مستمرة • يصل معدل ارتفاع الطابق العلوى الاربعة امتار • لقد جعل اكثر ارتفاعا من الطابق الارضى محاولة من المعمار لتقليل درجة الحرارة الداخلية ويمكن الوصول الى الطابق العلوى بواسطة درج او اكثر مبنى عادة اما بالطابوق او بالخشب المركب على قواعد

(6) H. Al-Azawi, Oriental Houses in Iraq. in Shelter and Society. ed., by: P. Oliver, London, 1969, 94.

حديدية . اما في حالة توفر درج لايوصل الى الطابق العلوى فانها تنتهى عند طابق متوسط وعلى ارتفاع اوطا من السقف العلوى حيث توجد غرفة صغيرة تدعى بالكبشكان وتستعمل كغرفة للدراسة او كمخزن ويبلغ معدل ارتفاعها مترين .

تكون مواد البناء الرئيسة للطابق العلوى اخف من تلك التى تستعمل لبناء الطابق الارضى مثال ذلك الخشب ، الحصران وما شاكل .

ويمثل الكالرى او الشرفة المطلة على الحوش عنصرا مهما من مكونات الطابق العلوى حيث يتم عن طريقها الاتصال بين غرف هذا الطابق . كما وتوجد الطارمة او الايوان العلوى وهى البديل لايوان الطابق الارضى وعادة تقع فوقه ان من وظائف هذا العنصر هو استعمالها لشرب الشاى بعد الظهر وكذلك للنوم خلال الفصول المعتدلة حينما لايحتمل حر الغرف ولم يحن موعد النوم على السطوح لانخفاض درجات الحرارة النسبى . وفي حالة وقوع البيوت على النهر فيمكن ان توجد شرفة خارجية للتمتع بمنظر النهر ولزيادة تأثير النهر الملطف لجو البيت .

يمثل الخشب اهم مادة في تركيب الطارمات والشرفات ، كما وتستعمل شبكات خشبية عند نهايتى مثل هذه الشرفات لكى توفر العزلة العائلية الذاتية كضرورة فرضتها التقاليد الاجتماعية السائدة .

يجزأ القسم المتبقى من الطابق العلوى بجدران فاصلة من الطابوق او الخشب الى غرف نوم والتى قد تستعمل احداها من قبل الضيوف ويعتمد عدد هذه الغرف وتفاصيل بنائها على حالة المالك الاقتصادية .

يتكون الجدار المطل على الحوش في حالة غرف النوم غير المطلة على الزقاق من الخشب المشبك ويسمى بالستائر الخشبية وذلك لتوفير الضرورى من الضياء . اما في حالة الغرف المشرفة على الزقاق فلها اضافة الى الشبابيك المطلة على الحوش شبابيك خشبية انزلاقية ذات زخرفة وتنميق عاليين مشكلة الشناشيل التى سبق الاشارة اليها . من ذلك يبدو ان عنصر الشناشيل انما طور كضرورة اجتماعية ولمنع الاشراف المتبادل حيث تتقارب الشبابيك المطلة على الزقاق والعائدة لبيت ما مع تلك التى تعود الى البيت المقابل ، بل احيانا تلاصقها . هذا وقد وفرت الشناشيل ايضا المجال الكافى لاشباع فضولية وحب تطلع النساء المحافظات حيث يستطعن مشاهدة ما يجرى في الزقاق فى الوقت الذى لايمكن للمارة رؤيتهن وكثيرا ما تكون سقوف غرف الطابق العلوى من صفائح خشبية ذات انماط زخرفية بديعة واحيانا مطعمة بانماط من المرايا لزيادة الناحية الجمالية اما ارضية الغرف فيختار لها الوان تتناسب عادة وتصميم السقوف . اما الناحية المناخية فلم تهملها ظاهرة الشناشيل حيث قد صممت بطريقة تسمح الى نفوذ الكفاية من الهواء ومن اشعة الشمس . كما وادخل الى كثير من جدران البيوت العربية ما يمكن تسميته بالمشبكات الحديدية التى تقع عادة اسفل الشناشيل او اسفل غرفة الكبشكان وتستعمل لوضع الجرار الخزفية لتبريد المياه او لوضع بعض الفواكه احيانا اخرى .

وقبل انهاء هذه المعالجة للبيت العربي وبهذه العجالة فلا بد من استعراض ظاهرة فرضها الجو المحلي في موسم الصيف على طرز العمارة السكنية ، انها ظاهرة السطوح المستوية التى تؤدى وظيفة معيشية هامة ٠

يمثل سطح البيت العربي التقليدى الجزء الوحيد من البيت بعد الحوش المعرض لاشعة الشمس المباشرة ٠ ولم يات هذا النمط من السطوح كظاهرة عمارية تركيبية فقط ، انما جاء لكي يصبح قطاعا معيشيا ولكي يستعمل للنوم ايضا خلال فترة طويلة من السنة ٠ انه على السطوح فقط يمكن ان يتمتع الساكن بالهواء المنعش وبعد النهار الحار الطويل ٠ كما ان التركيب الاجتماعي قد اثر هنا على ادخال ظاهرة الاسيجة العالية التى تحيط كل سطوح البيوت التقليدية وذلك لمنع الاشراف المتبادل بين مستعملي هذه السطوح ٠ كما وتمارس السطوح وضيفة اخرى وهي استعمالها في تجفيف الملابس لكي يترك الحوش حرا لاستعماله من قبل الفعاليات الاجتماعية ، ولتقليل اثر الاشعاع الحرارى (لتوفير العزلة الحرارية Insulation نرى ان المعمار العربي قد اتبع طريقة تسقيف معينة فقد وضع القواطع الخشبية متقاربة من بعضها وغطاها بالحصران التى وضع فوقها طبقة من التربة وبسمك يتراوح بين ٢٠–٣٠سم ٠ وعادة يكون السطح ذا انحدار متدرج لتسهيل مهمة تصريف مياه الامطار نحو الزقاق عبر انابيب خاصة ٠ ان من يتابع سير درجات الحرارة اليومى في بيئتنا سيجد اننا ولمدة تزيد على ١٨٠ يوما بحاجة ماسة الى تجنب اثار حرارة الشمس وبمعدل يومي يزيد على ست ساعات وهو امر قد روعي بنمط سقوف بيوتنا العربية وبنجاح كبير مقارنة مع ما نعانيه من بيوتنا المفرنجة للفترة ما بعد ١٩٤٥ وهو امر يجب ان يلاحظه معمارونا ومهندسونا ان ارادوا ان يسهموا بتوفير سكن مريح لمواطنيهم

من كل ذلك يمكن القول بان البيت العربي التقليدى جاء نتيجة تفاعل العناصر الاجتماعية – الاقتصادية للمجتمع العربي في مرحلة تاريخية معينة من تطوره ، ذات مستوى تكنولوجي معين ٠ ولم تهمل متطلبات الجانب المناخي في نمط وتصميم هذا البيت الذى يمكن ان يستفاد من اسس معالجته عند ادخال انواع حديثه من المساكن التى نريدها عناصر فعالة تسهم في حل مشاكل معيشة انساننا المعاصر وليس مشاكل سكناه فحسب ٠ ان وضع اطار او اطر سكنية تعالج متطلبات حياتنا وما يؤثر عليها امر ليس مستعصيا ان دراسة ما ورثناه من طرز عمارية بعقلية تربط كل ظاهرة منها والظروف الاجتماعية – الاقتصادية – المناخية السائدة يجب ان تكون هي الدراسة المفضلة ويجب ان تقبر الى غير رجعة عادة النقل من الكتلوكات العمارية ، فلنا من التراث والتجربة العماريتين والتى تنطق فيها بقايا مدننا العربية ما هو كفيل بمعالجة مشاكلنا العمارية والتخطيطية مع مماشاة العصر وتكنولوجيته ومتطلباته المتطورة تعقيدا ٠

الدكتور خالص الاشعب
جامعة بغداد – كلية الاداب
قسم الجغرافيا

دراسة نقدية لبعض الشواهد البلاغية

الدكتورة بهيجة الحسني
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

ـ تتمة ـ

ـ ٧ ـ

ودونكم قول عبدالجبار بن حمديس في طلوع الهلال عند السحر في أواخر الشهر[١] :

ورب ليل سهرناه وقد طلعت ... بقية البدر في اولى بشائره
كأنما ادهم الاظلام حين نجا ... من اشهب الصبح القى نعل حافره

يعلق على بن ظافر الازدى المصرى في كتابه « غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات » على التشبيه هذا بقوله : «واجاد » ..

اقول : سبحان الله ! لقد جاء الشاعر بالعجب العجاب ، اذ شبه تقوس الهلال وتألقه بنعل حافر ملقى من فرس هارب .

قصة النعل هذا اشبه بقصة حذاء سندريلا المفقود .

ـ ٨ ـ

وهذا قول على بن محمد بن حبيب التميمى (٢) :

في ليلة انف كأن هلالها ... صدع تبين في اناء زجاج

فالشاعر يشبه تقوس الهلال ولمعانه بتصدع في اناء متداع يجب أن يرمى في سنة المهملات .

فالاناء المفطور يحسن التخلص منه لانه يجلب الشؤم والشر . فنحن نرى في هذا زراية للصورة السماوية الوضيئة الجميلة ونزولا بها الى مستوى شيء محتقر .

ترى هل يوجد تشبيه اقبح من هذا التشبيه ؟ وما هو موقف الناقد المعاصر منه ؟!

---

(١) هو ابو محمد عبدالجبار بن حمديس الصقلي . توفي بجزيرة ميورقا سنة ٣٥٧ هـ . البيتان في « ديوانه » ص ١٩٢ ، وفي (نهاية الارب) : ١ ـ ٥٣ ، وفي غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات : ١٤ .

(٢) غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات : ١٦ .

- ٩ -

وهذا قول ابن وكيع[٣] : (بحر الرجز)

ولاح لى هلالهـــا كقوســـس رام اذ يغــط
او حاجب ذى شمط ظــل من التيــه يمــط

يشبه ابن وكيع اعوجاج الهلال وتلألأه بتقوس حاجب اشمط ممطوط تيها وتكبرا وحبلا .. لقد جاء ابن وكيع بمعجزة المعجزات ، وهو مط الحواجـــب ، (كلعبة حر الحبل) ترى متى مطت الحواجب ؟ ومتى قلصت ؟ .

وزاد في قبح الصورة ان جعل الحاجب اشمط ليوحى بضوء الهلال وبياضه أقول : اتق الله يا رجل ! رويدك لا تمط الحاجب بقوة ، فالشيخ طاعن السن .. هذا ما توحيه صورة البيت لي :

واضيف قائلة : ان مط الحاجب ممقوت عند العرب . فهذا عبيد بـــن حصين النميرى ، ابو جندل الراعى ، يقول [٤]

فدعى مـط حاجبيــك وعيشــى معنا بالرجـــاء والتأمـــال .

- ١٠ -

ومثله رداءة وقبحا التشبيه التالي[٥] :

انظر لحسن هلال الجو كيف سرى الى منازله فى غايـــة الصغـــر
كأنما قوسه مابيـــن جبهتـــه وطرفه حاجب قد شاب فى كبـــر

- ١١ -

وقال على بن ظافر الازدى المصرى في كتابه « غرائب التنبيهات على عجائـب التشبيهات »[٦] :

« من احسن ما قيل فيه (الهلال) قول ابن المعتز من مزدوجته[٧] :

وقد بدت فوق الهــلال كرتـــه كهامة الاسود شابـت لحيتـــه

لم يزد ابن المعتز على تشبيه الهلال برأس زنجي على حافة الحياة ملتحى بلحية شمطاء ..

ترى ماذا اوحت لحية الزنجى العجوز لابن المعتز ؟ حتى اعتز بها فخبأها

---

(٣) هو الحسن بن علي ، ابو محمد ، شاعر مصري توفي سنة ٣٩٣هـ . حقق شعره الدكتور حسين نصار . والبيتان في كتاب غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات : ١٤ .

(٤) كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر : ٤٠ .

(٥) كتاب « غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات » : ١٤ .

(٦) ص١١ .

(٧) البيت في ديوانه ، طبعة بيروت ، ص ٣٠٦ .

فى عقله الباطن ليطلقها مشبها به فى بيته هذا ؟ .. والذى استحسنه على بن ظافر كل الاستحسان بحيث اعتبره القمة فى التشبيه ؟!

اقول : يحسن بنا ان نتجمل بالصمت اذ « السكوت من ذهب ، والكلام من فضة » ، لنكسب الذهب ..

- ١٢ -

واليك قول ابن وكيع[٨] : (من الرجز)

طاف بها يجلو ظلام الغيهب   كالبدر يمشى فى الدجى بكوكب
وقد بدا ضوء هلال احدب   يلوح فى الجو كقرنى عقرب

اقول : ان المشبه « الهلال الاحدب » لا يتجاوز فى حدود ايحائه على « احدب نوتردام » وعلى « احدب ابن الرومى » الذى وصفه فى قوله :

قصرت اخادعه ، وغاص قذاله   فكأنه مترقب ان يصفعا
وكانه قد ذاق اول صفعة   واحس ثانية لها فتجمعا

ثم جاء ابن الوكيع بمشبه به هو « قرنا العقرب » فكانت عقرب ابن الوكيع رائدة الفضاء الاولى .

- ١٣ -

واليك قول الآخر[٩] :

انظر الى جو السماء وقد بدا   فيه الهلال لدى نجوم كاللهب
وكان جنح الليل ثور ابلق   وهلاله فيه قرون من ذهب .

فالشاعر يشبه الهلال المتالق في السماء ليلا بثور ابلق قرونة من ذهب .

اقول : فاما ان يكون الشاعر مصارع ثيران ، او يكون قد حلق بخياله على الثور المجنح الاشورى

- ١٤ -

وهذا قول ابن المعتز فى وصف الهلال[١] : (من البسيط)

---

(٨) كتاب « غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات » : ١٧

(٩) المصدر نفسه : ٢١ .

(١) البيت في « ديوان عبدالله بن المعتز » طبعة المكتبة العربية بدمشق ص : ٤ من قصيدته (دير سعدون) . والبيت في الصناعتين : ٢٢٢ ، كتاب التشبيهات : ١٣ ، كتاب اشعار اولاد الخلفاء : ١٨٨ ، المثل السائر : ٢-١٦٠ وفيه « ضوء قمير » - خزانة الادب - الحموي : ١٧٥ ، الطراز : ١-٣١٠ ، غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات : ١٦ .

ولاح ضوء هلال(٢) كاد يفضحنـــا   مثل القلامة قد قدت من الظفـــر

راى البلاغيين فيه :

١ ـ قال ابو هلال العسكرى(٣) (المتوفى سنة ٣٩٥ هـ) :

« ومما زاد فيه المتأخر على المتقدم فحسن معرضه ، وسهل مطلعه ، قول ابن المعتز :

ولاح ضوء هلال ..

وقال الاول(٤) : (من المتقارب)

كان ابـــن ليلتـــه جانحـــا   فسيط(٥) لدى الافق من خنصر »

لاجرم ان هذه الصورة ليست من مبتكرات ابن المعتز ، وانما سبقه اليها عمرو بن قميئة ، فكل الذى زاده ابن المعتز في تجميل صورته هذه استعمالـــه الالفاظ السهلة الواضحة وتحاشيه الالفاظ الغريبة .

٢ ـ وقال ضياء الدين بن الاثير(٦) ، بعد ان اورد البيت في التشبيـــه المقلوب : « ولما شاع ذلك في كلام العرب واتسع ، صار كانه هو الاصـــل وهو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ .

وقال فى مكان اخر من الكتاب(٧) :

وهكذا القول (اى الحسن والليباقة) فى تشبيه عبد الله بن المعتز صورة الهلال بالقلامة ، لان من العادة ان تشبه القلامة بالهلال ، فلما صار ذلك مشهورا متعارفا حسن عكس القضية فيه » .

ان ابن الاثير لم يفسر لنا الحسن والليباقة فى تشبيه ابن المعتز وانما تركه غامضا للقارىء .

ولكن الذي لا غبار عليه ان ابن الاثير يعترف بمخالفة ابن المعتز لقواعـد التشبيه المتعارفة فى بيته هذا (ولاح ضوء قمير) . ولكن مما يبرر هذه المخالفة (وهى تشبيه الهلال بالقلامة) شيوع هذا التشبيه ، والفة الذوق اياه .

---

(٢) في المثل السائر : « ولاح ضوء قمير » . يخبرنا الاصفهاني في كتاب الاغاني ١ـ٩١ ، قائـــلا :

« انشد سعيد بن المسيب قول عمر بن ابي ربيعة :

وغاب قمير كنت ارجـــو غيوبه   وروح رعيـــان ونـــوم سمـــر

فقال : ماله قاتله الله ! لقد صغر ما عظمه الله يقول الله عز وجل :

(والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) .

(٣) الصناعتين : ٢٢٢ .

(٤) البيت لعمرو بن قميئة بن ذريح . شاعر جاهلي أقدم من امريء القيس . والبيت في ديوانه ـ تحقيق خليل ابراهيم العطية ـ ص : ٧٩ وفيه « كان ابن مزنتهـــا » . وبالرواية نفسها في كتاب التشبيهات : ١٣ .

(٥) الفسيط : قلامة الظفر .

(٦) المثل السائر : ٢ـ١٦٠ .

(٧) يريد التشبيه المقلوب ، ويسميه ابن الاثير : (الطرد والعكس : وهو ان يجعل المشبه به مشبها ، والمشبه مشبها به . وبعضهم يسميه ـ غلبة الفروع على الاصول ـ . ولا تجد شيئا من ذلك الا والغرض فيها المبالغة) .

وبهذا يكون ابن الاثير قد ناقض رايه هذا فى مكان اخر من الكتاب فيقول :
« ان من شرط بلاغة التشبيه : ان يشبه الشىء بما هو اكبر منه واعظم . ومن هنا غلط بعض الكتاب من اهل مصر فى ذكر حصن من حصون الجبال مشبها له ، فقال :

« هامة ، عليها من الغمامة عمامة ، وانملة خضبها الاصيل ، فكان الهلال فيها قلامة » .

يعلق ابن الاثير ساخرا :
« وهذا الكاتب حفظ شيئا ، وغابت عنه اشياء !

فانه اخطأ فى قوله « انملة » . واى مقدار للانملة بالنسبة الى تشبيه حصن على راس جبل ؟
واصاب فى المناسبة بين ذكر الانملة والقلامة ، وتشبيهها بالهلال » .
انتهى كلام ابن الاثير .

نقول : ان « اصابة المناسبة » فى قول ابن الاثير « بين القلامة والهلال » لاتتجاوز حدود تشبيه هيئة بهيئة ..

وبمعنى اخر : ان الكاتب شبه تقوس القلامة واعوجاجها ونحولها بتقوس الهلال ونحوله . فانه اصاب فى الجمع بين الشكلين وبهذا وافق حد التشبيه وهو (ان يثبت للمشبه حكم من احكام المشبه به) ، وخالف اصل الفائدة المستنتجة من التشبيه وهو ان يشبه الشىء بما هو اوضح وابين ، وبما هو احسن منه او اقبح ، وكذلك يشبه الاقل بالاكثر ، والادنى بالاعلى .

سنستنتج من هذا : ان بيت ابن المعتز لاتثبت صحة صورته فى التشبيه العام مما دفع ابن الاثير الى الاستشهاد به فى التشبيه المقلوب .
انقحم البيت اذا فى التشبيه المقلوب اسوة بابن الاثير :
فنقول : ان التشبيه المقلوب : هو جعل الفرع اصلا ، والاصل فرعا لغرض المبالغة .

ولنأخذ شاهدا لهذا مقطوعة علي بن عبدالرحمن المنجم[8] :

شبهتها بالبدر فاستضحكت وقابلت قولى بالنكر
وسفهت رايى وقالت : متى سمجت حتى صرت كالبدر
البدر لايرنو بعين كما ارنو ولا يبسم عن ثغر
ولا يحيط المرط عن ناهد ولا يشد العقد فى نحر
من قاس بالبدر صفاتى فلا زال أسيرا في يدي هجري

نقول ان الجمال والبهاء متوافر فى البدر والحبيبة ، وان المتعارف عليه ان البدر اجمل شىء فى الوجود .. ولكن الشاعر اخضع البدر لجمال حبيبته معللا

(٨) فن التشبيه لعلي الجندى : ١/٢٦٤ .

السبب اذ ان البدر جماد لا يملك الحياة التي تمتلكها حبيبته الحسناء وما يتبعها من مشاعر وعواطف واحاسيس · فهى تملك العيون وما يتبعها من لغة والابتسامة وما يتبعها من حياة ، والجسم وما يتبعه من لذة ·· فحرام عليه ان يبخس قدرها فيشبهها بالبدر ··

فالاغراق بالمبالغة في جمال الحبيبة هى التى دفعت على بن عبدالرحمن الى التشبيه المقلوب ··وهى التى دفعت ابن المعتز الى ان يلحق الهلال بالقلامة مبالغة فى شدة نحوله وضعفه وتقوسه واعوجاجه بحيث فاق القلامة بضعفها وتقوسها وغرضه منها ان يبهم القارىء فيتخيل الهلال بهذا الضعف والهزال ، لينقل ذهنه الى ضعف نوره ·· وبالتالى ليؤكد انعدام الرؤية فى تلك الليلة ·· وفى هذا كد وارهاق لذهن القارىء فى الوقت الذى قالفيه ـ كاد يفضحنا ـ هذه الجملة المعترضة تدل على المقاربة ثم تنبىء عن نفى الفعل ·· اى قارب ولم يفعل · وبمعنى أخر قارب الهلال ان يفضحنا بنوره ولكن ضعف نوره نفى الرؤية ثم الفضيحة ··

هذا والبيت لم يخل من شائبة اخرى ·· هى ان جملة (قد قدت من الظفر) زائدة انتهى المعنى عندها · وقد جاء بها ليكمل الوزن والقافية ·· (فالقلامة من قلم الظفر بمعنى قطعه ، والقلامة ما سقط منه)

مما لاشك فيه : ان التوفيق لم يرافق ابن المعتز فى تشبيهه الهلال بالقلامة تقوسا ونحولا ، اذ انه يعوزه وحدة الاتصاف ، واكتمال الصورة ، فالهلال ـ مهما كان ضعيفا هزيلا ـ يوحى بالجمال والرفعة والسمو والشموخ على حين توحى القلامة بالضعة والضعف والرفض والتقزز أيضا وهذا ما فيه من عدم الدقة فى الملاحظة ·· ترى متى جعل الشعراء من القلامات اهلة !

وقال يحيى بن حمزة العلوى اليمنى(٩) :

« الجارى فى الاطراد هو تشبيه القلامة من الظفر بالهلال فى نحولها وتقوسها واعوجاجها ، فعكس ابن المعتز ذلك ، وشبه الهلال بالقلامة ، مبالغة ودخولا واغراقا من جهته فى التشبيه كما هو دابه وهجيراه وعادته المألوفة فى الخمريات وغيرها » ·

نقول : ان العلوى اليمنى لم يوضح لنا معنى المبالغة والدخول والاغراق فى التشبيه هذا ، وانما استسهل الموضوع وتركه للقارىء ، والله اعلم به ··

وقال محمد عبدالمنعم خفاجي في كتابه(١٠) « ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان » :

« انظر اليه يقول فى روعة تشبيه وعذوبة اسلوب ، يصف الهلال :
ولاح ضوء هلال ·· »

---

(٩) الطراز : ١ـ٣١٠ ·
(١٠) ص ٢١٧ ·

اقول : اية روعة ! واية عذوبة ! كان قد امسك بهما ذوق الخفاجي في تشبيه الهلال بالقلامة .

ومتى كانت العذوبة والروعة في القلامات ؟!

ويقول الاستاذ شفيق جبري في مقدمته لديوان عبدالله بن المعتز[11] :

« بدائع ابن المعتز كثيرة نذكر منها على سبيل المثال الابيات الاتية ، وفيها من الاوصاف الرقيقة الرائعة المعجب المطرب ولاسيما تشبيهه البدر بالقلامة . فانه فيه نسيج وحده على ما يظن » .

اقول : اية رقة ! واية روعة ؟ واي طرب يوحيه ذلك البيت !!

ونحن نأسف اذ نخيب ظن الاستاذ جبري ببيت ابن المعتز هذا لانه ليس وحده ، اذ قد سبقه عمرو بن قميئة كما مر .

« رأينا في البيت » :

نقول : ان هذا البيت هو عين الوز في عالم التشبيهات في رأى البلاغيين القدامى والمحدثين .. اما انا فاراه العين المفقوءة في القصيدة المسماة (دير عبدون) والتي يصف فيها رهبان ذلك الدير وهم يؤدون صلاة الفجر ، وكان مما استوقف ابن المعتز ، وشده لهم جمال وجوههم ، وسحر عيونهم مما دفعاه الى ان ينشد اللذة والمتعة فيهم بلا خجل ولا ترفع .. فاستدرج راهبا مليح الوجه ، خلع عذاره وانقاد لابن المعتز ، وكان ما كان ..

ان مما يميز القصيدة جمال صورها ، وخصب عوالمها ، فهي تنضح عطاء سخيا ، يتدفق بالجمال ، يضاف اليه رقة ألفاظها ، وعذوبة جرسها ، الا ما ظهر من هنات في بيت الشاهد ، قال :

سقى المطيرة ذات الظل والشجر ... ودير عبدون هطال من المطر .
فطالما نبهتني للصبوح بها ... في غرة الفجر، والعصفور لم يطر
أصوات رهبان دير في صلاتهم ... سود المدارع نعارين في السحر
مزنرين على الاوساط قد جعلوا ... على الرؤوس أكاليلا من الشعر
كم فيهم من مليح الوجه مكتحل ... بالسحر يطبق جفنيه على حور
لاحظته بالهوى حتى استقاد له ... طوعا ، واسلفني الميعاد بالنظر
وجاءني في قميص الليل مستترا ... يستعجل الخطو منخوف ومنحذر
فقمت افرش خدي في الطريق له ... ذلا ، وأسحب أذيالي على الاثر

ولاح ضوء هلال ...

فكان ما كان مما لست اذكره ... فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

نعم ! ان فتنة الغواية ، وسحر الاغراء دفعاه الى تلك المغامرة ، انها ليست من المغامرات الرفيعة ذات اللحظات المشرقة السامية ، انها لحظات شاذة تنضح بالاثم والاضطراب وانهيار الروح ..

---

(11) تحقيق الشيخ محيي الدين الخياط . المكتبة العربية بدمشق ، المقدمة : ص٤ .

انقاد ذلك الراهب ، للاثم الكبير ، يلفعه الخوف والحذر وابن المعتز الامير الذى يجرى فى عروقه دم الخلافة ٠٠ يفرش خده خجلا وذلا لذلك الراهب ٠٠ فى تلك اللمحة الخاطفة المكهربة بالعاطفة ـ وان هى ليست من النبل والسمو بشيء ـ وذات العوالم الغنية بوهج لذة محرمة ، يطل الهلال ، فيفزع ابن المعتز الذي يدرك خطر ذلك الاثم الذي يريد ان يدفنه في ظلمة الليل ٠٠ فيتعلق بالهلال فينزله الى الارض على شكل قلامة ٠٠ لقد سقط الهلال الى الحضيض ٠٠

ترى هل كان فى سقوط الهلال ٠٠ انزلاق الراهب ؟! ام انزلاق ابن المعتز ؟ ام انزلاق الاثنين معا ؟

الاجابة : نعم ! انها شرارة مما يختبىء فى اللاوعى تسربت واندلعت الى الخارج بهذا القناع ٠٠

اقول : حبذا لو شمخ البلاغيون ببلاغتنا العربية فترفعوا عن هذا النوع من الشواهد التى تحدث مرارة فى الفم ، وغصة فى الحلق ٠٠ والما فى النفس ، وجرحا فى الاخلاق ٠٠

اذ فى كنوز تراثنا العربى ما يغنينا عن الوشل ٠

ـ ١٥ ـ

وقال ابن المعتز فى الثريا[1] : (بحر الكامل)

وارى الثريا[2] فى السماء كأنها   قدم تبدت من ثياب حداد

احب العرب الثريا ، عروسة الليل ، تتلالا بنجومها السبعة فيسكرننا بغمزات عيونهن ، وخمرة همسهن ، ثم يحملننا على اوشحتهن الفضية حيث نرتقى الى عالمهن السماوي كي نغفو على شفة نجم ٠

هذا الجمال الاخاذ اسر ابن المعتز الشاعر الامير ، فلقفته موجة نور وعلقته بالثريا ، واذا به ينزلها الى الارض بصورة قدم ٠٠ فانزلق خياله الى الوحل

وبمعنى اخر : ابن المعتز يشبه الثريا ، موكب النور بشكلها الكروى المتلألىء على بساط السماء الاسود ، بقدم انحسر رداء الحداد عنها ٠

نقول : مما لاشك فيه ان تلك القدم كانت بضة بيضاء ناعمة جميلة تختبىء فى ذاكرة ابن المعتز ٠٠ ترى كيف تتداعى تلك القدم الى مخيلتنا اليوم ، فى

---

(١) البيت من قصيدة عدتها تسعة ابيات مطلعها :

قم يا نديمي نصطبح بواد   قد كاد يبدو الصبح او هو باد

والبيت الذي بعد الشاهد :

فاجابني بيمينها فملاتها   بزجاجة كالكوكب الوقاد

والقصيدة في ديوان ابن المعتز طبعة صادر : ١٧٧ ، طبعة دمشق : ٢١٨ ٠ والبيت في اسرار البلاغة ، ريتر : ٨٥ ، الازمنة والامكنة : ٢ـ٢٣٥ ٠

(٢) (الثريا) من الثروة : كثرة العدد من الناس والماء ٠ وليلة يلتقي القمر والثريا ٠ امراة ثروى : متمولة ٠ والثريا تصغيرها ٠ والنجم لكثرة كواكبه مع ضيق المحل ٠ « القاموس المحيط » مادة . الثروة ٠

الوقت الذي نرى فيه نصف شعوب العالم حفاة الاقدام ؟!

ان صورة القدم العارية اليابسة السمراء والتي تضطجع في شقوقها الاوساخ والامراض قائمة فى عقلنا الباطن ، ولاجلها غير مجرى التاريخ ، وحكمت النظم الاشتراكية . فكيف تستطيع قدم ابن المعتز ان تلقى ظلالا والوانا على الثريا كى تمسك بخيالنا وذوقنا وحواسنا ؟!

يضاف اليه : انه مهما كانت القدم جميلة ففيها ضعة اذ لم تبلغ مكانة القلب او العين من البدن .. وفى الثريا الرفعة والعلو والسمو ولانصل اليها الا بابصارنا وقد لاحظ المتنبى هذا الخطأ ، فاخذ معنى ابن المعتز متحاشيا القدم مرتفعا الى وجوه الخرائد ، فجاءت الصورة جميلة مقبولة قال(٣) :

كان بنات نعش في دجاها   خرائد سافرات في حداد

لقد صدق ابن الاثير كل الصدق اذ قال(٤) :

« التشبيه .. من بين انواع علم البيان مستوعر المذهب ، وهو مقتل من مقاتل البلاغة .

وسبب ذلك ان حمل الشيء على الشيء بالمماثلة اما صورة ، واما معنى يعز صوابه ، وتعسر الاجادة فيه ، وقلما اكثر منه احد الا عثر كما فعل ابن المعتز من ادباء العراق ، وابن وكيع من ادباء مصر ، فانهما اكثرا من ذلك ولا سيما فى وصف الرياض والاشجار والازهار والثمار .. لاجرم انهما اتيا بالغث البارد الذى لايثبت على محك الصواب » .

نقول : ان بيت ابن المعتز هذا من الغث البارد الذى لا يثبت على محك الصواب .

وبقولنا هذا ، نكون قد ناقضنا الاستاذ محمد عبدالمنعم خفاجى بقوله(٥) :

« وسار المثل فى القديم والحديث بتشبيهات ابن المعتز ، لانها اظهر سمة وابلغ تعبير عن شاعريته وتصوير لفنه ، وفي الحق اننا لانجد التشبيه ملكة من الملكات الفنية عند شاعر من الشعراء كما نجده عند ابن المعتز ، ولا نجد هذه الكثرة مع تلك الجودة عند احد سواه » .

---

(٣) نسب الاستاذ محمد عبدالمنعم خفاجي البيت في كتابه (ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان) : الى الشاعر المعوج الرقي خطأ .

والبيت في ديوان المتنبي من قصيدة يمدح بها علي بن ابراهيم التنوخي ، مطلعها :

احاد ام سداس في احاد   لليلتنا المنوطة بالتناد

وشاهدنا البيت الثاني في القصيدة .. انظر الديوان ٢ : ٧٦ .

(٤) المثل السائر : ٢-١٢٣ .

(٥) كتاب ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان : ٤٢٢

وقال قيس بن الاسلت الاوسى[١] : (بحر الطويل)

وقد لاح في الصبح الثريا لمن راى　　كنعقود ملاحيـــة[٢] حين نـورا

يشبه الشاعر الثريا المنورة بنجومها السبعة المشرقة بعنقود كرم منور ..
نقول : ان هذا المشبه به (عنقود ملاحية منور) لايتوصل الى ارسال اشعـــة الى المشبه (الثريا على بساط السماء) ، وبث اضوائه وانواره اذ لايتجـــاوز اشعاع الفاظه حدود حروفها .. وسبب ذلك ان الشاعر لم يتسم ذوقـــه بالجدة وانما انحدر الى عنقود العنب المنور ..

فالتشبيه هذا آلى التأليف ، فاقد الرواء ، محروم النضرة ، بدائى اللقفة سطحى الاخذ ، فطرى العلاقة .. هذا كل ما اردت قوله ..

نرى ما نظرة البلاغيين القدامى لبيت ابن الاسلت هذا ؟ وما تعليقاتهم ؟
قال شيخهم عبدالقاهر في أسرار البلاغة : « انه تشبيه حسن ولا تقول هو تمثيل » .

وقال في مكان آخر مفصلا القول[٣] :

« وكذا في القول « العنقود » ، فان تلك الانوار مشاكلة لها فى البياض ، وفي انها ليست متضامة تضام التلاصق ، ولا هى شديدة التباين حتى يبعد الفصل بين بعضها وبعض ، بل مقاديرها فى القرب والبعد على صفة قريبة مما يتراءى في العين من مواقع تلك الانجم ؟ » .

وعلق الخطيب القزوينى قائلا[٤] :

« فانه (الشاعر) اعتبر من الانجم الشكل ، والمقدار ، واللون ، واجتماعها على المسافة المخصوصة في القرب ، ثم اعتبر مثل ذلك في العنقود المنور من الملاحية »

وجاء في شروح التلخيص[٥] :

« وطرفا التشبيه هما الهيئة الحاصلة لكل منهما ، ووجهه هيئة ثالثة فهنا ثلاث هيئات . والتركيب هنا من سبعة اشياء صور متقارنة بيضـــ مستديرة صغار بكيفية مخصوصة بمقدار مخصوص » .

---

(١) البيت في اسرار البلاغة ـ تحقيق ريتر : ٨٥ منسوبا لقيس بن الخطيم خطأ ، وورد في الاغانى : ١٥ـ١٥٩ ، الايضاح : ٢ـ٢٢٧ ، شروح التخليص : ٢ـ٣٥٨ ، شرح عقود الجمان : ٨٢ ، حاشية الدمنهوري : ١٣١ ، المطول : ٣٢٢ ، نثار الازهار ١١٠ ، اللسان مادة (ملح) .

(٢) (عنقود ملاحية) : بضم الميم وتشديد اللام وهو عنب ابيض في حبه طول ، وتخفيف اللام اكثر . ولكن ارتكب التشديد مع قلته لاستقامة الوزن .

(٣) اسرار البلاغة ـ تحقيق ريتر : ٢١٦ .

(٤) الايضاح : ٢ـ٢٢٧ .

(٥) ٢ـ٣٥٨ .

وجاء في شرح عقود الجمان(٦) :

« شبه الثريا بعنقود عنب لما حواه من الهيئة الحاصلة من تقارب الصور البيض المستديرة ، الصغار المقادير في المرآى على الكيفية المخصوصة ، لا شديدة الافتراق ولا الانضمام الى المقدار المخصوص من الطول والعرض ، فنظر الى عدة اشياء ، وقصد الى هيئة حاصلة منها ٠ والطرفان مفردان وهما الثريا والعنقود »٠

وقال الدمنهوري بايجاز(٧) :

« فالوجه هنا الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرات الصغار المقادير في رأى العين ٠ فنظر الى عدة اشياء ، وقصد الى الهيئة الحاصلة منها » ٠

وقد استطاع الشاعر نظم بيت الشاهد وشرحه فقال(٨) :

« وذو تركب غدا حسيا ... في مفرد طرفاه كالثريا
شبه بالعنقود من كرم لما ... حوته من صورته اذ نظما
وحبه ابيض واستدارا ... وقارب الرؤية والمقدارا » ٠

نقول : من المؤسف له ان تنحدر بلاغتنا العربية الى هذه الهوة السحيقة !

نحن اليوم نخالف كل المخالفة ، مقياس البلاغيين القدامى لبيت ابن الاسلت هذا ٠٠ لاننا ننطلق من ايماننا : ان الشاهد البلاغي يجب ان يكون هادفا وموجها الى الافضل والاكمل والاجمل لا متحللا من قيود الفنية والرسالة الطيبة ، والفكرة الراقية فالموضوع اعمق بكثير من ٠

(الثريا) : الصور البيض ، المستديرة ، الصغار المقادير كانها (العنقود) : ذو الحبات ، البيض ، المستديرة ، ذات الحجم الصغير ، كونها لا مجتمعة اجتماع الانضمام والتلاصق ، ولا شديدة الافتراق والتباعد ٠

فالتشبيه ليس عملية تعادل هندسى تكنيكي ٠٠ وانما هو تجربة عاطفية يخوضها الشاعر وتتمخض تلك التجربة عن لوحة فنية تستوعب عاطفته واحاسيسه وانفعالاته ، بصورة التشبيه ٠

— ١٧ —

وهذه ابيات من قصيدة للشاعر على محمود طه المهندس يصف فيها صورة السماء المنعكسة في البحر ، قال(١) :

---

(٦) ص٨٢٠

(٧) شرح الدمنهوري : ١٣١ ٠

(٨) شرح عقود الجمان : ٨١ ٠

(١) من قصيدته (الشاطىء المهجور) ص ٣٢٣ ، مطلعها :

موجة السحر من خفي البحور ... اغمري القلب بالخيال الغمير

فاذا تهللت ليلة قمرا ء هزت بنا خفى الشعور
وسرينا في ضوئها نتناجى بهوى فاض عن حنايا الصدور
وانتحينا من جانب البحر مجرى مطمئن الامواه شاجى الخرير
نزلت فيه تستحم النجوم الز (م) هر في جلوة المساء المنير
راقصات به على هزج المو ج ، عرايا مهدلات الشعور
وعلى صدره الخفوق طوينا اللي ل ، في زورق رخى المسير
ورياح الخليج دافئة تثـ نى حواشى شراعه المنشور
خافقا فوقنا يدف شعاع البـ در في ظله دفيف الطيور

اقول : لقد سبق الشاعر البحترى على محمود طه المهندس في وصف صورة السماء المنعكسة ليلا في بركة المتوكل ، قال[٢] : (بحر البسيط)

اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلا حسبت سماء ركبت فيها

فالشاعر البحتري لم يزد على تركيب نسخة ثانية للسماء في بركة المتوكل اما شاعرنا المهندس فقد ذوب روحه في الطبيعة التى وصفها كما تذوب تلك ·

الموجة في البحر لتعود للحياة ثانية في قلب موجة أخرى · فروح المهندس وعواطفه واحاسيسه تنبض في لوحاته القلمية ·

فالشاعر المهندس وصف البحر وهو في اغفاءة حالمة يضطجع على خد الارض بطمأنينة وسلام في ليلة مقمرة هادئة لا تعرف صخب النهار وضوضائه ·

وبلمسة سحرية شاعرية مزج المهندس الارض بالمساء ، وجعل الكون مسرحا كبيرا واسعا يزخر بالحياة والحركة والنشوة ·· اذ انزل نجوم السماء من فردوسها العلوي الى البحر على شكل عرائس زاهرات عاريات خفرات مسدلات الشعور ليسبحن فى ذلك البحر وهن فرحات منتشيات منتعشات يرقصن على هزج موج البحر ·· حتى اننا نشبعر وكاننا نرى عذارى النور حقيقة ، ونسمع ضحكاتهن ، ونلمس شعورهن ··

ولم يقصر الشاعر لوحته هذه على وصف صورة السماء في البحر ، بل وسع لوحته تلك فوصف ما يحيطها من اطار كونى زاد في جمالها وتألقها ·· فحرك نسيما عذبا دافئا داعب شراع زورق الشاعر الرخى المنزلق فوق سطح الماء فأثنى حواشيه كي يسمح لاوشحة القمر الفضية الهفهافة ان تتسرب مع خفقات النسيم الى قلب الزورق ·

وهكذا نجح الشاعر كل النجاح في تشخيص الطبيعة وبث الحياة فيها فجاءت لوحته القلمية اجمل بكثير من المشهد نفسه ·

---

(٢) من قصيدته التي مطلعها :
ميلوا الى الدار من ليلي نحييها نعم ، ونسالها عن بعض اهليها
انظر ديوان البحتري : ج١ ص٣٤ ·

- ١٨ -

ودونك لوحته القلمية التى عنوانها « الى البحر »(٣)

ومن البحر جانب مطمئن | قزحى الاديم غض الاهاب
نزلت فيه تستحم عذارى الضو | ء من كل بضة وكعاب
عاريات يسجن في اليم لكن | لفها الرغو في رقيق الثياب
خفرات من الاشعة خود | نسقتها انامل الارباب
فاذا البحر يرقص الموج فيه | واذا الطير صدح في الروابي

فهل توجد صورة اجمل وابهى من صورة النجوم ينزلهن الشاعر على شكل عذارى بضات الاجسام ، كاعبات النهود ، عاريات ، فيسترهن البحر برغو مواجاته وهن يسبحن فيه ٠

- ١٩ -

وهذه لوحته الثالثة من قصيدته « ميلاد شاعر »(٤) :

وعلى شاطىء الغدير ورود | اغمضت عينها لمطلع فجر
وسرى الماء هادئا في حوافيـ | ـه يغني ما بين شوك وورد
وكأن النجوم تسبح فيه | قبلات هفت بحالم ثغر
وكأن الوجود بحر من النو | ر على افقه الملائك تسرى

وهل توجد صورة اندى واروع من الزهرة المطبقة اوراقها على قلبها خشوعا ورهبة لبزوغ الفجر ٠ !!

وهل يوجد تشبيه اكثر حياة والوانا من النجوم السابحة بخفة ورشاقة على شفاه الامواج بقبلات ترف وترتعش على ثغر عاشق حالم ؟!

وهكذا ابدع الشاعر المهندس كل الابداع في رسم صوره القلمية ، سيما وانه يستعمل الالفاظ السهلة المشوقة العذبة التي تلائم موسيقاها جو القصيدة فتنساب انسياب جدول رقراق من الينبوع ٠

والان تستطيع ايها القارىء الكريم ان تقارن بين صور المهندس وما تدخله الى النفس وبين الصورة التى يقدمها الشاعر على بن الايادى التونسي في وصف

---

(٣) الديوان :مطلع القصيدة :

قف من الليل مصغيا والعباب | وتأمل في المزبدات الغضاب

٤) على محمود طه ٠شعر ودراسة : ص ٦٢٦ ، مطلع القصيدة :

هبط الارض كالشعاع السني | بعصا ساحر وقلب نبي

قصر المنصورية الذى ابتناه المنصور بن يوسف الصنهاجى «بصبرة» على ميل من القيروان ، قال[٥] :

له بركة للماء ملء فضائـــه نخب بقطريها العيون وتعنـــق
كان صفاء الماء فيها وحسنـــه زجاج صفت ارجاوءه فهـو ازرق
اذا بث فيها الليل اشخاص نجمه رأيت وجوه الزنج بالنار تحـرق

نقول : ان تشبيه الشاعر « نجوم السماء المتلالئة في ظلمة الليل بوجـوه زنوج تحرقها النار » قد احرق القصيدة والقصر وقلوب القارئين ، فامات لذة النشوة واشراقة الفرحة ، وكان البيت الانف المجدوع في القصيدة ٠

— ٢٠ —

ومثل هذا قول ابن المعتز في الشمس[١] : (من الخفيف)

وكان الشمس المنيـرة دينـــا ر جلتـــه حدائـــد الضـــراب

ترى كيف وضح شيخ البلاغيين ، عبدالقاهر الجرجاني ، بيت ابن المعتـز هـــذا ؟

يقول : فهو « حسن مقبول ، وان عظم التفاوت بين نور الشمس ونـور الدينار ، أو الجرم والجرم ، لانك لم تضع التشبيه على مجرد النور والائتلاق ، وانما قصدت الى مستدير يتلالا ويلمع ٠ ثم خصوص في جنس اللون يوجد في ٠٠ الدينار المتخلص من حمى السكة كما يوجد في الشمس ٠ فاما مقدار النور وانه زائد او ناقص ومتناه او متقاصر ، والجرم اعظيم هو ام صغير فلم تتعرض له ٠ ويستقيم لك العكس في هذا كله نحو ان تشبه المراة بالشمس ، وكذلك لو قلت في الدينار : « كانه شمس » او قلت : « كان الدنانير المنثورة شموس صغار لـم تتعد ٠

وجملة القول : انه متى لم يقصد ضرب من المبالغة فى اثبات الصفـــة للشيء ، والقصد الى ايهام في الناقص انه كالزائد ، واقتصر على الجمع بيــن الشيئين في مطلق الصورة والشكل واللون ، او جمع وصفين على وجه يوجــد في الفرخ على حده ، او قريب منه في الاصل ، فان العكس يستقيم في التشبيـــه ، ومتى اريد شيء من ذلك لم يستقم » ٠

نرد على عبد القاهر ، مبتدع النظرية البيانية هذه ، فنقول : من التجنـى ان نتشبث بهذا المقياس في دراسة بيت ابن المعتز لتثبت صحته وسلامته كـى

---

(٥) شهيرات التونسيات لحسن حسني عبدالوهاب : ٧١ ٠

(١) لم اعثر على البيت في (ديوان ابن المعتز) طبعة دار صادر : بيروت ، ولا في طبعة دمشق ٠ ولكن عثرت عليه في طبعة لوين ٤ــ٥٣ في باب الاوصاف والذم والملح ٠

والبيت هو من شواهد عبدالقاهر الجرجاني في أسرار البلاغة ، تحقيق ريتر ، ص ٢٠٤ ، واليمنى العلوي في الطراز : ١ــ٣٥٢ ٠

يرسح في عالم البلاغة ٠٠ اذ كان التشبيه عملية هندسية تكنيكية ، او عملية كيماوية ، لا تجربة شعورية تتجسم بصورة التشبيه وكما قلنا سابقا ٠

فحرام والف حرام ان يبخس ابن المعتز قدر الشمس ، عروسة الكون بل الاهة الطبيعة فيقرنها بـ « دينار جلته حدائد الضراب » ٠

ان الروية الشعرية لابن المعتز فى هذا البيت لم تتجاوز رؤية رجل عريق بالبخل ، يرى الحياة والجمال في الدينار ، يتراى له خياله فى كل ما هو مستدير ومتلالىء ٠٠ وليته توقف هنا اذن لاراحنا وكفانا واغنانا ، ولكنه زاد المنظر قبحا والاساءة اساءة في قوله (جلته حدائد الضراب) ٠ فجعل مخيلتنا مصنعا للحدادة شاركت في طرق ذلك الدينار وجلوه وتلميعه ٠

ترى اين تهويمة النفس الشاعرة في رحاب الشمس ؟ اين الحشود الجمالية المدخرة فى شعور الامير ؟ اين الاجنحة الرفافة والمنتفضة عن الصور المعبرة ؟ اين العوالم الجديدة المترفة التي نقلنا اليها الشاعر من واقعنا الرتيب المملول ؟

ومحصل البيت : ان ابن المعتز في رفة عين من تحليقنا الى عالم الشمس رمانا بديناره ، وبحدائد ضرابه ، فعدنا الى واقعنا ، والعود احمد ٠

فمما تقدم نستنتج الدعوة الاتية :

يجب ان نشذب بلاغتنا العربية ، وان نخلصها من تلك المقاييس الهندسية التكنيكية التي ارهقتها فابعدتها عن التطور والنمو والازدهار ٠٠

وعلى عاتق البلاغيين المعاصرين يقع عبء هذا التشذيب والتجديد والتطور ، والله الموفق

« ربنا افرغ علينا صبرا انك انت السميع العليم » ٠

٢٩ من شهر ربيع الاول ١٣٩٥ هـ — الدكتورة بهيجة باقر الحسني

١١ من شهر نيسان ١٩٧٥ م — استاذة مساعدة في كلية الاداب

جامعة بغداد

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ اساس البلاغة : للزمخشري ٠ دار ومطابع الشعب القاهرة ١٩٦٠

٢ ـ اسرار البلاغة ٠ لعبد القاهر الجرجاني ـ تحقيق ريتر ـ مطبعة وزارة المعارف في استانبول ١٩٥٤

٣ ـ الازمنة والامكنة : لابى على المرزوقي ـ حيدر اباد ١٣٣٢ هـ

٤ ـ الايضاح في المعاني والبيان ـ للخطيب القزويني طبعة مكتبة المثنى ببغداد (الاوفسيت) عن طبعة مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة

٥ ـ الاغاني : لابى الفرج الاصفهاني ، دار الكتب المصرية في القاهرة ١٣٤٥ـ١٣٥٧

٦ ـ اشعار اولاد الخلفاء واخبارهم في كتاب الاوراق ـ لابى بكر محمد بن يحيى الصولي تحقيق هيورث دون ـ لندن ١٩٣٦ ٠

٧ ـ انوار الربيع في انواع البديع : لابن معصوم ، حققه وترجم لشعرائه

شاكر هادى شكر • مطبعة النعمان • النجف ١٣٨٨-١٩٦٨ •
٨ - امالى المرتضى : للشريف المرتضى • دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٧-١٩٦٧ الامالى : لابى على القالى • دار الفكر ، مصر ١٣٤٤-١٩٢٦ •
٩ - ابن المعتز وتراثه في الادب والنقد والبيان : لمحمد عبد المنعم خفاجي • دار العهد الجديد للطباعة ، طبعة ثانية ١٩٥٨ •
١٠ - كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر : عبدالرحمن بن اسحاق الزجاجي • حققه وقدم له وشرحه ، عز الدين التنوخى دمشق ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ •
١١- البديع - لعبدالله بن المعتز اعتنى بنشره اغناطيوس كراتشقوفسكي ، لندن ١٩٣٥ •
١٢ - البيان والتبيين : لعمرو بن بحر الجاحظ • مصر ١٩٢٦-١٩٢٧
١٣ - البلاغة تطور وتاريخ : الدكتور شوقى ضيف • دار المعارف بمصر ١٩٦٥ •
١٤ - التشبيهات : « كتاب التشبيهات » لابن ابى عون - عنى بتصحيحه محمد عبدالمعيد خان • طبع في مطبعة جامعة كيمبردج سنة ١٣٦٩-١٩٥٠ •
١٥ - تلخيص المفتاح : للخطيب القزوينى • ضبطه وشرحه عبدالرحمن البرقوقى دار الكتاب العربى ١٣٥٠-١٩٣٢ •
١٦ - ثمرات الاوراق : الحموى • هامش محاضرات الادباء للراغب الاصفهانى بولاق ١٢٨٦ •
١٧- الجمان في تشبيهات القرآن : لابن ناقيا • تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي •
١٨ - جمهرة اشعار العرب : تاليف محمد بن ابى الخطاب القرشى بولاق ١٣٠٨
١٩ - الجوهر المكنون في المعانى والبيان والبديع : الامام الاخضرى ، مطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر •
٢٠- حسن التوسل الى صناعة الترسل : لشهابالدين الحلبي طبع بمطبعة أمين أفندي هندية بمصر سنة ١٣١٥هـ •
٢١- حلية اللب المصون بشرح الجوهر المكنون : عبدالرحمن الاخضري بهامش كتاب شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان •
٢٢ - الحيوان : للجاحظ : مصر ١٣٢٥-١٩٠٧
٢٣- خزانة الادب وغاية الارب : لابن حجة الحموي • مطبعة الخيرية مصر ١٣٠٤هـ •
٢٤ - ديوان ابن المعتز : عنى بتصحيحه ب • لوين • الجزء الثالث والجزء الرابع من شعر عبد الله بن المعتز • صنعة ابي بكر الصولى • استانبول ١٩٥٠
٢٥ - ديوان ابن المعتز : دار صادر بيروت ١٣٨١-١٩٦١
٢٦ - ديوان عبدالله بن المعتز : قام على طبعه وحل غريبه المرحوم الشيخ محيى الدين الخياط • المكتبة العربية بدمشق ١٣٧١ هـ
٢٧ - ديوان الاعشى : طبعة رودلف جاير فيينا ١٩٢٧ •
٢٨- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني : حققه وشرحه صلاحالدين الهادي • مطابع دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨ •

٢٩ــ ديوان الرسم بالكلمات : نزار قبـــاني ٠ الطبعـــة السادسة ١٩٧٣ ٠ منشورات نزار قباني ٠ بيروت ٠
٣٠ــ ديوان البحتري : دار صادر ، بيروت ١٣٨١ ــ ١٩٦٢ ٠
٣١ــ ديوان وعلى الارض السلام : لمحمد الجيار ٠
٣٢ ــ ديوان عمرو بن قميئة :عني بتحقيقه وشرحه خليل ابراهيم العطيـــة دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٣٩٢ ــ ١٩٢٧ ٠
٣٣ــ ديوان المعاني : لابي هلال العسكري ٠ عنيت بنشره مكتبـــة القدسي في القاهرة ، ١٣٥٢هـ ٠
٣٤ــ دلائل الاعجاز : لعبدالقاهر الجرجاني ــ تعليق وشرح محمد عبدالمنعم خفاجي ٠ الطبعة الاولى ١٣٨٩ ــ ١٩٦٩ ٠ مطبعة الفجـــالة الجـــديدة ، القاهرة ٠
٣٥ ــ سر الفصاحة : لابن سنان الخفاجي ، شرح وتصحيح عبدالمتعال الصعيدي٠ مطبعة محمد علي صبيح واولاده سنة ١٣٨٩ــ١٩٦٩
٣٦ ــ شعر الراعي النميري واخباره : جمعه وقدم له وعلق عليه ناصر الحاني ٠ دمشق ١٣٨٣ ــ ١٩٦٤ ٠
٣٧ ــ الشعر والشعراء : لابن قتيبة الدينوري ــ منشورات دار الفكر في بيروت
٣٨ ــ شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان : جلال الدين عبدالرحمـــن السيوطي ٠ طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية ٠
٣٩ ــ شرح القصائد التسع المشهورات : صنعة ابي جعفر احمد بن محمـــد النحاس تحقيق احمد خطاب ٠ دار الحرية للطباعة ١٣٩٣ــ١٩٧٣ ٠
٤٠ ــ شروح التلخيص : وهي مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني عـــلى تلخيص المفتاح للخطيب القزويني
ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي ٠
وعروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي
طبع بمطبعة البابي الحلبي وشركاه بمصر
٤١ ــ شرح ديوان عنترة بن شداد : تحقيق وشرح عبدالمنعم عبد الـــــرؤوف الشلبي ، وتقديم ابراهيم الابياري ٠ القاهرة
٤٢ ــ شرح ديوان المتنبي : وضعه عبدالرحمن البرقوقي ٠ دار الكتـــاب العربي ببيروت ٠
٤٣ ــ صحيح البخاري : صحيح ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخـاري دار الطباعة العامرة ١٣١٥ ٠
٤٤ ــ الصناعتين :
كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، لابي هلال الحسن بن عبدالله العسكري الطبعة الاولى ١٣٧١ــ١٩٥٢ ٠ تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابـــي الفضل ابراهيم ٠
٤٥ ــ الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز : ليحيى بن حمزة العلوي اليمني ٠ طبع بمطبعة المقتطف بمصر سنة ١٣٣٢ــ١٩١٤ ٠

٤٦ ــ طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء : لابن المعتز • اعتنى بنشره عباس اقبال • لندن ١٩٣٩

٤٧ــ علي محمود طه شعر ودراسة : لسهيل اوريس المحامي دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر • دمشق ١٩٦٢ •

٤٨ ــ العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده : لابى على الحسن بن رشيق القيروانى • حققه محمد محيى الدين عبدالحميد • دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢ •

٤٩ ــ عيار الشعر : لمحمد بن احمد بن طباطبا العلوى • تحقيق دكتور طه الحاجرى ودكتور محمد زغلول سلام القاهرة ١٩٥٦

٥٠ ــ العقد الفريد : لابى عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسى • شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه احمد امين ،احمد الزين ، ابراهيم الابيارى الطبعة الثالثة ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٣٨٤ــ١٩٦٥ •

٥١ ــ عيون الاخبار : لابى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى • مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣ــ١٣٤٨ • ١٩٢٥ــ١٩٣٠

٥٢ ــ غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات : لعلى بن ظافر الازدي المصرى تحقيق د • محمد زغلول سلام ود • مصطفى الجوينى • دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١

٥٣ ــ فن التشبيه : لعلى الجندى • الطبعة الاولى ، مطبعة نهضة مصر ١٩٥٢ •

٥٤ ــ القاموس المحيط : تاليف مجد الدين محمد بن يعقوب ا لفيروزابادى الطبعة الثانية ١٣٧١ــ١٩٥٢ ، مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر

٥٥ــ الكامل في اللغة والادب : لابي العباس المعروف بالمبرد مكتبة المعارف ، بيروت •

٥٦ ــ المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : لضياء الدين المعروف بابن الاثير ، قدم له وحققه وعلق عليه • الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانه دار نهضة مصر للطبع والنشر في القاهرة ١٣٨١ــ١٩٦٢

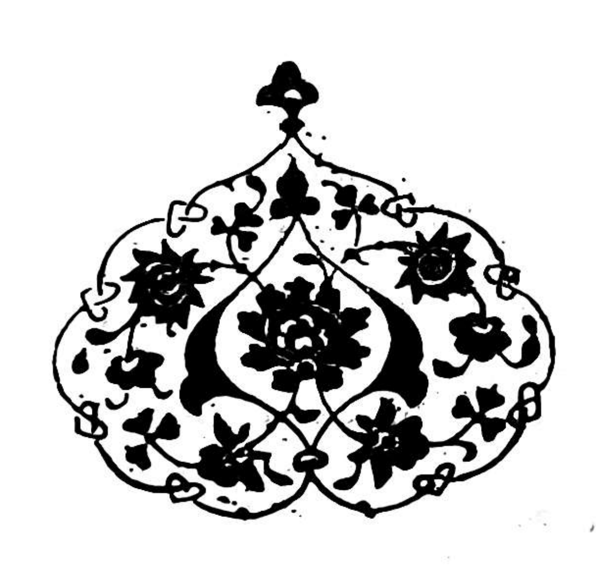
٥٧ ــ المصون في الادب : تاليف ابى احمد الحسن بن عبدالله العسكري تحقيق عبدالسلام هارون • الكويت ١٩٦٩ •

٥٨ــ المطول على التلخيص : مؤلفي خطيب دمشقي ، شارحي علامة تفتازاني ، محشى سيد شريف • استانبول ١٣٣٠ •

٥٩ ــ المعانى : كتاب المعانى الكبير لابى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى • الطبعة الاولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن ــ الهند ١٣٦٨ــ١٩٤٩ •

٦٠ ــ معاهد التنصيص على شواهد التلخيص : للشيخ عبدالرحيم بن احمد العباسي • حققه محمد محيى الدين عبد الحميد • مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ١٣٦٧ــ١٩٤٧ •

٦١ـ مفتاح العلوم : لسراج‌الدين السكاكي ٠ مصر ١٣١٨ ٠
٦٢ ـ معجم البلدان : لابى عبدالله ياقوت الحموى ٠ دار صادر ، بيـــروت ١٣٧٦ـ١٩٥٧ ٠
٦٣ ـ مختصر المعانى : او تلخيص المفتاح للعلامة مسعود بن عمر المدعو بسعــد التفتازانى٠ قام بطبعه وتصحيحه رضا لطفى ٠مطبعة التوحيد ١٣٧٤ـ١٩٥٤
٦٤ ـ الموازنة بين شعر ابى تمام والبحترى : لابى القاسم الحسن بن بشــر الامدى ٠ تحقيق احمد صقر ، دار المعارف بمصر ١٣٨٠ـ١٩٦١ ٠
٦٥ ـ نهاية الارب في فنون الادب : لشهاب الدين النويرى القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٤٩ ٠
٦٦ ـ نثار الازهار في الليل والنهار : لجمال الدين محمد بن جلال الدين الملقــب بابن منظور صاحب لسان العرب مطبعة الجوائب في القسطنطينية ١٢٩٨



جوانب خفية لم تنشر عن العقاد

اعداد : حميد مجيد هدو
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

شاءت الصدف ان اكون في القاهرة والصحافة المصرية تحتفل بالذكرى الحادية عشرة لوفاة الكاتب الخالد ابى العبقريات الاستاذ عباس محمود العقاد ونظرا لما يحتله هذا المفكر الاصيل في نفوس العرب والعراقيين خاصة من مكانة مرموقة ملؤها التقدير والاعجاب والاجلال سرنى ان اجرى لقاء ادبيا عابرا علنى استطيع ان اسهم مع من اسهم في تخليد هذا الاديب الكبير وان افيد القارئ العربى بعض الفائدة المتوخاة لان تخليد العظماء واحياء ذكراهم دروس بليغة للاجيال في استجلاء جوانب المجد والحضارة لامتهم العريقة في الحضارة ووفاء من الخلف لما قدمه السلف الصالح ٠

ولقد توسمت الخير في اجراء هذا الحديث عسانى اكون قد كشفت بعض المجهول من حياة هذا المفكر العربى الشامخ الذى ملأ الدنيا بمؤلفاته ومقالاته وبحوثه وقصائده وجملة آثاره الادبية والفكرية وشغل الناس في عصره بارائه واستقراءاته في كل مجال من مجالات المعرفة والثقافة وفي اعتقادى ان ذلك لايتحقق الا لانسان عاش حياة طويلة مع استاذنا العقاد كي يوقفنا على حقائق الامور ويسردها لناهي هي دون تحريف او زيادة او نقصان ولا نرى احدا اجدر بذلك من الصديق العزيز الاستاذ عامر احمد محمود العقاد ابن اخ العقاد وملازمه ملازمة الظل فاجرينا هذا اللقاء متجنبين الاسئلة التى نعتقد في اجابتها تكرارا لما هو منشور في حياته ـ رحمه الله ـ او بعد وفاته انما حاولنا جهد المستطاع ان نجعل الاسئلة تدور حول تبيان ما هو بكر وجديد وغير منشور قدر الامكان ، فاجابنا الاستاذ عامر مشكورا على أسئلتنا ، مقدرا مواقف أدباء العراق واتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين من ادب العقاد وفكره الخصب النير وشعره العربى الاصيل ٠

س : بعد وفاة العقاد نشر الاستاذ رجاء النقاش في احدى صحف القاهرة خبرا مفاده ان المرحوم العقاد خلف بنتا غير شرعية ، وهذا اتهام باطل وفرية مختلقة كاذبة عن الكاتب العملاق فهل لكم ان تدلوا بالحقائق لمن ينشدها ٠

ج ـ ظل العقاد بعد استقالته من قلم المطبوعات يعانى من شظف العيش وقلة ما في اليد ، ولكنه صمد كالجبل الاشم لا يتزحزح ولن تلين له قناة منطلقا بذلك من قوة الايمان بهذا الشعب واقرار حقوقه المهضومة على ايدى الانكليز واعوانهم وتلامذتهم فهو كما عرف عنه من صلابة فى العقيدة وقوة شكيمة فى الرأى وصبر عند الشدائد والملمات وعداء لكل جبار متجبر وخائن متكبر ٠ في ظل تلكم الظروف القاسية الدقيقة آثر الضنك مع الكرامة على الترف مع الذل

والاستعباد فعمل مدرسا في مدرسة متوسطة (وتسمى اعدادية في مصر) في حى الظاهـر بصحبة ثلة من أصدقائه أمثـال المرحوم ابراهيم عبدالقادر المازني ، ومحمد فريد (ابو حديد) ، واحمد حسن الزيات ، ولم يستمر الحال في عمله على ذلك طويلا اذ سرعان ما يصطدم مع مديرها (ناظرها) فيقدم استقالته ويتضامن معه المرحوم المازنى .

وفي ظل تلكم الظروف العصيبة كان العقاد يسكن حى السكاكينى في غرفـة بالطابق الارضى من شارع النزهة المتفرع من ميدان الجيش (حاليا) وفي نفس البيت الذى كان يسكن فيه كانت الى جوار غرفته تسكن عائلة غنية من سـراة القوم واثرياء القاهرة ينحدر نسب عائلها من مكة المكرمة وهذا الرجل المدعـو مصطفى القدسى من اوائل المؤسسين لشركة اتوبيس القاهرة حيث كان شريكـا في شركة (سانت كروفت) للاوتوبيسات ، واستاذنا العقاد كان يجتمع اليه في بعض الليالى ويتبادلان الاحاديث المختلفة في الشؤون العامة وما يدور فى البلد من اخبار وحوادث وتارة ينقله العقاد الى قضايا ادبية وظرائف ونكات وطرائـف عربية يأنس اليها السيد القدسى ويطلب المزيد من ذلك الادب الرفيع فيرتـوى من فكر العقاد الخصب ويتنور بافكاره الصائبة البعيدة ، فقويت الروابط اكثـر فاكثر مما جعل السيد القدسى يدعو العقاد الى مكتبه بادارة الشركة الذى كان مقره (اى المكتب) المكان الذى اقيمت عليه مستشفى سيد جلال الخيرى الان بشارع بور سعيد من ناحية ميدان باب الشعرية ، وهناك كان العقاد يجلس ويقدم له ذلك الجار الموسر اكواب (الخروب) المثلجة مع مغيب الشمس وهما يتجاذبان اطراف الحديث في السياسة والادب والقضايا العامة .

ويمرض العقاد يوما فيلازم حجرته وليس معه أحد من عائلته حيث كانوا جميعا في اسوان فلما علم ذلك الجار الصديق بمرضه عاوده واحضر له الطبيب فعالجه على نفقته بل وكانت زوجة ذلك الرجل تعامله كاحد ابنائها اذ انها وجدت فيه ابنا بارا لأن ذريتها كانت كلها من الاناث فسهرت على خدمته بل كانت تسأله دائما عن سبب انقطاعه من عمله بعد ان كان يعمل في التدريس ، فاخبرها بمـا حدث بينه وبين ناظر تلك المدرسة ، وكيف انه استقال وصاحبه المازنى غيـر مكترث بما تحمله الايام لهما في هذا البلد الغريب ، ولكن تلك الزوجة الكريمة رأت من الواجب عليها ازاء ذلك الجار الكريم ان تمده بالمساعدة فقدمت له بعضا من حليها ليرهنها ويفك بها ازمته حتى يفرج الله الامور فيجد له عملا . وفعـلا قام العقاد برهن تلك الحلى التى منحته اياها تلك السيدة البارة الكريمة وسدد ما عليه من التزامات مالية . وتصادف ان زاره احد أخواله التجار فمنحه مبلغا من المال استطاع ان يعيد به حلى تلك السيدة الجارة التى رهنها لدى احـد التجار قبل اسابيع ويشكر لها وقوفها معه في محنته . وظل على اتصال بتلـك العائلة سنوات طويلة ، لاسيما بعد ان مات عائلهم وتبددت ثروته ولاقت الزوجة وبناتها مالاقت من عنت الدنيا وقسوة الاقدار ، ومع الايام كان نجم العقاد يعلو في سلم المجد ، ورغم ذلك كان لاينقطع عن زيارة تلك السيدة ويمد لها يد المساعدة

ما استطاع الى ذلك سبيلا . وفي سنة ١٩٤٠ تزوجت السيدة الارملة من رجل يعمل في المقاولات فانجبت له بنتا بعد زواجه بها بسنتين وتشاء الظروف ان تنعكس الحال في وجه هذا الرجل فتضيق الدنيا به وتبدد ثروته فيعمل نقاشا لدى احد المقاولين الكبار .

وفي سنة ١٩٤٥ يرزق ذلك النقاش المدعو محمد رشاد المراسى بنتا اخرى تلدها زوجته بالمستشفى ثم يوافيها اجلها خلال ولادتها . فيعلم العقاد صديق تلك الاسرة القديم بموتها فيذهب للعزاء ويسأل بنات تلك السيدة عن مصير المولودة الصغيرة بعد وفاة امها فيعلم منهم انهم سيسلمونها الى احد الملاجئ لترعاها الحكومة فيهتز قلب العقاد لذلك فيطلب ان يسمح له في رعايتها وتولى الانفاق عليها حتى تكبر ، فرحب ذلك الرجل الفقير بتلك الاريحية التى ابداها العقاد ، وتتعهد اختها الكبرى الاشراف على تربيتها على نفقة العقاد ، وكانت تلك السيدة تجلب الطفلة الصغيرة الى العقاد كل اسبوع فى بيته بمصر الجديدة حتى يطمئن عليها ويقف على احتياجاتها، وقد رأيتها تتردد عليه حتى آخر أيامه في الحياة فوجدت من العقاد عطفا ابويا شملها فكانت تخاطبه بلقب « بابا الاستاذ » وكان رحمه الله يهتم بها اهتماما بالغا فكان يكلفني في كثير من الاحيان او يكلف الاستاذ الشاعر طاهر الجبلاوى في شراء ما تطلبه من كتب دراسية وملابس وغيرها وهذه الفتاة ظلت تستظل بظل العقاد الوارف وتحتمى به فكان لها الاب الحنون الى اخر لحظة من لحظات عمره وحتى بلغت السابعة عشر من العمر .

س : كيف اتفق يوم وفاتها يوم وفاة العقاد ؟

ج ــ بعد ان اعلن المذياع نبأ وفاة العقاد هاج الناس وماجوا معلنين اسفهم لهذا الخبر المفجع وراحت النداءات الهاتفية تترى على دار الفقيد من كل حدب وصوب تعلن بالغ الما وحزنها لما حدث وفي الهزيع الاخير من الليل دق جرس الهاتف واذ بأخت الفتاة التى رعاها العقاد تبدى اسفها وتبث اساها ولوعتها وتطلب منا الاذن بالمجيء الى البيت فاذنا لها بذلك وبعد برهة قصيرة واذا هى واختها الفتاة تدخلان علينا وكانت عقارب الساعة تشير الى الثالثة صباحا ونحن مشغولون فيما سنفعله في الغد من تشييع وتجهيز ونقل الجثمان ودفنه في مسقط راسه (اسوان) واذا الفتاة نشاهدها وقد احتضنت جثمان العقاد المسجى على سريره وتقبل اطرافه وراسه وتشم جسمه وهى في حالة انستها تصرفاتها تلك وكلما حاولت ان اخرجها من الغرفة كانت محاولتى عبثا حيث امسكت به وهى تنوح وتصرخ وتعول ولكن بعد جهد جهيد وبمعاونة الاستاذ محمد خليفة التونسى الذى كان حاضرا معى استطعنا ان نخرجها من الغرفة بعد ان انهارت قواها وتوقعنا لها مفارقة الحياة بعد ساعات او ايام وفعلا صح ما توقعناه وقد اشرنا على اختها الكبيرة ان تخرجها خارج البيت وتعود بها من حيث اتت حفاظا على حياتها وشبابها وكذلك اوصيناها بان لا تفارقها لوحدها حيث تشدد الرقابة عليها خشية الانتحار وصدقت نبوءاتنا فبينما نحن فى شغل شاغل لنقل الجثمان الى اسوان بواسطة القطار ونحن في محطة القطار اذ جاء رسول من عند اهلها

يبلغنا بانتحار الفتاة الصغيرة بعد تناولها اقراصا مهدئة اكثر من الكمية المسموح بها حيث تسمم جسمها ولم تسمح للاطباء بادىء الامر باسعافها حتى تشبع جسمها بفاعلية الاقراص وعندها لم تنفع محاولات الطبيب في انقاذ حياتها واخيرا فارقت الحياة وجثمان العقاد بعد لم يسج في القبر ولازال في القاهرة فتحيرت في امرى ماذا اصنع لاهل الفتاة بعد ان طلبوا منى المساعدة وماذا ساقدم لهم من عون وانا بهذا الموقف فطلبت من بعض المشيعين ممن رافقوا الجثمان وعلى ما اتذكر — الاستاذ طاهر الجبلاوى والاستاذ محمد خليفة التونسى وغيرهما ان يتصلوا بوزير الصحة كى يأمر المسؤولين في ادارة المستشفى بان يسلموا جثة الفتاة الى اهلها دون تاخير وفعلا كان ذلك ودفنت في مقابر العباسية ، وبعد يوم اويومين من الحادث اذ يطلع علينا الاستاذ رجاء النقاش بالخبر المضلل والادعاء الكاذب من ان هذه الفتاة هى ابنة العقادغير الشرعية ٠

بقى ان تعلم يا عزيزى ان اسم الفتاة هو (بدرية) وهذه هى قصتها منذ ولادتها وحتى انتقالها الى الرفيق الاعلى مع من احبها ورعاها وصان كرامتها ٠

س : كانت للعقاد فلسفة معينة في الزواج ورأى معلوم في المرأة ٠ فهل لنا ان نقف على ذلك من خلال ملازمتكم له ٠

ج — لم تكن للعقاد فلسفة في الزواج انما مشاغل الحياة ومتاعبها وانغماسه فى المطالعات المتعددة الجوانب حالت دون الاقدام او التفكير في الزواج هذا من ناحية اما من الناحية الاخرى فان حاجاته ولوازمه كانت تقضى على يد اهله وعشيرته واسرته فهو في غنى عن الاخرين وسعيد من اكتفى بغيره ٠ هذان هما العاملان اللذان صرفا العقاد عن الزواج ٠

اما الشق الثانى من سؤالكم وهو ما يتعلق برأيه رحمه الله في المرأة ذلك العنصر الذى كرمه العقاد واخلص له منطلقا من ايمانه بالله وبالاسلام الذى كرم المرأة وصان حقوقها وحفظ انوثتها ونظر اليها في كل تشريعاته نظرة ملؤها العطف والحنان والرحمة فنظرة العقاد كانت من خلال نظرة الاسلام اليها فليس من المعقول ان تصدر عن مفكر امن بالاسلام ايمان الرجل الواعى المؤمن ان يذل المرأة او يحتقرها على خلاف ما اراد لها الاسلام الحنيف ومن شاء ان يستزيد فليراجع كتبه الثلاثة عن المرأة وهى : هذه الشجرة الذى صدرت طبعته الاولى عام ١٩٤٥ عن دار سعد مصر ،وكتاب الانسان الثانى الذى صدرت طبعته الاولى عام ١٩١٢ عن مكتبة دار الهلال بالفجالة ، وكتاب المرأة في القرآن الذى صدرت طبعته الاولى سنة ١٩٥٩ عن دار الهلال ٠ هذا اضافة الى مقالاته المتناثرة في المناسبات المختلفة عندما يتحدث عن المرأة فلا يغمط حقا من حقوقها المشروعة وقد قالت عنه الاديبة المعروفة (مفيدة عبدالرحمن) عقب وفاته مثمنة مواقفه تجاه العنصر النسائى بقولها : « غير صحيح ان العقاد كان خصما للمرأة ٠ ان العقاد هو نصير المرأة ان كل كلمة كتبها المفكر الكبير عن المرأة وسام لكل بنات حواء يؤكد شخصيتها ويحفزها على مضاعفة الجهد لتثبت جدارتها على الجمع بين الامومة والعمل خارج البيت ٠٠ »

س : المعروف عن استاذنا المرحوم العقاد سرعة غضبه وضيق صدره من اى نقد يوجه له او لاى اثر من آثاره الادبية والفكرية فكان ينفعل ويقيم الدنيا ويقعدها عندما ينقده احد ، فكان ذلك مدعاة لدخول معارك وخصومات مع ناقديه اغنت الادب الحديث وافادت القارئ العربى • فهل لكم ان تحدثوا القراء وانصار العقاد عن اشهر المعارك النقدية وابرز لنزعات الفكرية التى عرضت للعقاد خلال مسيرة حياته الحافلة بشتى الوان العلم والمعرفة ؟

ج ـ العقاد شخصية مزاجها من نمط فريد قلما يكرر في عالم الانسان ، يمتاز بانه لايخشى في قولة الحق لومة لائم ابدا ، فهو شجاع يجاهر بالصدق والعدل ويمقت الكذب والظلم وحسبنا دليلا على صدقه تراجمه التى اغنى المكتبة العربية بها مثل : محمد ، والمسيح ، وابى بكر ، وعلى ، والحسين ، وسعد زغلول ومحمد على جناح وغيرهم •

ان ايمان العقاد برسالته ، وتحمله مالاقى من صعاب في سبيلها دليل على شجاعته وحسن نيته ، ومن ذلك حملته على شوقى وعلى انصار القديم اذ وقف لهم وحده عندما توقف صاحباه عن الدعوة • فلم يكن يبالى وهو يوجه ضرباته الى انصار القديم بكل ما فيه من عزم وقوة وجرأة على المخاطر مهما تكن العواقب في سبيل الحق وحسبنا قوله :

هما سبيلان من يبغ السلامة لا يأسف على الحق او يحلم برؤياه
ومن بغى الحق في الدنيا فلا اسف على السلامة ان خانته دنياه
قد يهجر الامن من ذلوا ومن وهنوا وما تفرق قط الهول والجاه
فاختر لنفسك : اما المجد في خطر او الهوان وقد تشقى ببلواه
وما اختيارك الا ما خلقت له ان الطبائع ما ترضاه نرضاه

★ ★ ★

وقد اوحى اعتزاز الرجل بنفسه لدى البعض انه مغرور وخشن وجاف القول اذا استثير وغير ذلك من الصفات التى تشفى اصحاب الصدور الحانقة واورد لك قصة طريفة لابرهن لك دعواى ، مرة سمعت من صباغ للاحذية وهو يحقد على العقاد ويكرهه فتعجبت من ذلك وسالت نفسى ما هى علاقة هذا الرجل العامى بعلم شامخ كالعقاد وما هى الدوافع الخفية التى دفعته لكى يصب حمم سبابه ولعناته على العقاد ، فسألته سؤال المتحير عن السبب فاجابنى بالحرف الواحد : لماذا تمتلىء الصحف والمجلات باسم العقاد وتتوسط صوره معظم الصحف وهو لايعدو ان يكون رجلا يملا الصحيفة بكلام فارغ لاجدوى من ورائه (طبعا حسب تقديرات الاسكافى) ، ويومها دعوت لهذا الرجل المسكين بشفاء الصدر مما يعانيه ويجنبه الله ضغينة الحسد والحقد التى تملا قلبه •

من ابرز المعارك الادبية واقدمها في حياة العقاد هو ما حدث بينه وبين الرافعى عندما نشر العقاد في (المؤيد) سنة ١٩١٤ نقدا عنوانه (فائدة من افكوهة) تدور المقالة حول اضطراب القياس عند الرافعى حينما كتب عن جهاز النطق لدى الانسان والحيوان ، فينهى العقاد مقالته بان الرافعى منشىء مكين ، يحس

اضطراب القياس لديه ويعمل القلم ولا يعمل الرأى وكان ذلك اقدم مقال نقدى صدر عن العقاد وهذا الذى اوردته هو الصواب وقد فات ذلك الاستاذ سعيد العريان حينما كتب عن معركة العقاد الاولى مع الرافعي ولا حاجة للاطالة في ذلك ٠

ومن معارك العقاد النقدية المهمة ما كان مع احمد شوقى وهى في الحقيقة كانت معركة بين التقليد والتجديد وقد اخطأ التقدير من ظن ان المعركة بينهما كانت سنة ١٩٢٠ حينما اصدر العقاد والمازنى كتاب (الديوان) فالمتتبع لنقد العقاد شعر شوقى يجد انه قال رأيه في شاعرية شوقى وشعره قبل ذلك بسنوات عندما عاب عليه الغلو والتقليد وكذب العاطفة واتهمه بانه في رثائه لبطرس غالى كان يبكى الامير والقصر ٠

وقد اخذ الكثير من اصدقاء العقاد شدة لهجته حينما نقد شوقى وفاتهم ان تلك اللهجة كانت انسب اللهجات لمخاطبة رجل متنفذ كشوقى يشاركه في هذه المسؤوليه الذوق الادبى الذى كان سائدا في الحياة الادبية انذاك حيث كانت الفرص متاحة له وحده (اى لشوقى) وكأن شوقى وحده شاعر العرب والعالم والعقاد كان يعتبر شعر شوقى لايدل على مزية نفسية او صفات شخصية ومعنى ذلك انه ليس بشاعر موفور الحظ من الطبيعة ٠ وهذا العقاد يدافع عن وجهة نظره تلك الى اخر لحظة من لحظات عمره ٠

ومن معارك العقاد الادبية الطويلة مواقفه من طه حسين – رحمه الله – وتاريخ ذلك يرجع الى سنة ١٩١٦ عندما كتب العقاد في (المقتطف) مقالا بعنوان : (نظرات في فلسفة المعرى) وختمها يومذاك بمآخذ اخذها على دراسة الدكتور طه حسين للمعرى ٠

واستمرت الخصومة والردود بين الاثنين زمنا طويلا اغنت التراث والادب الشىء الكثير ولكن العقاد لم يحقد ولم يظلم طه حسين واثاره بل وقف الى جانب صديقه وزميله ساعات المحنة وايام الضيق والامثلة كثيرة منها موقفه اثناء الازمة التى عرضت لطه حسين عندما اصدر (في الشعر الجاهلى) سنة ١٩٢٦ الامر الذى حدا برجل كالشيخ مصطفى الغاياتى عضو مجلس النواب ان يقول في حينه : « ما كان المظنون ان يوجد بين المسلمين في مصر من يجروء على الدين الى هذا الحد الذى بلغه طه حسين ٠٠ الخ » وايده المسؤولون في حينه وساقوا المؤلف الى القضاء ولكن العقاد ازاء تلك الزوبعة التى هبت بوجه طه حسين وقف موقفا لن ينساه التاريخ منطلقا من مبدأ حرية الكلمة وحرية الحرف ان دافع تحت قبة البرلمان وسط بلبلة عاصفة لاتعرف مغبتها وقف يدافع عن الرجل وعن حرية الرأى والفكر في هذا البلد وقد كان لدفاعه انف الذكر اثر محمود في نفس الدكتور طه حسين وظل يذكر هذا الموقف والاريحية من العقاد الى نهاية حياته ٠ ولم تقتصر مواقف العقاد على واحدة من القضايا التى عنت لطه حسين في حياته وعرضت له فله موقف مشرف حينما حاولوا اخراج طه حسين من الجامعة وقد ذكر طه حسين في جريدة الاهرام في ١٦–٣–١٩٦٤ تحت عنوان (اول حديث لطه حسين عن العقاد) قال : ان العقاد وقف وقفة مشهودة يوم اراد

خصومى اخراجى من كلية الاداب فقال العقاد : « على مهلكم فانتم اذا اخرجتم فلان من الجامعة ، فلن تجدوا من يستحق ان يجلس مكانه » ٠

هذه هى ابرز المعارك الادبية والنقدية في حياة العقاد وان كانت له اراء ومواقف تجاه بعض القضايا كقضية الشعر الحر مثلا الا انها لم تكن من البروز كالتى ذكرناها ٠

س : ترك العقاد اثارا مطبوعة تربو على السبعين ٠ فهل لكم ان تحدثونا عنها بعد ان اختلف مؤرخو الادب في عددها ؟

ج ـ يخطىء الكثيرون عندما يذكرون عدد مؤلفات العقاد ، فمنهم من يذكر ان عددها سبعون مؤلفا ، ومنهم من يضيف خمسة على هذا الرقم ، ومنهم من يتحذلق فيذكر انه ترك مؤلفات بعدد سنى عمره التى عاشها وهى اربعة وسبعون عاما على التقريب ٠ والواقع ان عدد تلك المؤلفات حتى تاريخ وفاته ٩٣ مؤلفا وكتابا بدأها بكتابة الاول « خلاصة اليومية » سنة ١٩١٢ وكان الاستاذ العقاد يسميه « شهادة ميلاد » اى ميلاده هو ككاتب وشاعر في عالم الفكر والقلم ، وختمت هذه المؤلفات بكتابه « جوائز الادب العالمية » وهو الذى صدر عن المطبعة في سلسلة المكتبة الثقافية التى تصدرها وزارة الثقافة المصرية وذلك في اذار (مارس) ١٩٦٤ اى قبيل وفاته بسبعة ايام على وجه التقريب ٠

يضاف الى ذلك العد الوفير من مئات المقالات والابحاث المتناثرة في بطون المجلات والصحف المصرية والعربية في مختلف شؤون المعرفة الانسانية لم تجمع في كتاب ـ ومما يجب ملاحظته فيما يتعلق بمؤلفات استاذنا العقاد ان هذا الانتاج قد اخذ في الزيادة منذ بلوغه الاربعين وان المؤلفات التى ظهرت في الفترة المذكورة او بعدها من عمره كانت من الكتب ذات الموضوع الواحد لانه كان منصرفا من ذى قبل الى تحرير المقالات وكتابة الابحاث القصيرة ٠ وقد يندهش بعض الناس عندما يعلم ان مؤلفات هذا العبقرى اخذت تكثر في اخريات ايامه ٠ حتى في ايام شيخوخته التى يعمد الناس فيها الى الراحة والخلود الى الهدوء والابتعاد عن الضجيج وعالم الصخب ، ولنضرب لذلك مثلا : في سنة ١٩٥٣ والتى بلغ العقاد في ذلك الحين الثالثة والستين من عمره فانه استطاع ان يقدم للمكتبة العربية في تلك السنة خمسة مؤلفات قيمة هى على الترتيب [عبقرية المسيح ، فاطمة الزهراء والفاطميون ، ابن رشد ، ابو الانبياء ، ابو نؤاس] وانا لا ارى موجبا لتلك الدهشة عندما نعلم ان الرجل كان من ادق من رايت في حياتى تنظيما لاوقاته ، فقد كان كل تصرف يصدر عنه وفق حساب دقيق ومنظم ، يضاف الى ذلك تفرغه للقراءة والتاليف ، ولا اعرف من بين حملة الاقلام في مصر كاتبا متفرغا عاش معتمدا على قلمه سوى العقاد ، فالكل كان يعتمد على وظيفة الى جانب العمل الفكرى ٠ هذا الى كون ان العقاد كان من اكثر مفكرينا العرب الذين اتاهم الله مقدرة خاصة مع غزارة في العلم وقدرة على التلخيص والتركيز مما ساعده على ذلك كله ٠

يضاف الى ما تقدم انه بعد وفاة العقاد سنة ١٩٦٤ صدر ما يقرب من عشرين

كتابا للعقاد وهى مجموعة مقالات ادبية ونقدية واجتماعية في مصر وخارجها ، منها سيرة قلم ، انا ، دراسات في المذاهب الادبية والاجتماعية ، المرأة ذلك اللغز ، فنون وشجون ، قضايا ومواقف ، اراء في الاداب والفنون ، بحوث في اللغة والادب . وغيرها ٠

س : هل خلف العقاد مؤلفات مخطوطة لم تطبع ، وهل في النية طبعها ـ ان وجدت ـ ؟

ج ـ الواقع ان العقاد لم يترك مخطوطات لانه كان لايكتب الا اذا طلب منه الكتابة ٠ اى باتفاق مسبق مع ناشر معين ، الم اقل لسيادتكم من قبل انه الكاتب الوحيد الذى عاش على ما يدره عليه قلمه فكيف كان فى الامكان ان يكتب ويترك ما كتب للظروف وان كان ولابد من ذكر ما تركه مخطوطا فهو بداية مؤلف كان ينوى ان يكتبه عن الامام الغزالى حيث كان العقاد يرى فيه انه اعظم من ديكارت الفيلسوف الالمانى ، وهى صفحات قليلة لاتتعدى ملزمتين ورايت ان احتفظ بهما واطلقت عليهما (السمفونية الناقصة في الفكر العقادى) على اساس ان الاجل لم يفسح لصاحبها كي يتمها ٠

س : ترك العقاد مكتبة عامرة ضمت الافا من المراجع والدوريات والكتب قديمها وحديثها عربيها واجنبيها ٠ فهل لكم ان تدلوا لنا بما الت اليه تلكم الخزانة القيمة ؟

ج ـ تبلغ مكتبة العقاد ٢٥ الف مجلد وكتاب وباللغة العربية واللغات الاجنبية الحية كما كانت روضة فكرية حوت كل الفنون الانسانية والمعارف ، وهى المكتبة الثالثة التى كونها ـ رحمه الله ـ حيث الاولى يرجع تاريخها الى سنة ١٩٠٧ وبقيت في حوزته الى سنة ١٩١٩ حيث تبددت نتيجة للظروف السياسية التى احاطت به ، والثانية تاريخها بعد سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٤٢ حيث هاجر من مصر الى السودان عندما كانت جيوش هتلر على مشارف العلمين وكانت اذاعة برلين قد هددت العقاد بالقتل وهو الذى هاجم النازية والنازيين فترك خزانته لبعض أصحابه وطلب منهم بيعها وارسال اثمانها اليه لكي يقيم اوده منها في ديار الغربة بالسودان ، ولما عاد بدا يبنى مكتبة جديدة وهى الثالثة التى بقيت حتى ارتحاله الرحيل الابدى ٠ وقد ارتأينا ان نودعها في دار الكتب والوثائق المصرية في جانب خاص يحمل اسمه الكريم ولكننا ننتظر حتى تنتقل دار الكتب الى مكانها الجديد على كورنيش النيل كي ننقلها اليها ٠ والمكتبة لاتضم كتبا مخطوطة ذات بال اللهم الا بعض المفردات بعدد اصابع اليد ، ولكن المهم ان تعليقات العقاد على بعض الكتب وعمل الحواشى عليها هو الذى يكسبها اهمية علمية وقد تكون بعض الهوامش والشروح مهمة جدا ٠

س : اود ان يطلع القراء الافاضل على قصة وفاته ثم تشييعه ودفنه بايجاز ٠

ج ـ توفى العقاد لرحمة مولاه عن عمر بلغ الرابعة والسبعين وشهرين ويومين وشيعت جنازته مساء ١٢ـ٣ـ١٩٦٤ تشييعا مهيبا الى بلدته اسوان حيث دفن فيها فى مقبرة خاصة في الطريق المؤدية الى السد العالى ، وقد ظلت المقبرة

مهملة فترة طويلة حتى قيض لها بعض محبى ادبه الى السعى من اجل تشييدها وتولى المهندس عثمان احمد عثمان الوزير الحالى والمقاولون العرب بناءها وظل محافظ اسوان يتابع العمل بنفسه وافتتحت هذا العام في ذكراه الحادية عشرة ١٣-٣-١٩٧٥ حيث وضع الرئيس انور السادات اكليلا من الزهور على قبره أثناء وجوده في اسوان ، وقد سارت مسيرات شعبية وطلابية الى مقبرته لتضع عليها اكاليلا من الزهور اجلالا لادب وشخصية الرجل الخالد ، وقد القى جمهور من الشعراء قصائدهم في تخليد اديبهم الكبير وكذلك انشأ الادباء مقالات تشيد بعبقرية ومكانة استاذهم الراحل حيث استمر الاحتفال اياما ثلاثة افتتح اثناءها معرض ضم مخلفات الراحل العظيم وبعضا من كتبه التى تركها بمنزله في اسوان والتى تبلغ ٤ الاف كتاب اضافة الى نسخة من كل مؤلف من مؤلفاته ٠

س : صدرت بعد وفاة العقاد عدة كتب ودراسات عنه فهل لكم ان تحدثونا عنها وعن طبيعة بعض تلكم الدراسات الجادة التى سلطت الاضواء على كل جانب من جوانبه المتعددة ومنها شاعريته ؟

ج - الواقع ان هذا سؤال احب الاجابة عليه لالشىء الا لانه يعطينا فكرة وافية عن تلك المكانة والمنزلة التى كان يتمتع بها العقاد بين مفكرينا المعاصرين ويتضمن كذلك ردا على اولئك الذين كانوا يرمونه بانه صاحب اسلوب صعب لايعرف السهولة ، او ان شاعريته من ذلك النمط العقلانى المتفلسف ٠ وقد كان الى وقت قريب يحلو للشاعر صالح جودت الذي احتل مكان العقاد في لجنة الشعر بالمجلس الاعلى للفنون والاداب في الاونة الاخيرة وبعد وفاة الشاعر الكبير عزيز اباظة ٠٠ كان يحلو له كلما ذكر العقاد وسط الشعراء العرب لقبه بالشاعر العقلانى وهى محاولة يرمى من ورائها السيد صالح جودت ان يقول للناس ان شعر العقاد خال من العاطفة وهى تهمة سبق وان قالتها جماعة ابولو التى حاول زعيمها الشاعر احمد زكى ابو شادى ان يرمى بها شعر العقاد في الثلاثينيات ٠ واليوم يعود صالح جودت ليبعث هذه التهمة الى الوجود لالشىء الا لانه يشعر بعظمة العقاد الشعرية التى بدأت الجامعات والباحثون والادباء بالاعتراف بها والنظر اليها بكل تقدير واكبار ، فعز على جماعة ابولو وتلاميذها ان تلتفت الاجيال لتلك الشاعرية الرصينة في حين يهمل العديد من شعراء ابولو وغير ابولو يضاف الى ذلك ان مفهوم العاطفة لدى (ابو شادى) وجماعته ومنهم صالح جودت هى رقة مشبوبة بالدموع والاهات والزفرات او هى رقة ترادف البكاء وان الشاعر ينظم ليبكى ويشكو وان العاشق يحب ليبكى ويشكو فاذا هجره الحبيب بكى ، واذا زاره الحبيب لم يجز له ان يكف عن البكاء ، ولنضرب لذلك مثلا الشاعر ابراهيم ناجي ويعد من ابرز جماعة ابولو[1] الشعرية ، فيقول :

بى ما تحس وفي فؤادك ما بى ... فتعال نبك ايا نجى شبابى
تجرى الدموع وانت دان واصل ... كمسيلهن وانت في الغياب

وهى رخاوة مريضة حاربتها جماعة الديوان التى راسها العقاد منذ

(١) لنا راي مخالف في مدرسة ابولو التي رفعت لواء التجديد في الشعر العربي في حينه - الكتاب ٠

العشرينيات لانهم كانوا يرون ان من واجبهم حماية الاجيال الماضية العزائم من تلك الاعراض المريضة ، وليس افسد ولا اضر من ذوق لا يتخيل في الحب الا انه فرصة للانين وذرف الدموع وليس ادعى الى الاشمئزاز من رجل في نحو الستين ينطلق باكيا منتحبا كالطفل العليل النكد .. لانه عاشق او لانه شاعر تفهم العشق والشعر على نحو ماجن بغيض .

واود بهذه المناسبة ان اضرب مثلا اخر لشاعرية العقاد وشاعرية ناجي احد اعمدة الجماعة التى تطلق على نفسها جماعة ابولو التى لايالوا جهدا بعض اتباعها في تجريد العقاد من العاطفة كشاعر عربى ، فالعقاد يقول :

وما انتفاعى وقد شاب الفؤاد سدى ... ان لم تشب ابدا كفى ولا قدمى

او يقول :

وتلمس كفى شعره وكانني ... اعارض سلسالا من الماء صافيا

او يقول

فاذا صحوت فانت اول خاطر ... واذا غفا جفنى فانت الاخر

فيأتى ابراهيم ناجى بعد هذا وينظم قائلا :

اريك مشيب الفؤاد الشهيد والشيب ما كلل المفرقا

ويقول ايضا :

وجرى يمينى في غزير حالك ... مسترسل كالجدول المنساب

وقوله كذلك :

مر الظلام وانت ملء خواطرى ... ودنا الصباح ولم ازل مشغولا

واترك للقارىء مقارنة ابيات العقاد بابيات ناجي ليعرف من السارق من الاخر ومن اقوى صورة واصدق عاطفة ، وفي اعتقادى ان هذا الدليل قاطع على من زعم ان شعر العقاد يغلب عليه طابع الفلسفة والعقلانية .

نعود الى الكتب والمؤلفات التى صدرت عن العقاد عقب وفاته فهى كما يلى :

١ ـ العقاد ناقدا ـ رسالة ماجستير مقدمة لكلية دار العلوم بالقاهرة لعبد الحى دياب (رحمه الله)

٢ ـ شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث ـ رسالة دكتوراه مقدمة لنفس الكلية وللطالب السابق نفسه ايضا .

٣ ـ عبقرية العقاد ـ للدكتور عبد الفتاح الديدى

٤ ـ فلسفة الجمال عند العقاد ـ للدكتور عبدالفتاح الديدى .

٥ ـ العقاد والفلسفة الاجتماعية ـ للدكتور عبد الفتاح الديدى

٦ ـ لمحات من حياة العقاد ـ عامر العقاد .

٧ ـ معارك العقاد الادبية ـ عامر العقاد .

٨ ـ معارك العقاد السياسية ـ عامر العقاد

٩ ـ اخر كلمات العقاد ـ عامر العقاد

١٠ ـ مواقف العقاد العاطفية ـ عامر العقاد .

١١ ـ المرأة في ادب العقاد ـ عبدالحى دياب

١٢ ــ العقاد وفلسفة الجمال ــ رسالة ماجستير من معهد الدراسات العربية ــ للحسانى عبدالله

١٣ ــ شاعرية العقاد ــ رسالة ماجستير من كلية اللغة العربية بالازهر الشريف ــ لابى جريشة

١٤ ــ العقاد صحفيا ــ رسالة ماجستير من كلية الاداب ــ قسم الصحافة لعبد العزيز شرف ٠

١٥ ــ قضية السفور بين العقاد والرافعى ــ العوضى الوكيل ٠

١٦ ــ مع العقاد ــ الدكتور شوقى ضيف ٠

١٧ ــ العقاد والتجديد في الشعر ــ العوضى الوكيل ٠

١٨ ــ ليس دفاعا عن العقاد ــ احمد متولى

١٩ ــ المدخل الى شعر العقاد ــ احمد ابراهيم الشريف

٢٠ ــ في صحبة العقاد ــ طاهر الجبلاوى

هذا الى جانب العديد من الرسائل التى كتبت ولاتزال قيد الاعداد لتقدم الى الجامعات المصرية والعربية عن هذا الرجل الفذ ٠

اما ما يتعلق بالشق الثانى من سؤالكم المتضمن استفسارا عن ابرز المؤلفات التى كتبت عن الراحل الغالى ، فأرجو أعفائى من الاجابة عليه لاننى لاحكم بنفسى بل هذا الحكم يترك للنقاد لان القضية التى تطلبون منى الحكم فيها انا صاحب حصة فيها واما اذا كان ولابد من القول : فهى جميعها دراسات الهدف منها استجلاء ما خفى من جوانب هذه الشخصية المتعددة الجوانب وتقييم محتواها الفنى والادبى ٠

س : لقد عشت مع عمك العقاد فترة زمنية طويلة استطعت ان تقف على دواخل نفسه ومظاهر حياته الخاصة والعامة ٠ فهل لكم ان تذكروا لنا وللقراء ابرز ذكرياتكم معه ؟

ج ــ هى ذكريات لاتنتهى فقد كان الرجل عظيما بكل ما في هذه الكلمة من شموخ وكبرياء ومعان ٠ فهو عظيم كقريب لى وكاستاذ علمنى ما لم اتعلمه في مدرسة او جامعة وبث في احترام الكلمة المكتوبة واحترام العظمة في جميع جوانبها وقد خسرت الكثير بوفاته لاننى كنت انتهل من ينبوعه الثر سنوات طويلة في بيت واحد ٠

س : بقى سؤال اخير نود ان نوجهه لكم يتعلق بحياتكم الادبية والعامة !

ج ــ انى عامر بن احمد بن محمود العقاد متفرغ للاشراف على اعادة طبع مؤلفات عمى عباس محمود العقاد ومراجعة تجارب الطبع ومتفرغ للتأليف الادبى

وكتابة المقالات للصحف والمجلات ، متزوج ولي ولدان ، اما مؤلفاتي المطبوعة غير التي ذكرناها عن العقاد فهي :

١ ـ صوت السماء بلال بن رباح .

٢ ـ المثال النادر خديجة بنت خويلد .

٣ ـ احمد امين ، حياته وادبه .

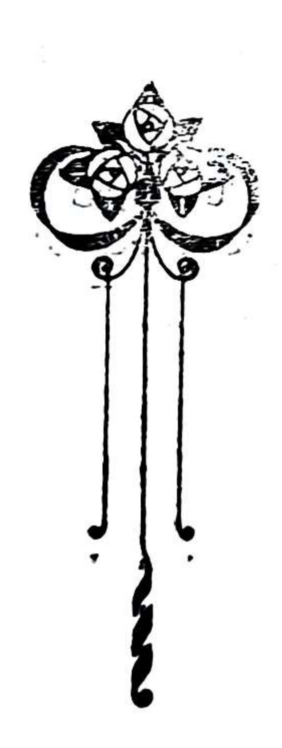
٤ ـ صالح جودت في الميزان

٥ ـ وجاء مايو (عن ثورة السودان)

٦ ـ احاديث العقاد الصحفية ـ جزءان تحت الطبع ـ

هذا وقد ودعنا الاستاذ عامر العقاد بعد لقاء دام اكثر من ثلاث ساعات شاكرين له الفضل في كشف جوانب خفية عن العقاد املين منه ان يكمل المسيرة التى بدأها العقاد وينجز كل ما يتعلق باثار العقاد خدمة للفكر والادب .

حميد مجيد هدو



تحسين القبيح وتقبيح الحسن

تصنيف
ابى منصور الثعالبى
عبدالملك محمد بن اسماعيل النيسابورى
٣٥٠ ـ ٤٢٩ هـ
تحقيق شاكر العاشور

ـ ٥ ـ

تقبيح عمل السلطان [وخدمته](٥١٢)

من امثال هذا الباب قولهم : صاحب السلطان كراكب الاسد ، يهابه الناس وهو لمركبه(٥١٣) اهيب . وقولهم : من تحسى مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد حين . وقول العامة : من اكل من مال السلطان زبيبة اداها تمرة (٥١٤) . وفي كتاب كليلة ودمنة (٥١٥) : مثل السلطان (كمثل)(٥١٦) الجبل (٥١٧) الصعب (المرتقى)(٥١٨) [الذى](٥١٩) فيه من كل ثمرة طيبة ، [وكل سبع حطوم](٥٢٠) فالارتقاء (٥٢١) اليه شديد ، والبقاء فيه اشد .

وكان ابراهيم بن العباسى يقول : مثل [اصحاب] (٥٢٢) السلطان كقوم ارتقوا جبلا ، ثم وقعوا منه ، فكان ابعدهم في المرتقى اقربهم من التلف . وكان يقال : ادوم(٥٢٣) التعب خدمة السلطان . وقال بعضهم : من اراد العز بالسلطان لم ينله حتى يذل . ومن فصول ابن المعتز : اشقى الناس بالسلطان صاحبه ، كما

(*) نشرت الحلقات السابقة في الاعداد : ١٢ ـ كانون الاول ١٩٧٤ ، ١ ـ كانون الثانى ١٩٧٥ ٢ ـ شباط ١٩٧٥ ، ٣ ـ اذار ١٩٧٥ .

(٥١٢) زيادة من (ر) .

(٥١٣) في (ر) : لمركوبه .

(٥١٤) في (ر) : ثمرة .

(٥١٥) كليلة ودمنة ٩٥ ، وقد ورد النص فيه هكذا : « وانما شبه العلماء السلطان بالجبل الصعب المرتقى ، الذى فيه الثمار الطيبة والجواهر النفيسة والادوية النافعة ، وهو مع ذلك معدن السباع والنمور والذئاب وكل ضار مخوف . فالارتقاء اليه شديد ، والمقام فيه اشد » .

(٥١٦) ساقطة من (ر) .

(٥١٧) في (ر) : كالجبل .

(٥١٨) ساقطة من (ر) .

(٥١٩) و (٥٢٠) زيادة من (ر) .

(٥٢١) في (ر) : والارتقاء .

(٥٢٢) زيادة من (ر) .

(٥٢٣) في (ر) : دوم .

ان اقرب الاشياء الى النار اسرعها احتراقا . ومنها : من شارك السلطان في عز الدنيا ، شاركه في ذل الاخرة .

ومنها : لايدرك الغنى بالسلطان الا نفس خائفة (٥٢٤) ، وجسم تعب ، ودين متثلم(٥٢٥) . (وقد الم به ابو الفتح البستى فقال)(٥٢٦) :

يا من راى خدمة السلطان عدتـه ... ما ارش كدك الا الـذل والنـدم
دع الملوك فخير من وجودك مـا ... ترجوه عندهم الحرمان والعدم(٥٢٧)
انى ارى(٥٢٨) صاحب السلطان في ظلم ... ما مثلهن اذا قاس الفتـى ظلـم
فجسمه تعب ، والنفس خائفـة ... وعرضه عرضة ، والدين منثلـم
هذا اذا استوثقت ايام دولتـه ... والصيلم (الاذن)(٥٢٩) ان زلت به القدم

(وقال ابضا) (٥٣٠)

صاحب السلطان لا بد لـه ... من غموم تعتريـه وغمـم
والذى يركب بحـرا سيـرى ... قحم الاهوال(٥٣١) من بعد قحم(٥٣٢)

وانشدنى (ابو بكر)(٥٣٣) العوافى لابن عباد(٥٣٤) :

اذا ادنـاك سلطان فـزده ... من التعظيم ، واحذره وراقـب
فما السلطان الا البحر عظما(٥٣٥) ... وقرب(٥٣٦) البحر مذموم العواقب

وكان بقال : ولاية السلطان حلوة الرضاع ، مرة الفطام . وقال ابن المعتز (٥٣٧)

سكر الولايـة طيـب ... وخماره ذل شديـد
كـم تائـه بولايـة ... وبعزله ركض البريد

---

(٥٢٤) في (ر) : جائفة .

(٥٢٥) في (ر) : مثلم .

(٥٢٦) ساقط من (ر) . والابيات في ديوانه (ق ٣٦ أ ، ب) .

(٥٢٧) في ديوان البستي المخطوط فصل ناسخه بين هذا البيت والذي يليه بكلمة (وقال) . وهو وهم منه .

(٥٢٨) في (ر) : اي امرئ .

(٥٢٩) هذه الكلمة ساقطة من (ف) ، ويبدو ان الناسخ لم يعرفها ، فترك بياضا في محلها . وكذلك عزت على ناسخ (ر) ، فابتدع في نسخه هذا الشطر الشكل التالي « والصلم الا اذا زلت به القدم » . وكذلك تعثر ناسخ ديوان البستي ، اذ كتب : « والصيلم الاذان زلت به القدم » . والصيلم الأذن : من قطعت اذنه (انظر : اللسان/صلم) . وقد استعنت باللسان في تثبيت (الأذن) وقراءة المحرف في نسخة (ر) وفي ديوان البستي المخطوط .

(٥٣٠) ساقط من (ر) .

(٥٣١) في (ر) : الامواج .

(٥٣٢) البيتان في ديوانه (ق ٦٥ أ) .

(٥٣٣) سقط من (ر) .

(٥٣٤) ديوان الصاحب بن عباد ١٩١ .

(٥٣٥) في (ر) : ظلما .

(٥٣٦) في (ر) : وداب .

(٥٣٧) ديوان ابن المعتز ١٧٥ .

وكان ابو سهل الهمداني (٥٣٨) احد [كبار](٥٣٩) عمال نيسابور يقول(٥٤٠) لا تعدن مال المتصرف مالا ، فانه يغدو غنيا ويروح فقيرا .

تقبيح عمل البريد

لما ولي سعيد(٥٤١) بن حميد بريد الافاق ، قال فيه ابو علي البصير(٥٤٢) :

بأبي نفس سعيد انها نفس شريفة
لم تزل تحتال حتى صار غماز الخليفة

ولابي الفتح كشاجم في صديق له ولي بريد مصر (٥٤٣) :

صرت يا عامل البريد مقيتا(٥٤٤) وقديما(٥٤٥) الي كنت حبيبا
كنت تستثقل الرقيب ، فقد صرت علينا ، بما وليت ، رقيبا
افلا يعجب الانام لشخص صار ذئبا ، وكان ظبيا ربيبا

تقبيح التجارب :

لم اسمع [فيه](٥٤٦) الا قول [اسماعيل بن احمد](٥٤٧) الشاشي (٥٤٨) وهو من أفراد المعاني [وهو هذا](٥٤٩) :

اخلاي امثال الكواكب كثرة وما كل نجم لاح في الجو ثاقب(٥٥٠)
وكنت ارى ان التجارب عدة
فخانت(٥٥١) ثقات(٥٥٢) الناس حتى التجارب(٥٥٣)

تقبيح الذهب : قال سهل بن هارون : اسم الذهب يتطير منه ، ولا يتفائل به ، وهو فتان لمن اصابه ، رديء في النوم لمن رآه ، وهو لئيم ، من

---

(٥٣٨) لعله : احمد بن الحسين الحمدوني ، أبو سهل ، ولي الري وسائر بلاد الجبل ، واحد الزهاد ، الذي ترجم له الثعالبي في تتمة اليتيمة ٢/٦٠ .

(٥٣٩) زيادة من (ر) .

(٥٤٠) القول لابن ابي البغل في اللطائف ٩٤ .

(٥٤١) في الاصلين « سعد » . وهو سعيد بن حميد ، ابو عثمان (توفي نحو ٢٥٠هـ) . كاتب مترسل من الشعراء ، مولده ببغداد . قلده المستعين العباسي ديوان رسائله . اخباره كثيرة مع فضل الشاعرة . (الاعلام ٣/١٤٦) .

(٥٤٢) البيتان في المستدرك على اشعاره (المورد – ج ٢ ، المجلد ٢ ، ص ٢٥١) .

(٥٤٣) ديوان كشاجم ٣٩ .

(٥٤٤) في (ر) : نقيبا .

(٥٤٥) في (ف) : فقديما .

(٥٤٦) و (٥٤٧) زيادة من (ر) .

(٥٤٨) ابو ابراهيم اسماعيل بن احمد الشاشي العامري ، احد افراد حضرة الصاحب بن عباد . اصيب بالفالج . (انظر ترجمته في يتيمة الدهر ٣/٣٨٥) .

(٥٤٩) زيادة من (ر) .

(٥٥٠) في (ر) : في الافق .

(٥٥١) في (ر) : فخان .

(٥٥٢) في (ف) : ثقاة .

(٥٥٣) البيتان له في اليتيمة ٣/٣٨٦ ، وخاص الخاص ١٩٦ .

لزمه)(٥٥٤) سرعته الى بيوت اللئام ، وابطاؤه عن بيوت الكرام ، (وشكل الشيء منجذب اليه) (٥٥٥) بالمشاكلة وبالضد • وهو من مصائد ابليس ، ولذلك قالوا اهلك الرجال الاحمران ، (أي)(٥٥٦) الذهب والخمر •

تقبيح الغنى والمال : قال الله عز وجل(٥٥٧) : «[كلا] (٥٥٨) ان الانسان ليطغى ، ان راه استغنى »(٥٥٩) • وقال تعالى(٥٦٠) : « انما اموالكم واولادكم فتنة»(٥٦١) • وكان يقال : الغنى يورث البطر (٥٦٢) ويقرع باب جهنم • ويقال : المال ملول ميال ، وطبعه طبع الصبي ، لا يوقف (٥٦٣) على وقت رضاه او سخطه وقد يكون مال المرء سبب حتفه (كما يذبح الطاووس لحسن ريشه ، ويصاد الثعلب من أجل وبره)(٥٦٤) • ومن أحسن ما قيل في هذا (الباب)(٥٦٥) قول ابن الرومي(٥٦٦) :

الم تر أن المال هالك (٥٦٧) ربه ... اذا جم آتيه وسد طريقه
ومن جاور الماء الغزير مجمه(٥٦٨) ... وسد طريق الماء ، فهو غريقه

تقبيح المشورة : كان عبد الملك بن صالح الهاشمي يقول : ما آستشرت احدا قط الا تكبر علي وتصاغرت له ، (ودخلته العزة ودخلتني الذلة)(٥٦٩) • فأياك والمشورة ، وان ضاقت بك المذاهب ، وادى بك(٥٧٠) الاستبداد الى الخطا والفساد(٥٧١) •

وكان عبدالله بن طاهر يقول : ما حك ظهري مثل ظفري ، ولان اخطىء مع

---

(٥٥٤) سقطت من (ر) •
(٥٥٥) في (ر) ورد ما بين القوسين كذا : « وشكله السيء ينجذب اليه » •
(٥٥٦) ساقط من (ر) •
(٥٥٧) في (ر) : تعالى •
(٥٥٨) زيادة من (ر) •
(٥٥٩) الآيتان ٦ ، ٧ سورة العلق •
(٥٦٠) في (ر) : عز ذكره •
(٥٦١) الآية ١٥ سورة التغابن •
(٥٦٢) في (ف) : الطرب •
(٥٦٣) في (ف) : لا يتوقف •
(٥٦٤) ما بين القوسين ورد في (ر) كذا : « كما وقد يهلك الانسان حسن لباسه ، كما يذبح الطاووس من اجل ريشه ، ويصاد الثعلب من اجل وبره » •
(٥٦٥) ساقطة من (ر) •
(٥٦٦) البيتان له في الاغاني ٢٣/١٥٣ ، وهما في اللطائف ٣٨ لابن المعتز •
(٥٦٧) في (ر) : يهلك •
(٥٦٨) في (ر) : تحته •
(٥٦٩) ما بين القوسين ساقط من (ر) •
(٥٧٠) في (ف) : « واياك الاستبداد » تحريفا ، وفي (ر) : « واداك الاستبداد » ، واثبتنا ما رايناه اصوب •
(٥٧١) في (ر) : الخطا الفادح •

الاستبدد الف خطا احب الى من ان استشير ، فالحظ بعين النقص والحاجة .

تقبيح التانى : كان يقال : اياكم والتانى في الامور ، فان الفرص تمر مر السحاب والافات في التأخيرات(٥٧٢) . وكان ابن عائشة القرشى يقول : الفلك ابعد (٥٧٣) من ان يحتمل معه التانى والتثبت وخير الخير اعجله . وقيل لابى العيناء (٥٧٤) : لاتعجل فان العجلة من الشيطان . فقال : لو كانت (كذا ، لما قال الله حكاية عن كليمه موسى عليه السلام : « وعجلت اليك رب لترضى »)(٥٧٥) . (٥٧٦) وقال القطامى (٥٧٧) :

وربما فات قوم بعض نجحهم　　من التانى ، وكان الحزم لو عجلوا

و(من)(٥٧٨) احسن ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي (٥٧٩) :

عيب الاناة وان كانت مباركة　　الاخلود(٥٨٠) وان ليس(٥٨١)الفتى حجرا

وقال ابن المعتز(٥٨٢) :

وان فرصة امكنت فى العدا(٥٨٣)　　فلا تبد فعلك الا بها
[واياك من ندم بعدها　　وتأميل اخرى ، وانى بها](٥٨٤)

وقال محمد بن بشير(٥٨٥) :

كم من مضيع فرصة قد امكنت　　لغد ، وليس له غد بموات
حتى اذا فاتت وفات طلابها　　ذهبت عليها(٥٨٦) نفسه حسرات

تقبيح الصبر : كان يقال : الصبر كأسمه ، والانفاق عليه من العمر . ومن احسن ما قيل فيه قول ابى القاسم بن [ابى](٥٨٧) العلاء الاصفهانى(٥٨٨) :

---

(٥٧٢) في (ر) : التاخير .
(٥٧٣) في (ر) : احد .
(٥٧٤) ابو العيناء : محمد بن القاسم بن خلاد ، الهاشمي بالولاء ، (١٩١ ـ ٢٨٣هـ) : اديب فصيح من ظرفاء العالم ، ومن اسرع الناس جوابا . منشؤه ووفاته في البصرة . (الاعلام ٧/٢٣٦) .
(٥٧٥) الآية ٨٤ سورة طه .
(٥٧٦) ما بين القوسين ورد في (ف) كذا : « من الشيطان لما قال كليم الله موسى : وعجلت اليك رب لترضى » .
(٥٧٧) اخل ديوان القطامي بهذا البيت ، وهو له في الايجاز والاعجاز ٤٣ ، واللطائف ٥٠ .
(٥٧٨) سقطت من (ر) .
(٥٧٩) له في التمثيل والمحاضرة ١٠٠ ، واللطائف ٥٠ .
(٥٨٠) في (ف) : الا اناة .
(٥٨١) في (ر) : وان كان الفتى .
(٥٨٢) البيت الاول فقط في ديوانه ٣١ (طبعة دار صادر) .
(٥٨٣) في (ر) : العدو
(٥٨٤) البيت زيادة من (ر)
(٥٨٥) البيتان له فى اللطائف ٥٠ .
(٥٨٦) في (ف) : عليه .
(٥٨٧) زيادة عن يتيمة الدهر ٣/٣٢٤ ، والوفيات ١/٢٣١ .
(٥٨٨) هو ابو القاسم غانم بن ابى العلاء الاصبهانى ، من شعراء يتيمة الدهر . قال عنه الثعالبى : شاعر ملء ثوبه ، محسن ملء فمه . (انظر : اليتيمة ٣/٣٢٤) . وهو (ابن علاء) في اللطائف ٤٦ . والبيتان في اليتيمة ٣/٣٢٥ .

فان(٥٨٩) قيل لى صبرا ، فلا صبر للذى غدا بيد الايام تقتلـه صبـرا
فان قيل لى عـذرا ، فواللـه ما ارى لمن ملك الدنيا اذا لم يجـد عـذرا

وقال عمر بن ابى ربيعة (٥٩٠) :

انى لابغض كـل مصطبـر عن الفـة فى السر والجهـر
الصبر يحسـن فى مواطنـه ما للفتى المشغوف(٥٩١) والصبر (٥٩٢)

تقبيح الحلم : كان يقال : من عرف بالحلم كثرت الجرأة عليه ، وقلت الهيبة له . وقال بعض السلف : الحلم ذل كله . وكان ابو العباس السفاح يقول اذا كان العفو مفسدة ، كان الحلم معجزة . ولما انشد النابغة الجعدى رسـول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته التى يقول فيها(٥٩٤) :

اتيت رسول الله اذ جـاء بالهـدى ويتلو كتابـا بالمجـرة نيـرا
ولا خير في حلم اذا لـم يكـن لـه بوادر تحمى صفوه ان تكـدرا (٥٩٥)

قال (٥٩٦) النبى صلى الله عليه وسلم : [احسنت](٥٩٧) لافض الله فاك . (فعمر اكثر من ثمانين سنة ، ولم ينقص له سن)(٥٩٨) .

تقبيح الشجاعة : قال بعضهم : الشجاعة تغرير بالنفس(٥٩٩) ، والتغرير مفتاح الهلكة . وكان بعضهم يقول(٦٠٠) : الفرار في وقته ظفر . وقال محمد بن (ابى)(٦٠١) حمزة العقيلى مولى(٦٠٢) الانصار(٦٠٣) :

قامت تشجعنى هند ، وقد علمـت ان الشجاعة مقرون بهـا العطـب
يا هند لا والذى حج الحجيج لـه ما يشتهى الموت عنـدى من له ادب

تقبيح الحياء : كان يقال : الحياء يمنع الرزق ، وقد قرنت الهيبة (٦٠٤) بالخيبة ، والحياء بالحرمان . وقال بعض المحدثين(٦٠٥) : استعينـوا عـلى

---

(٥٨٩) في (ف) : ان .
(٥٩٠) اخل بهما ديوان عمر (نشر محى الدين عبدالحميد) .
(٥٩١) في (ر) : المعشوق
(٥٩٢) في (ر) : بالصبر .
(٥٩٤) في (ر) : التى منها
(٥٩٥) ديوان النابغة الجعدى ٧٣ .
(٥٩٦) في (ر) : قال له عليه الصلاة والسلام .
(٥٩٧) زيادة من (ر) .
(٥٩٨) مابين القوسين ساقط من (ر) .
(٥٩٩) في (ف) : تغرير النفس ، وفي (ر) : تغرر بالنفس .
(٦٠٠) في (ر) : وكان يقال .
(٦٠١) سقطت من (ر) .
(٦٠٢) في (ر) : « قول » تحريفا .
(٦٠٣) البيتان له في اللطائف ٥٣ ، ودون عزو في العيون ١/١٦٤ ، والعقد الفريد ١/١٤١ .
(٦٠٤) في (ف) : الغيبة بالخيبة .
(٦٠٥) في (ر) : المجربين .

(قضبا.)(٦٠٦) حوائجكم [بالكتمان ، واموركم](٦٠٧) بالوقاحة والابرام ، ودعوا الحياء لربات الحجال . (وقال اخر : هذا زمان يزمن(٦٠٨) ذوى الحياء ، والوقاحة رأسمال وافية)(٦٠٩) .

وقال الشاعر(٦١٠) :

ليس للحاجات الا من له وجه وقاح
ولسان ذو فضول وغدو ورواح

وانشدني اليوسفي(٦١١) الزوزني للحرسي(٦١٢) الرازي(٦١٣) :

سألت زماني وهو بالجهل عالم(٦١٤) وبالسخف مشهور(٦١٥) وبالنقص مختص
فقلت له هل من سبيل الى الغنى فقال طريقان : الوقاحة والنقص

تقبيح الزهد(٦١٦) : سئل الشبلي(٦١٧) عن الزهد فقال : الزهد لاشيء لان الشيء لايخلو من ان يكون رزقي فانا لا ادفعه عني بزهدي فيه ، ولايكون رزقي ، فانا لا احصله برغبتي فيه .

تقبيح الجود : قال(٦١٨) ابو الاسود : الجود تبذير ، والمبذرون اخوان الشياطين . وكان يقول : لا تجاودوا الله فانه اجود وأمجد ، ولو شاء ان يوسع على خلقه حتى لايكون فيهم محتاج لفعل . وكان ابن المقفع(٦١٩) يقول : ان مالك لايعم الناس ، فاخصص به ذوى الحق من اهلك ودع الاجانب جانبا .

---

(٦٠٦) سقطت من (ر) .

(٦٠٧) زيادة من (ر) .

(٦٠٨) ازمن : ابطأ في العطاء .

(٦٠٩) ساقط من (ر) .

(٦١٠) البيتان دون عزو في التمثيل والمحاضرة ٤٦٧ .

(٦١١) في (ف) : يوسف ، وفي (ر) : اليوسفي . وهو ابو بكر محمد بن احمد اليوسفي ، من اهل زوزن ، ومن افرادهم ادبا ، ومفلقيهم نظما ونثرا . ترجم له الثعالبي في تتمة اليتيمة ٣٦/٢ ، وله شعر في حماسة الظرفاء ٥٩/١ .

(٦١٢) في (ر) : الحرشي .

(٦١٣) بدلها في (ر) : « لنفسه » . ولم اجد البيتين فيما وقع لي من شعر اليوسفي الزوزني ، ولم اعرف هذا الحرسي الرازي .

(٦١٤) في (ر) : وهو باللهو معجب .

(٦١٥) في (ر) : وللرقص مهتز .

(٦١٦) اخلت نسخة (ر) بهذا التقبيح .

(٦١٧) دلف بن جحدر الشبلي ، ابو بكر (٢٤٧ - ٣٣٤ هـ) : ناسك ، كان في مبدأ امره واليا في دنباوند من نواحي رستاق الري ، وولي الحجابة للموفق العباسي ، ثم تركها وعكف على العبادة . له شعر جيد ، سلك فيه مسالك الصوفية . توفي ببغداد .) الاعلام ٢٠/٣) .

(٦١٨) في (ر) : كان ابو الاسود يقول .

(٦١٩) عبدالله بن المقفع (١٠٦ - ١٤٢ هـ) : من ائمة الكتاب ، واول من عنى بالاسلام بترجمة كتب المنطق . وولي كتابة الديوان للمنصور . (انظر : الوزراء والكتاب ١٠٣ وما بعدها ، والاعلام ٢٨٣/٤) .

(٦٢٠) في (ر) : بعض المهالبة

تقبيح القناعة ، كان بعض بني المهلب(٦٢٠) يقول : من اتخذ القناعة (حرفة)(٦٢١) وصناعة تلحف بالخمول ، وفاتته معالي الامور • وقال غيره : القناعة من صغر النفس وقصر الهمة وضعف العزيمة(٦٢٢) ، فلا ترض(٦٢٣) لنفسك الا كل غاية • وقال البرقعي(٦٢٤) من قصيدة(٦٢٥) :

رأت عزماتي وفرط انكماشي ... وطول التململ فوق الفراش
وقالت اراك اخا همة ... ستبلغها ، فترى ذا انتعاش
فهلا قنعت ولم تغترب ... فقلت : القناعة طبع المواشي

تقبيح الدور والابنية : فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم (الدنيا)(٦٢٦) وما وضع لبنة على لبنة • وكان [عليه السلام] (٦٢٧) يقول : اذا أراد الله بعبد سوءً جعل ماله في الماء والطين •

وقال الشاعر :

دع عمل الطين للسلاطين ... انك(٦٢٨) من اخوة الشياطين
فما بقاء الدريهمات اذا ... أنفقن جبنا في الماء والطين

وقال كرماسف(٦٢٩) : البناء من يوم ابتدائه في نقصان ، والغرس من يوم ابتدائه في زيادة •

تقبيح الحمام : قال بعض السلف(٦٣٠) : بئس البيت الحمام ، يكشف عن العورة ، ويذهب بالحياء • وفي الخبر أن الحمام من بيوت الشياطين(٦٣١) وذم الفضل الرقاشي(٦٣٢) الحمام فقال : يهتك(٦٣٣) الأستار ، ويذهب(٦٣٤)

---

(٦٢١) ساقطة من (ر) •

(٦٢٢) في (ر) : الغريزة •

(٦٢٣) في (ر) : ترضى •

(٦٢٤) لعله الشاعر على بن محمد البرقعي ، المذكورة ابيات له في حماسة الظرفاء ١/٥٩ ، ولم اجد له ذكرا اخر • ووقع اسمه في اللطائف ٤٠ محرفا الرافعي •

(٦٢٥) الابيات في اللطائف ٤٠ •

(٦٢٦) ساقطة من (ر) •

(٦٢٧) زيادة من (ر)

(٦٢٨) في (ف) : لانك •

(٦٢٩) في (ر) : «وقال بعضهم» • ولعل ما اثبتناه عن نسخة (ف) تحريف لـ (جاماسف بن لهراسب) احد حكماء الفرس القدماء ، ومن اهل الصنعة • (انظر : مجلة المورد ، العدد الثالث من المجلد الثالث ، ص ٢٠٢) •

(٦٣٠) القول لابى هريرة فى بهجة المجالس ٢/٩٥ •

(٦٣١) في (ر) : الشيطان •

(٦٣٢) الفضل بن عبد الصمد بن الفضل الرقاشي البصري ، ابو العباس (توفي نحو ٢٠٠ هـ) شاعر مجيد ، من اهل البصرة ، فارسى الاصل ، انتقل الى بغداد ومدح الخلفاء ، وكانت بينه وبين ابى نواس مهاجاة ومباسطة ، وكان متهتكا خليعا • (الاعلام ٥/٣٥٦) •

(٦٣٣) في (ف) : « تهتك » • وفى اللسان / : « قال ابن سيدة : والحمام الديماس مشتق من الحميم ، مذكر تذكره العرب ، وهو احد ما جاء من الاسماء على فعال نحو القذاف والجبان والجمع حمامات • قال سيبويه : جمعوه بالالف والتاء وان كان مذكرا » •

(٦٣٤) في (ف) : تذهب •

بالوقار[٦٣٥] ويؤلف بين الاقذار ·

تقبيح الشباب : قال النابغة الذبيانى[٦٣٦] :

فان يك عامر قد قال جهلا ... فأن مظنة[٦٣٧] الجهل الشباب

وذلت في كتاب (المبهج) : الشباب للجهل مطية ، وللذنوب مظنة · وقال العتبى[٦٣٨] وهو من امثاله السائرة :

قالت عهدتك مجنونا ، فقلت لها ... ان الشباب جنون بروؤه الكبر

وكان يقال : سكر الشباب اشد من سكر الشراب · وقال ابن المعتز في فصوله القصار : جهل الشباب معذور ، وعلمه[٦٣٩] محقور · وكان يقال : ترفات الشبان[٦٤٠] نزغات[٦٤١] الشيطان · وقال (ابو الطيب)[٦٤٢] محمد بن حاتم المصعبى[٦٤٣] :

لم اقل للشباب في كنف الله ... وفي ستره غداة استقلا

زائر لم يزل مقيما الى ان ... سود[٦٤٤] الصحف بالذنوب وولى

تقبيح الاصدقاء والاخوان[٦٤٥] كان عمرو بن العاص يقول : من كثر اخوانه كثر غرماؤه · يعنى في قضاء الحقوق · وكان عمرو بن مسعدة[٦٤٦] يقول : العبودية عبودية الاخاء لا عبودية الرق · وقال ابراهيم بن العباس : مثل الاخوان كالنار ، قليلها متاع وكثيرها بوار · وقال الكندى لابنه : يابنى الاصدقاء هم الاعداء ، لانك[٦٤٧] اذا احتجت اليهم منعوك ، واذا احتاجوا اليك سلبوك (وشابوك)[٦٤٨] · وكان بعضهم يقول في دعائه : اللهم احرسنى من اصدقائى ، فأذا قيل له في ذلك قال : انى (اقدر على الاحتراس من اعدائى و[٦٤٩]) لا اقدر على الاحتراس من اصدقائى ·

---

(٦٣٥) فى (ر) : « الرقال » تحريفا ·

(٦٣٦) ديوان النابغة ١٥٥ ·

(٦٣٧) في (ر) : مطية

(٦٣٨) العتبى : ابو عبدالرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية الاموى · شاعر بصرى مشهور ، توفى سنة ٢٢٨ هـ · (انظر : وفيات الاعيان ٣٩٨/٤) · والبيت له في اللطائف ١٠٧

(٦٣٩) في (ر) : « وعليه » تحريفا ·

(٦٤٠) في (ر) : الشيطان ·

(٦٤١) نزغه الشيطان : كانه ينخسه ليحثه على المعاصى ·

(٦٤٢) سقطت من (ر) ·

(٦٤٣) من شعراء يتيمة الدهر ، وله ترجمة فيها (٧٩/٤) ، والبيتان له في اليتيمة ٧٩/٤ ، واللطائف ١٠٧ ·

(٦٤٤) في (ر) : ملا ·

(٦٤٥) في (ر) : تقبيح الاخوان والاصدقاء ·

(٦٤٦) عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول ، ابو الفضل الصولى (توفي ٢١٧ هـ) : وزير المأمون واحد كتابه البلغاء · (الاعلام ٢٦٠/٥) ·

(٦٤٧) في (ر) : لانهم ان احتجت ·

(٦٤٨) ساقطة من (ر) ·

(٦٤٩) ما بين القوسين ساقط من (ر) ·

وقال ابن المعتز في فصوله القصار : اخوان السوء كشجر(٦٥٠) النـــار ، يحرق بعضه(٦٥١) بعضا . وقال ايضا : انما تطيب الدنيا بمساعدة الاخوان ونفع بعضهم بعضا ، والا فعلى الصداقة الزمان (٦٥٢) ، وما ارجو منها اذا كانت تنقطع في الاخرة ، ولا تتصل(٦٥٣) بما احب في الدنيا . ولابى العتاهية (٦٥٤) :

لست ما استغنيت عـن ... صاحبك الدهـــر اخوه
فأذا احتجـت اليـــه ... ساعة مجـــك فـــوه

وقال ابراهيم بن العباس(٦٥٥) :

نعـم الزمان زمـــانى ... الشـــان في الاخـــوان
فيمن(٦٥٦) رمانى لمـــا ... رآى الزمان رمانى(٦٥٧)
لو قيل لى خـــذ امـــانا ... من اعظـــم الحدثـــان
لما اخـــذت امانـــا ... الا مـــن الاخـــوان

وقال ابن الرومى(٦٥٨) :

عدوك من صديقـــك مستفـــاد ... فلا تستكثرن(٦٥٩) من الصحـــاب
فـــأن الداء اكثـر ماتـــراه ... يكون من الطعـــام او الشـــراب

وقال ابن المعتز(٦٦٠) :

وافردنى من(٦٦١) الاخوان علمـــى ... بهم ، فبقيت مهجـــور النواحـــى
اذا ما قل وفرى ، قـــل مـــدحي ... وان اثريـــت عادوا في امتـــداحى
فكـــم ذم لهـــم في جنـــب مـــدح ... وجد بيـــن اثنـــاء المـــزاح

وقال اخر (٦٦٢) :

آخ من شئت ، ثم رم منه شيئـــا ... تلف من دون مـــا أردت الثريـــا

---

(٦٥٠) في (ف) : « كشوك النار » ومصوبة في الهامش .
(٦٥١) في (ر) : بعضها .
(٦٥٢) في (ف) : « القضاء » ومصوبة في الهامش .
(٦٥٣) في (ر) : ولا تصل .
(٦٥٤) ديوانه ٤٢٣ ، وبهجة المجالس ٧٢٠/١ ، واللطائف ٦٠ ، وينسبان لابن الرومى في شرح مقامات الحريرى ٨٣/١ .
(٦٥٥) ديوانه ١٦٦ ، وفيه (هب الزمان) ، وله في بهجة المجالس ٧١٦/١ ، واللطائف ٦٠ . والبيتان (٤،٣) لابن رشيق في شرح المقامات ١٣٤/٢ .
(٦٥٦) في (ر) : فمن
(٦٥٧) ورد الشطر الثاني في (ف) « رمانى الزمان رمانى » تحريفا .
(٦٥٨) له في التمثيل والمحاضرة ١٠١ ، والايجاز والاعجاز ٦٢ ، واللطائف ٦٠
(٦٥٩) في (ف) : تكثرن .
(٦٦٠) الابيات في ديوانه ١٣٩ .
(٦٦١) في (ر) : عن
(٦٦٢) البيت دون عزو ايضا في اللطائف ٦٠ .

عَبْدُاللهِ بْنُ مُعَاوِيَة

الدكتور عبدالجبار المطلبي
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

ـ تتمـة ـ

(٢١)

وقال(١) :	المتقارب

١ ـ اذا كنت في حاجة مرسلا　　فأرسل حكيما ولا توصه
٢ ـ ولا تحرضن فرب امرىء　　حريص مضيع على حرصه
٣ ـ وان بأب أمر عليك التوى(٢)　　فشاور لبيبا ولا تعصه
٤ ـ وان ناصح منك يوما دنا　　فلاتنأ عنه ولا تقصه
٥ ـ وذا الحق لا تنتقص حقه(٣)　　فان القطيعة في نقصه
٦ ـ ولا تذكر الدهر في مجلس　　حديثا اذا انت لم تحصه
٧ ـ ونص الحديث الى اهله　　فان الامانة في نصه
٨ ـ فكم من فتى عازب لبه(٤)　　وقد تعجب العين من شخصه

---

(١) الابيات في الحماسة البصرية ٢/٥٩ ما عدا البيت الثاني . والبيتان الاول والثاني في حماسة البحتري ص ١٩٨ ـ ١٩٩ ، وكذلك البيتان الثامن والتاسع في المصدر نفسه ص ٢٠٥ له . والبيتان الاول والثالث في الجمحي ٢٠٥ للزبير بن عبدالمطلب ، ويعزو صاحب العمدة ١/١٦٨ الاول والثالث الى حسان بن ثابت ، ويرى محقق العمدة ان نسبتهما الى حسان لم تصح لان ديوانه « خال من الشعر على هذه القافية » انظر حاشية العمدة ١/١٥٧ ، وهما في عين الادب والسياسة وزين الحسب والرياسة (لابى الحسن على بن هذيل) ص ٢٧١ من غير عزو ، والثامن والتاسع في لسان العرب (فصص) وفيه ايضا البيت الخامس ، (نقص) من غير عزو ، والثامن والتاسع في تاج العروس (فصص) منسوبان الى الزبير بن العوام او عبدالله بن جعفر بن ابي طالب ، والخامس في تاج العروس من غير عزو ، والاول في كتاب رسل الملوك لابن الفراء ص ٨ منسوب الى حكيم العرب من غير تسمية ، وهو في المحاسن والمساوىء للبيهقى ص ١٦٩ لعبدالله بن جعفر بن ابى طالب ، والسابع في الفاخر للمفضل ص ٢١٤ لعبدالله بن معاوية ، وفيه ص ٢١٤ ينسب الثامن الى عبدالله ابن جعفر .

(٢) في الحماسة البصرية : وان ناب امر عليك النوى .

(٣) في تاج العروس واللسان : وذا الرحم لا تنتقص حقه .

(٤) في حماسة البحتري : وكم من فتى عازب عقله ، وفي تاج العروس : ورب امرىء شاخص عقله ، وفي اللسان : وكم من فتى شاخص عقله .

٩ ـ واخر تحسبه إنوكا (٥) ويأتيك بالامر من فصه

(٢٢)

روى النوفلي(٦) عن ابيه عن عمه عيسى قال :

كان لابن معاوية صاحب شرطة يقال له : قيس بن عيلان العنسى النوفلي [وعيلان] اسم ابيه ، وكان شيخا كبيرا دهريا لا يؤمن بالله ، وكان اذا عس لم يبق احدا الا قتله ، فاقبل يوما فنظر اليه ابن معاوية ومعه عمارة بن حمزة ومطيع بن اياس فقال :

الخفيف

١ ـ ان قيسا وان تقنع شيبا لخبيث الهوى على شمطه

وقال اجز يا عمارة ، فقال :

٢ ـ ابن سبعين منظرا ومشيبا وابن عشر(٧) يعد في سقطه

فاقبل على مطيع فقال : اجز انت ، فقال :

٣ ـ وله شرطة اذا جنه الليل فعوذوا بالله من شرطه

(٢٣)

وقال(٨) : الطويل

١ ـ اذا انت لم تنفع فضر فانما يراد الفتى كيما يضر وينفعا(٩)

(٢٤)

وقال(١٠) : المنسرح

١ ـ قديقطع الكاشحون(١١) بين ذوى الود وصالا قد كان متفقا

٢ ـ اذا مشوا بالنميم بينهم مل الجميع الصفاء فافترقا

٣ ـ حتى يصير الجميع همهم والتهمة في قول ايهم نطقا

(٢٥)

وقال (١٢) :

١ ـ لا تقطع الناصح الشقيق(١٣) على اول ذنب ولا تكن غلقا(١٤)

وقال (١٥) : البسيط

---

(٥) في تاج العروس : واللسان ذكر للروايات المختلفة الاتية : ورب امرىء تزدريه العيون ، و : ورب امرىء خلته مائقا (وهي رواية الجوهري في التاج) ، و : وآخر تحسبه جاهلا وينفرد التاج برواية اخرى ايضا هي : وآخر تحسبه مائقا .

(٦) الاغاني ١٣/ ٢٨٠ ومقاتل الطالبين ص ١١٤ .

(٧) في مقاتل الطالبين : وابن عشرين ، ولا يستقيم معها عجز البيت .

(٨) حماسة البحترى ص ٣٣٩ ، مجموعة المعاني ص ١٧٥ .

(٩) في مجموعة المعاني : يراد الفتى كيما يضر وينفع .

(١٠) حماسة البحتري ص ١٠٥ .

(١١) الكاشحون : الذين يضمرون العداوة .

(١٢) حماسة البحتري ص ١٠٧ .

(١٣) لعلها : الشفيق .

(١٤) الغلق : الضجر والغاضب .

(١٥) كتاب حذف من نسب قريش ص ١٩ .

١ ـ كان ابن ذكوان مطويا على حـــرق فقد تبين لما كشـــف الحـــرق
٢ ـ وكان ذا خلق لادين يخلطـــه فاصبح اليوم لاديـن ولا خلـــق

(٢٦)

وقال[١٦] البسيط

١ ـ لا خير في الود ممن لاتزال لـه[١٧] مستشعرا ابدا من خيفة وجلا[١٨]
٢ ـ اذا تغيب لم تبرح تسيء بـــه[١٩] ظنا وتســأل عما قال او فعلا
٣ ـ يرى الصديق له منه[٢٠] مكاشرة كيما يصول به يوما[٢١] اذا غفلا[٢٢]
٤ ـ فلا عداوته تبـدو فيعرفهـــا[٢٣] منه ولا وده يوما له[٢٤] اعتدلا[٢٥]

(٢٧)

وقال[٢٦] : الكامل

١ ـ اصبر اذا عضك الزمان ومـــن اصبر عند الزمان مـن رجلـــه
٢ ـ ولا تهن للصديـــق[٢٧] تكرمـــه نفسك حتى تعد من خولـــه[٢٨]
٣ ـ يحمل اثقالـه عليـك كمـــا يحمل اثقاله عـــلى جملـــه
٤ ـ ولست مستبقيـــا اخـــا لـك لا تصفح عما يكـون مـن زللـــه
٥ ـ ليس الفتى بالذى يحول عن العهـ ـد ويؤتـى الصديق من قبلـــه

(٢٨)

وقال[٢٩] (غنى ابراهيم الموصلي الرشيد بها) المتقارب

١ ـ يهيم بجمل ومـا ان يـرى لـــه من سبيـــل الى جملـــه

---

(١٦) نور القبس المختصر من المقتبس ص ٢٠٣ ، حماسة البحتري ص ٧٩ ، اعيان الشيعة ٨١/٣٩ ، والابيات الثلاثة الاولى في كتاب حذف من نسب قريش ص ١٩ والبيتان الاولان في الكامل للمبرد ٢١٤/١ والحماسة البصرية ٤٤/٢ • وجاء في احدى مخطوطات الكامل للمبرد (انظر حاشية الكامل ٢١٤/١) ان دعبلا ذكر في اخبار الشعراء « ان هذا لعبدالله بن الزبير الاسدي » ، وفي العيون ٧٧/٣ لعبدالرحمن بن حسان •

(١٧) في اعيان الشيعة : به •

(١٨) في الكامل للمبرد والحماسة البصرية يروى البيت على النحو الآتي :

اني يكون اخا او ذا محافظـــة من كنت في غيبه مستشعرا وجلا

وفي حماسة البحتري :

اني يكون اخا او ذا محافظـــة من انت من غيبه مستشعرا وجلا

(١٩) في حماسة البحتري والحماسة البصرية : تظن به ظنا ، وفي الكامل : تظن به سوء •

(٢٠) في نور القبس : يرى الصديق بادخال مكاشرة ، وفي اعيان الشيعة : بادغال •

(٢١) في اعيان الشيعة : ولا يقول بها يوما •

(٢٢) في نور القبس اذا عقلا •

(٢٣) في حماسة البحتري واعيان الشيعة : فتعرفها •

(٢٤) في نور القبس : اذا •

(٢٥) في اعيان الشيعة يروى عجز البيت كالاتي : ولا توسده يوما اذا اعتدلا •

(٢٦) عيون الاخبار ١٧/٣ ، والثاني والثالث في حماسة البحتري ٢٤٨ •

(٢٧) في حماسة البحتري : ولا تهن للئيم •

(٢٨) الخول : العبيد والمواشي •

(٢٩) الاغاني ٢٣٥/١٢ ، سرح العيون ص ٣٥٠

٢ ـ كان لم يكن عاشـــق قبلـــه — وقـد عشـــق الناس من قبلـه
٣ ـ فمنهم من الحب اودى بـــــه — ومنهم من اشفى[٣٠] على قتلـــه

(٢٩)

وقال[٣١] :

المتقارب

١ ـ الا تزع القلب عـــن جهلـــه — وعمـا تؤنـــب مـــن اجلـــه
٢ ـ فابدل بعـد الصبـــا حلمـــه — واقصر ذو العذل عـــن عذلـــه
٣ ـ فلا تركبن[٣٢] الصنيـــع الـذى — تلوم اخـــاك عـــلى مثلـــه
٤ ـ ولا يعجبنـــك قـــول امـــرىء — يخالـــف ما قـــال في فعلـــه
٥ ـ ولا تتبـــع الطرف ما لاينـــال — ولكن سل الله مـــن فضلـــه
٦ ـ وكم من مقـــل ينـــال الغنـــى — ويحمـــد فى رزقـه كلـــه

(٣٠)

وقال[٣٣] :

الكامل

١ ـ لسنا وان احسابنـــا كرمـت[٣٤] — يوما عـلى الاحســـاب نتكـــل
٢ ـ نبنـــى كما كانت اوائلنـــا — تبنى ، ونفعل مثل ما فعلـــوا

(٣١)

وقال[٣٥] :

الوافر

١ ـ ارى نفسى تتـــوق[٣٦] الى امور — ويقصر[٣٧] دون مبلغهن مـــالي[٣٨]

---

(٣٠) اشفى على الشيء : اشرف عليه

(٣١) الاغاني ٢٣٢/١٢ ، مقاتل الطالبيين ص ١١٣ ، والثالث والرابع في الكامل لابن الاثير ١٣٢/٥ ، والثالث في الطبري ٣٠٣/٧ ، والثالث والخامس والرابع (في هذا الترتيب) في اعيان الشيعة ٨١/٣٩ ، والثالث والرابع في غرر السير الورقـــة ١٢٠ ، والثالث في حماسة البحتري ص ١٧٤ .

(٣٢) في غرر السير والكامل لابن الاثير : ولا تركبن ، وفي حماسة البحتري : ولا تقربن .

(٣٣) الامالي للقالي ١٣/٣ ، زهر الآداب ٨٥/١ ، الفتح على فتح ابي الفتح للبروجردي ، تحقيق محسن غياض ، القسم الثالث ١٢٨ (المجلد الثاني من مجلة المورد ، العدد الثالث ، بغداد ، ١٩٧٣)، الكامل للمبرد ١٦٣/١ ، العقد الفريد ٢٩٠/٣ ، الحيوان للجاحظ ، ١٦٠/٧ ، وشرح النهج ٢٠٧/١٨ ، له .

وفي الوساطة ص ٣٧١ ، وحماسة ابي تمـــام ٣٦٥/٢ والعمدة ١٤٦/٢ ، يرويان للمتوكل الليثي ، وفي شرح النهج ٣٣٢/١٩ لعبدالله بن جعفر ، وفي الفسر لابن جني ، تحقيق صـفاء خلوصي ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ٣٤٦/١ من غير عزو .

(٣٤) في الكامل والعقد الفريد والفسر والوساطة وحماسة ابي تمام والحيوان : لسنا وان كرمت اوائلنا ، وفي شرح النهج ٢٠٧/١٨ : لسنا وان احسابنا كملت ، وفي العمدة :

انا وان احسابنا كرمت — لسنا على الاحساب نتكل

(٣٥) البيتان الاولان في حماسة ابي تمام ١١٨٣ والوساطة ٣٨٦ وفيها ايضا انهما يرويان لاسحاق الموصلي وغرر السير : الورقة ١٢٠ والتذكرة السعدية : ٢٨٩-٢٩٠ ، وعيون الاخبار ٣٤٠/١ والقطعة كلها في عين الادب والسياسة / هامش الغرر والعرر ص ١٢٩

(٣٦) فيعين الادب والسياسة : تتشوق ، ولا يستقيم معها البيت .

(٣٧) في الوساطة وعين الادب والسياسة : يقصر .

(٣٨) في عيون الاخبار : حالي .

٢ ـ فنفسى لا تطاوعنى ببخل ... ومالى لا يبلغنى فعالى[٣٩]
٣ ـ فلا والله ما احببت مالا ... لشىء قط الا للنوال
٤ ـ افيد ويستفيد الناس منى ... وما يبقى يصير الى الزوال

(٣٢)

وقال[٤٠] : ... الطويل

١ ـ واجمل اذا ما كنت لابد مانعا ... وقد يمنع الشىء الفتى وهو مجمل

(٣٣)

وقال[٤١] ايضا : ... المتقارب

١ ـ ولا تأتين الامور التى ... تعيب على الناس امثالها

(٣٤)

وقال [٤٢] ايضا : ... البسيط

١ ـ اقول لما بدت بيضاء لائحة ... قول امرىء عن طلاب اللهو منخزل
٢ ـ اهلا بوافدة للشيب واعظة ... تبغى الشباب وتنهانا عن الغزل

(٣٥)

وقال[٤٣] ايضا : ... الكامل

١ ـ لا تيأسن من صاحب ... وتلومه ان زل زله
٢ ـ ما من اخ لك لا تعيب ـ ولو حرصت ـ عليه خله

(٣٦)

وقال [٤٤] : ... المتقارب

١ ـ اصد صدود امرىء مجمل ... اذا حال ذو الود عن حاله
٢ ـ ولست بمستعتب صاحبا ... اذا جعل الهجر من باله
٣ ـ ولكننى صارم حبله ... وذلك فعلى بامثاله
٤ ـ ومهما ادل بحق له ... عرفت له حق ادلاله
٥ ـ وانى على كل حال له ... من ادبار ود واقباله
٦ ـ لراع لاحسن ما بيننا ... بحفظ الاخاء واجلاله

---

(٣٩) في الوساطة وغرر السير :
فلا نفسي تطاوعني ببخل ... ولا مالي يبلغني فعالي
وفي عين الادب والسياسة :
فلا نفسي تطاوعني ببخل ... وما لي ليس يبلغه فعالي
وفي حماسة ابي تمام ١١٨٣/٢ رواية اخرى هي : وما لي لا يقوم له فعالي .
(٤٠) اعجاز القرآن للباقلاني ص ١٠٠ ، نقد الشعر ، تحقيق كمال مصطفى ، ص ١٤٥ ، الصناعتين ص ٢٩٣ .
(٤١) حماسة البحتري ص ١٧٤ .
(٤٢) حماسة البحتري ص ٣١٣ .
(٤٣) حماسة البحتري ص ١٠٧ .
(٤٤) حماسة البحتري ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٣٧)

وقال(٤٥) :

الرمل

١ ـ واذا صاحبت فاصحـــب ماجدا ذا عفـــاف وحيـــاء وكـــرم

٢ ـ قوله للشيء : لا ، ان قلـــت : لا ـ واذا قلت : نعم ، قـــال : نعـــم

(٣٨)

وقال(٤٦) ايضا :

الطويل

١ ـ لسان الفتى نصف ونصف فـؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والـــدم

٢ ـ وكائن فتى من معجـــب لك حسنه زيادته أو نقصـــه في التكلم (٤٧)

(٣٩)

وقال (٤٨) :

البسيط

١ ـ العين تبدى الذى في قلب صاحبها من الشنـــاءة او ودا اذا كانـــا

٢ ـ ان العدو له عيـــن يبـــث بهـــا لا يستطيع لما في القلب كتمانـــا

٣ ـ فعين ذى الود ما تنفـك مقلتهـا تبدى له محجـــرا ..(٤٩) انسانا

٤ ـ فالعين تنطق والافـــواه صامتـــة حتى يرى من ضمير القلب تبيانـــا

(٤٠)

وقال (٥٠) :

الخفيف

١ ـ ايهـــا المـــرء لا تقـــولن قـــولا لست تدرى مـــاذا يعيبـــك منـــه

٢ ـ والزم الصمت ان في الصمت حكمـا واذا انت قلـــت قـــولا فزنـــه

٣ ـ واذا القوم الغطـــوا في كـــلام لست تعنى بشأنه فالـــه عنـــه

(٤١)

وقال(٥١) :

البسيط

١ ـ لا شيمتى تجتوى(٥٢) يوما ولا خلقى وليس حبلى اذا صافيـــت بالواهـــى

٢ ـ لابل ابيح صديقى محض خالصتـــى ولست عـــن نفعه ما عشت بالساهـــى

---

(٤٥) حماسة البحتري ص ٧٦ .

(٤٦) حماسة البحتري ص ٢٠٥ وينسبهما في ص ٣٦٧ ، (مع اختلاف في البيت الثاني) الى زهير بن ابى سلمى ، ويرويان في الحماسة البصرية ٨٢/٢ والبيان والتبيين ١٥٢/١ والموشى ص ٨ للاعور الشني ، وفي المحاسن والمساوىء والفاضل للمبرد ص ٦ بغير عزو ، وفي جمهرة اشعار العرب ٧٦ لزهير .

(٤٧) في الحماسة البصرية والبيان والتبيين والموشى وجمهرة اشعار العرب والفاضل : وكائن ترى من صامت لك معجب .

(٤٨) انساب الاشراف الورقة ٣٠٢ .

(٤٩) كلمة غير واضحة .

(٥٠) لباب الالباب ص ٢٧٧ ، اعيان الشيعة ٨١/٣٩ والبيت الثاني في البيان والتبيين ٢٧٨/١ .

(٥١) حماسة البحتري ص ٩١ ـ ٩٢ .

(٥٢) تكره

(٤٢)

وقال(٥٣) : البسيط

١ ـ يا ايها الزاجرى عن شيمتى سفها عمدا عصيت مقال الزاجر الناهي
٢ ـ اقصر فانك من قوم ارومتهم في اللؤم فافخر بهم ماشئت او باهي
٣ ـ يزين الشعر افواها اذا انطقت بالشعر يوما وقد يزرى(٥٤) بافواه
٤ ـ قد يرزق المرء لا من فضل حيلته ويصرف الرزق عن ذى الحيلة الداهي
٥ ـ لقد عجبت لقوم لا اصول لهم اثروا وليسوا وان أثروا باشباهي
٦ ـ ما نالنى من غنى يوما ولا عدم الا وقولى عليه الحمد لله

(٤٣)

وقال(٥٥) : في الفضيل بن السائب(٥٦) : الطويل

---

(٥٣) العقد الفريد ١٨٢/١ ـ ١٨٣ (ويذكر ان الرشيد استشهد بها) .

(٥٤) يقال : ازرى به : اذا قصر به .

(٥٥) عيون الاخبار ٧٥/٣ ـ ٧٦ والكامل للمبرد ٢١٢/١ والابيات الثلاثة الاولى والخامس في كتاب حذف من نسب قريش ص ١٨ وفي مخطوط انساب الاشراف الورقة ٣٠٢ والابيات الثاني والثالث والسادس والخامس [في هذا الترتيب] في العقد الفريد ٣٤٨/٢ والابيات ، ما عدا الرابع في زهر الآداب ٨٥/١ مع اختلاف في الترتيب وكلها في حماسة ابن الشجري (حيدراباد) ص ٦٦ مع اختلاف في الترتيب ، والابيات الاول والثالث والرابع والخامس في مجموعة المعاني ص ١٠٦ والابيات الاول والثاني والرابع والخامس في ثمار القلوب ص ٣٢٧ والثاني والرابع في انوار الربيع ص ٩٢ ـ ٩٣ ، والابيات ، ما عدا الاول ، في الحماسة البصرية ٥٥/٢ ـ ٥٦ مع اختلاف في الترتيب ، والابيات كلها في مواسم الادب ٤١/٢ ـ ٤٢ ، والاول والثالث والخامس والثاني في الاغاني ٢١٤/١٢ ، وروى الاغاني ١٢٨/١٣ البيت السادس له ، ولكنه ذكر في المصدر نفسه ١٢٨/١٣ في قصيدة للابيرد يخاطب بها حارثة بن بدر ، ونسب صاحب اللسان (غني) البيت السادس ايضا الى المغيرة بن حبناء التميمي ، كما ورد في امالي المرتضى ٣١/١ من غير عزو ، وفي طبقات الشعراء لابن المعتز ١٥٦ ضمن أبيات لابي الحجناء نصيب الاصغر ، وفي درة الغواص في أوهام الخواص للحريري (ليبزج) ص ١٠٣ من غير عزو ، والابيات الثاني والثالث والخامس في مخطوطة الزهرة الورقة ١٩٤ منسوبة الى عبدالله بن جعفر ، وروى البيت الثاني في عيون الاخبار ٨٣/٣ والتذاكر (طبع اوربا) ص ١٧٧ ، في قصيدة لجرير ، وروى صاحب شرح النهج ٨١/٢٠ البيت الاول لعبدالله بن معاوية ، كما روي البيت الخامس ٢٠٧/٧ و١١٨/١٦ و٢٩٧/١٩ من غير عزو ، وروى صاحب غرر السير البيت الخامس له الورقة ١١٧ ، وورد الثاني والخامس في اعيان الشيعة ٨٢/٣٩ له ، والخامس في الحيوان ٤٨٨/٣ له والثاني والثالث في الصداقة والصديق ص ١٥٦ له ، والرابع والخامس في الكشكول ١٥/٢ لبعض أولاد عبدالله بن جعفر بن ابي طالب .

(٥٦) ثمار القلوب ص ٣٢٦ وفي مخطوط انساب الاشراف الورقة ٣٠٢ حميد ، ويروى ان الابيات قالها في الحسين بن عبدالله بن عبيدالله بن العباس (انظر الاغاني ٧٢/١١ و٢١٤/١٢ وفي ثمار القلوب ٢٦١ وسرح العيون ١١٣/٢) ويذكر صاحب الاغاني أيضا (٢١٤/١٢) ان الصحيح : « ان عبدالله بن معاوية قال هذا الشعر في صديق له يقال له قصي بن ذكوان وكان قد عتب عليه » .

١ ـ رأيت فضلا(٥٧) كان شيئا ملففا(٥٨) فكشفه التمحيص(٥٩) حتى بداليا
٢ ـ فانت(٦٠) اخى ما لم تكن لى حاجة فان عرضت(٦١) ايقنت ان لا اخاليا
٣ ـ فلا زاد(٦٢) ما بينى وبينك بعدما(٦٣) بلوتك(٦٤) في الحاجات الا تماديا(٦٥)
٤ ـ فلست(٦٦) براء عيب ذى الود كله ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا(٦٧)
٥ ـ فعين(٦٨) الرضا عن كل عيب كليلة ولكن(٦٩) عين السخط تبدى المساويا
٦ ـ كلانا غنى عن اخيه حياته ونحن اذا متنا اشد تغانيا

(٤٤)

وقال(٧٠) :

وانى لاستحيى اخى ان ارى له على من الحق الذى لايرى ليا

---

(٥٧) في مخطوط انساب الاشراف الورقة ٣٠٢ : حميدا وفي الاغاني ٢٣٣/١٢ : وان حسينا كان شيئا ملففا وفي الاغاني ٢١٤/١٢ : رأيت قصيا ... وفي كتاب حذف من نسب قريش ص ١٨ : ان فضيلا .

(٥٨) في زهر الآداب ٨٥/١ : ملفعا .

(٥٩) في مجموعة المعاني ص ١٠٦ : فكشفه التمخيض ، وفي مخطوط انساب الاشراف الورقة ٣٠٢ : فلم يزل التكشيف ، وفي شرح النهج ٨١/٢٠ : فابرزه التمحيص ، وفي كتاب حذف عن نسب قريش ص ١٨ والاغاني ٢٣٣/١٢ ، فمحصه التكشيف .

(٦٠) في الاغاني ٢٣٣/١٢ والعقد الفريد ٣٤٨/٢ وثمار القلوب ٣٢٧ واعيان الشيعة ٨٢/٣٩ : وانت اخي ، وفي الكامل للمبرد ٢١٢/١ ، ومواسم الادب ٤١/٢ ـ ٤٢ : اانت اخي ، وروى هذا البيت في النقائض (طبع اوربا) ص ١٧٧ ضمن قصيدة لجرير :

فانت أبي ما لم تكن لي حاجة فان عرضت فانني لا اباليا

(٦١) في كتاب حذف من نسب قريش ص ١٨ : فان نزلت ، وفي انوار الربيع ص ٩٤ : وان عرضت .

(٦٢) في مجموعة المعاني ص ١٠٦ ومواسم الادب ٤١/٢ : فلا زال .

(٦٣) في مخطوط الزهرة الورقة ١٩٤ : معدما ، وفي حماسة ابن الشجري ص ٦٦ : كلما .

(٦٤) في مخطوط الزهرة الورقة ١٩٤ : عرفتك وفي حماسة ابن الشجري ص ٦٦ ، ذكرتك .

(٦٥) في كتاب حذف من نسب قريش ص ١٨ والاغاني ٢١٤/١٢ : تنائيا . وفي هامش الاصل من كتاب حذف من نسب قريش (انظر الهامش ص ١٨) : تنابيا .

(٦٦) في حماسة ابن الشجري ص ٦٦ وثمار القلوب ص ٣٢٧ : ولست .

(٦٧) في حماسة ابن الشجري : ولا ناظر فيه اذا كنت راضيا .

(٦٨) في عيون الاخبار ١١/٣ والاغاني ٢٣٣/١٢ والعقد الفريد ٣٤٨/٢ والحيوان ٤٨٨/٣ وغرر السير الورقة ١١٧ وحماسة ابن الشجري ص ٦٦ وشرح النهج ٢٠٧/٧ : وعين الرضا .

(٦٩) في انوار الربيع ص ٩٤ واعيان الشيعة ٨٢/٣٩ ، الا ان ، وفي الكشكول ١٥/٢ : كما ان .

(٧٠) روى هذا البيت له وروى ضمن ابيات لمسكين كما روى لجرير انظر الاشباه والنظائر للخالديين ص ٦٩ . وورد هذا البيت في قصيدة لسيار بن هبيرة فى ذيل القالى ٧٤ (انظر الكلام عليه في السمط ٣٧/٣) وروى لجرير في عيون الاخبار ١٨/٣ وفي الحيوان ٤٩٠/٣ واللالى ٢٨٩ .

ومما ينسب اليه ايضا(٧١) — الطويل

١ ــ خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها(٧٢) — فلسنا(٧٣) من الاحياء فيها ولا الموتى
٢ ــ اذا دخل السجان يوما لحاجة — عجبنا(٧٤) وقلنا: جاء هذا من الدنيا
٣ ــ ونفرح(٧٥) بالرؤيا فجل حديثنا — اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا
٤ ــ فان حسنت لم تات عجلى وابطات — وان قبحت لم تحتبس واتت عجلى(٧٦)
٥ ــ طوى دوننا الاخبار سجن ممنع — له حارس تهدا العيون ولا(٧٧) يهدا
٦ ــ قبرنا ولم ندفن، فنحن بمعزل — من الناس لانخشى فنغشى ولا نغشى
٧ ــ الا احد يأوى لاهل محلة — مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا(٧٨)

كابل — د . عبدالجبار المطلبي

---

(٧١) في المحاسن والاضداد للجاحظ ص ٤٥ ــ ٤٦ له ، وفي عيون الاخبار ١/٨١ ــ ٨٢ والمحاسن والمساوىء ٥٤٣ الابيات الاربعة الاولى مع بيت خامس من غير عزو وفي الامالي للمرتضى ١/١٤٥ ــ ١٤٦ وانباه الرواة ١/٦٢ ومعجم الادباء ٣/١٥٥ لصالح بن عبدالقدوس . وورد البيت الاول والثاني في رسالة الغفران ١٤٢ منسوبين الى ولد صالح ، وفي مقدمة اللزوميات ٢٧ منسوبين الى رجل كان في السجن على عهد ملوك بني العباس يقال انه من ولد صالح بن عبدالقدوس ومطلعها :

الى الله اشكو انه موضع الشكوى — وفي يده كشف المضرة والبلوى

ونسبت الابيات في شذرات الذهب ١/٣٣١ الى ابي العتاهية ، وفي كتاب رسل الملوك الابيات الثلاثة الاولى والسابع مع بيت اخر بترتيب مختلف ص ٤٨ بلا عزو ، ونسبها المسعودي في المروج ٢/٢٩٥ الى الفضل بن يحيي وقيل (شذرات الذهب ١/٣٣١) ان الفضل كان ينشدها في السجن .

(٧٢) في رسل الملوك : فلسنا من اهلها .

(٧٣) في رسل الملوك : ولسنا من الاحياء .

(٧٤) في رسل الملوك : فرحنا .

(٧٥) في عيون الاخبار ١/٨٢ : وتعجبنا الرؤيا .

(٧٦) في رسل الملوك :

فان حسنت لم تات عجلى وابطات — وان سمجت جاءت على عجل تترى

وفي المحاسن والمساوىء :

فان حسنت كانت بطيئا مجيئها — وان قبحت لم تنتظر واتت عجل

(٧٧) في رسل الملوك : وما .

(٧٨) في رسل الملوك :

الا احد يرثى لاهل محلة — بارض بلاد الروم في ضنكها اسرى

هكذا عرفت «محمد فريد أبو حديد»

عبدالعليم القبانى

(١)

في منتصف ديسمبر من سنة ١٩٤٧ اعلنت الادارة العامة للثقافة « بوزارة المعارف العمومية » المصرية عن مسابقة بين الادباء والفنانين الذين لم تتجاوز اعمارهم الثلاثين عاما ، وكان الشعر بين فروعها .

وكان ان تقدمت اليها باربع قصائد مختلفة الاغراض ، ثم ظللت ارتقب النتيجة وقبيل الظهر من يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من فبراير ١٩٤٨ فوجئت بسيارة فخمة تقف امام دكانى المتواضع ، حيث كنت اقوم بخياطة الملابس البلدية الوطنية بشارع باب سدرة « احد احياء الاسكندرية القديمة » .

ثم هبط من السيارة رجلان مهيبان ، وبعد ان تطلعا الى لافتة دكاني ، سألنى احدهما ، ان ادله ، على الشاعر « عبدالعليم القبانى » فلما اجبته «انى هو» علت جبهتيهما انكماشة دهشة بينما اتسعت نظراتهما لتضم الجلباب البلدى الذى أرتديه « والكاكولة » التى اتدثر بها والمنضدة التى اقف وراءها ، وقطعة القماش التى لم يجر عليها المقص بعد ، واجزاء من كتب وبقية من ورق اعد للكتابة

★ ★ ★

غلف احدهما صوته بشىء من الرقة ثم سألنى عما اذا كنت اشتركت في مسابقة وزارة المعارف فاجبت بالايجاب وانى اشتركت باربع قصائد ، فاخرج الرجل القصائد الاربع من حافظته وهو يسألنى ، اهى هذه ؟ فاجبته بنعم ، ثم وجهت نظريهما الى انى جمعت بين اوراقها بالابرة والخيط وليس « بالدبابيس » كالمعتاد ، وفي ذلك اشارة الى مهنتى التى اوضحتها صراحة في كتابى المرفق بها :

فابتسم اولهما وقال « وهل تعلم الان لماذا جئنا ؟ » فقلت دلائل الحال تقول انكما جئتما لامر خاص بالمسابقة ، و .. ربما للتأكد منى ، وضحكت ودعوتهما للجلوس وتناول القهوة ، وعندئذ قال الرجل انه « محمد فريد ابو حديد » مدير الادارة العامة للثقافة ، وان زميله هو الاستاذ « عبدالحميد بك العبادي » عميد كلية الاداب بجامعة الاسكندرية [١] وكان ان ابديت سرورى بتشريفهما .. ولما كنت قرأت بعض الاعمال الادبية التى نشرها الاستاذ « ابو حديد » بمجلتى الرسالة والثقافة في ذلك العهد ، فقد رحت استعرض له ما علق بذاكرتى منها ،

---

(١) تولى العبادي بك عمادة كلية آداب الاسكندرية من ١٩٤٢ حتى ١٩٩١ .

بل انى اسمعته مقطوعات بنصها من ملحمة « سهراب ورستم » التى ترجمها شعرا مرسلا عن « ماثيوارنولد » ونشرها بمجلة الثقافة قبل اعوام من هذا اللقاء الذى امتد الى اكثر من ساعة ، ناقشني الاستاذ « ابو حديد » خلاله في الشعر والتاريخ الادبى وكانت ذاكرتى تحتفظ وقتئذ برصيد ضخم من نماذج الادب العربى قديمه وحديثه ، بل وبكثير من النماذج المترجمة عن الاداب الاخرى ، ثم قرأت عليه ـ بناء على طلبه ـ الوانا اخرى من شعرى الذى لم اتقدم به للمسابقة كما حاولت تذكيره ببعض قصائدى التى نشرتها من قبل بمجلة الثقافة ، وهو المشرف على تحريرها ، ومنها قصيدة في وصف غارات الالمان على الاسكندرية سنة ١٩٤١ ومجموعة مقطوعات كنت نظمتها عن «نشيد الانشاد» سنة ١٩٤٤ لكنه لم يستطع ان يتذكر منها شيئا لكثرة ما مر عليه من شعر نشرته المجلة ولان اسمى لم يكن له من البريق ما يجتذب اليه الانظار ٠٠

واخيرا غادرنى الرجلان ، بعد ان وعدنى الاستاذ «ابو حديد» باهدائى مجموعة من كتبه لما رأى ان مكتبتى تستحق نظرة عطف ، كما اخبرنى ـ في نهاية هذا اللقاء ـ بانى اول الشعراء الفائزين في هذه المسابقة وطلب منى ان اكون بالقاهرة يوم ٢٦ من فبراير ١٩٤٨ لحضور الحفل الكبير الذى سيقام بدار الاوبرا مساء الجمعة ٢٧ فبراير تكريما للفائزين ولتسليمهم الجوائز التى حصلوا عليها في هذه المسابقة ٠٠ واذكر ـ بهذه المناسبة ـ انه في اليوم التالى لهذا اللقاء توافد على دكانى عدد من رجال الصحافة الذين اهتموا بواقعة اكتشاف هذا الخياط البلدى الذى ينظم الشعر فيجيده ثم يفوز في المسابقة على عدد ممن اشتهروا به ٠٠

(٢)

ترك هذا اللقاء انطباعا حسنا في نفس الاستاذ « ابى حديد » عبر عنه فيما بعد بقوله « ٠٠ لقد عرفته ـ اول ما عرفته ـ حين تقدم ببعض شعره الى المهرجان الذى اقامته ادارة الثقافة بوزارة المعارف عام ١٩٤٨ وفاز في المسابقة وارادت الوزارة أن تدعوه لحضور المهرجان فبحثت عنه طويلا فلم تجده ، حتى كادت تحسب انه ـ اسم مجرد لا يمثل حقيقة ـ وتطوعت انا بالذهاب للبحث عنه حتى عثرت عليه اخر الامر في اعماق احد الاحياء الشعبية بالاسكندرية وكان اول ما طالعنى منه صفحة وجه متهلل تشرق عليه ابتسامة رضا واطمئنان تتردد فوق صبغة من حمرة الخجل ، وكان وجهه ناطقا بانه يجد في شعره علالة حياته وبان كل ما في الحياة من مباهج ومن ثراء ومن مجد لايعنى عنده شيئا الى جانب الصور التى يناجيها في شعره ، والاحلام ذات الاضواء العجيبة التى ينقله الشعر الى عالمها »(٢) وعلى ذكر قول الاستاذ « ابى حديد » ان الوزارة كادت تحسب انى « اسم مجرد لا يمثل حقيقة » اذكر انه اخبرنى ـ فيما بعد ـ بأن لجنة التحكيم اشتبهت في امرى واستكثرت على صاحب هذا الشعر ان يكون خياطا بلديا ، ولما

---

(٢) من دراسة ابي حديد لديوان بقايا تراب ص ١٧٧ ٠

كان لبعض اشعارى ـ يومئذ ـ مشابه من شعر « على محمود طه » فقد ظنوا انه من ورائى ، كما ظن بعضهم ان الشاعر السكندرى « عبداللطيف النشار» هو صاحب هذا الشعر وانه بعث به سخرية بالمسابقة وبالقائمين عليها لولا ان الاستاذين العقاد والجارم ، استبعدا ذلك لاسباب بينها سيادته .. كما نشرت مجلة «الاثنين» التى كانت تصدر عن دار الهلال في احد اعداد « مارس » ١٩٤٨ ـ فيما اذكر ـ ان اعضاء لجنة التحكيم وهم الاساتذة ، عباس العقاد وعلى الجارم وابراهيم ناجى وفريد ابو حديد وعبدالله حبيب ، قد اختلفوا حول حقيقة وجودى ولما علموا ان الاستاذ « فريد ابا حديد » سيسافر في اليوم التالي الى الاسكندرية ، حبكت النكتة على لاستاذ الجارم ـ وهو من « رشيد » ورشيد مشهورة بالنكتة ـ فقال « طيب مادام فريد بك مسافر بكره لاسكندرية ما يشوف لنا حكاية الخياط دا ايه بالتفصيل ! » وفي كلمة «بالتفصيل» هذه تورية لصلتها بمهنتى ..

واشار الى ذلك ايضا المرحوم الدكتور « عبداللطيف حمزة » استاذ الصحافة والادبيان الايوبي والمملوكي بجامعة القاهرة ، اذ كتب في مقدمة احدى مقالاته يقول : « عجب الناس في مصر حين حملت اليهم الصحف نبأ الجائزة التى فاز بها في الشعر احد سكان الاسكندرية وهو ترزى عربى وذهب اليه مدير عام الثقافة بوزارة المعارف يهنئه ، ويتعرف عليه ، اما نحن فلم نعجب لهذا النبأ ، لاعتقادنا ان الشعر مخلوق ديمقراطى .. » (٣)

(٣)

تقدمت الى المسابقة باربع قصائد ، كما قلت ، وتعمدت ان يكون لكل قصيدة غرضها المحدود ، ربما لاظهر مدى استطاعتى في تناول كل غرض منها ، وانه قد يتاح لواحدة منها ، مالا يتاح للاخرى ، من استجابة اعضاء اللجنة لها ، وربما لتغطية القلق الذى يحسه المتسابق في اولى مغامراته ، ولكى اعطى القارىء صورة واضحة عن اغراض هذه القصائد ، اذكر ان الاولى كانت بعنوان « رسالة الى امى » واتمثل هنا بمقطوعة منها تكفى للدلالة على باقيها ..

امى وانت قصيدة علوية ... عصماء من نغم الفرادس متقنه
طوفت بى طفلا باودية المنى ... وبنيت امالى بناء الموقنه
واثرت ينبوع العواطف في دمى ... وسموت بى حينا سمو المؤمنه
ولرب ليل دانت الدنيا له ... لما اغار على النهار فاسكنه
وسرى الكرى بين العيون فردها ... عذراء مغلقة الجفون محصنة
الاك ساهرة على حزينة ... وعليك من سبحات حواء سنه
امى وليس بمعجز ان التقى ... في ظلها ، بالله او اتبينه
ما الام الا رحمة قدسية ... الله صورها لقوم بينه (٤)

وكانت القصيدة الثانية بعنوان « الطريدة » وهى تحكى قصة فتاة القت بنفسها في اليم لضيق ذات اليد ، وقد استبعدتها اللجنة لانها رأت فيها اثارة

(٣) مجلة الثقافة عدد ١١ مايو ١٩٤٨ .
(٤) القصيدة كاملة بديواني بقايا سراب ص ١٣٣ .

لشعور المواطنين وكان شعور اعضائها مرهفا بالنسبة لهذا اللون من التفكير وقتئذ وقد اختتمت هذه القصيدة بالابيات التالية ..

اخشى على الشرق المسالم ثـورة   هوجاء تعصف بالبناء وتحـرق
انى لالمح في الرماد وميضهـا   وتكاد السنة الحوادث تنطـق
واذا الشعوب تمردت لم يثنهـا   للسلم آيات نقال ومنطـق
والعدل ميزان الشعوب فان طغت   للظلم ايد فالسلام ممزق(٥)

ولعل هذه الابيات الاربعة ، كانت من الارهاصات بثورة يوليو ١٩٥٢ ، لو لا ان الثورة جاءت متشحة بالسلام ، فكان ان اصبحت كلمة « هوجاء » الموصوفة بها غير ذات موضوع . اما القصيدة الثالثة فكانت « ليلة في حان » وهى قصيدة من ذلك النوع اليائس الذى شاع عند شباب هذه الفترة ، وتمثل فتى انتهى به المطاف الى « الحان » وفتاة الحان وقد بلغ به يأسه الى الحد الذى جعله يختتم قصيدته بقوله :

انا قلب احرقته الذكريـات   انا معنى فيه سر الشجـن
انا طير قدسى النغمـات   اخرستـه ثورة من محـن

فغدت الحانه رجع نواح
وغدت احلامه وخز جراح
لم يجد في هذا الدنيا مراح
آه لو افلت منها ، واستراح (٦)

واخيرا قصيدة « ليالى البحيرة » التى قدمها الاستاذ « عبدالله حبيب » سكرتير اللجنة الى مجلة الثقافة ضمن حديثه عن نتائج المهرجان بقوله :

« .. كان الفائز الاول عبدالعليم محمد القبانى الطرزى العربى بباب سدرة بالاسكندرية وهو يمتاز بما يظهر في شعره دائما من الصلة القوية الجياشة بين عاطفته وبين الطبيعة ، وهذا المعنى يتجلى بصفة خاصة في قصيدته « ليالى البحيرة » التى يقول فيها :

قلت لى لما تلاقينا على شط البحيرة
فى مساء رائع الفتنة موفور المسره
كلما حاولت ان انساه لا اذكر غيره
يا حبيبى ابتسم الدهر لنـا
« فتعالى » نغتنم زهر المنى (٧)
لا تقل لى في غـد موعدنا
نحن لا نملك الا يومنـا

---

(٥) القصيدة كاملة بديواني اشعار قومية ص ١٤٥ .
(٦) القصيدة كاملة بديواني بقايا سراب ص ١٥٦ .
(٧) كان يمكن ان اقول (فادن مني) بدلا من (فتعالي) لتكون اسلم لغويا ولكنني قلتها يومئذ على هذه الصورة .

قلت يا ربة احلامى ويا دنيا خيـــالى
والتى في الصبح ارجوها وفي مسرى الليالى
اصحيح رق لى دهرى واصغى لسؤالى
ام خيال رائع طاف بنـــا ؟
ومساء مسعد اسعـــدنا ؟
رب نجم في السما لاح لنا
كان اوفى من تلاقينا هنا
وركبنا الزورق السابح فى حلم ٠٠ جميل
تحت ضوء القمر الساحر يهفو ويميـــل
وتركنا الشاطىء النشوان من خمر الاصيل
وعلى البعد بدا النخل لنا
من خلال السحب فتان السنـا
فنسينـــا برهة انفسنا
ونسينا الزورق السارى بنا
سر بنا في هدأة الليل كطيف عابـــر
في شعاع القمر السارى بليل ساحـــر
صوت مجدافك يا ملاح لحن الشاعـر
الدجى نام ٠٠ ونامت حولنا
اعين الكون فهيا غننـــا
غن يا ملاح او غن بنـــا
غن فالفجر من الشط دنا (٨)

وعن هذه القصيدة « وقصيدة ليلة في حان » رأت اللجنة منحى الجائزة الاولى في الشعر ونشرت ذلك في صحف ومجلات هذه الفترة وبخاصة الثقافة ٩ مارس والرسالة ٧ مارس سنة ١٩٤٨ فقد نشرت فيهما اخبار المسابقة بتوسع ،

(٤)

سافرت من الاسكندرية الى القاهرة في الصباح الباكر من يوم الخميس ٢٦ فبراير ١٩٤٨ وعلى احدى صفحات جريدة «المصرى» التى كانت بيد الراكـب الجالس بجوارى في القطار لمحت صورتى ونبأ فوزى بالجائزة على مساحة لا باس بها من الصفحة ٠٠

كان سرورى غامرا الى الدرجة التى فقدت فيها السيطرة على سلوكى ومن ثم اندفعت في لفت نظر جارى الى انى المقصود بهذا النبأ ٠

قد يكون تصرفي هذا صبيانيا ، لكن الذى حدث ان الرجل تلقى هـذا التصرف باعجاب انعكس اثره على يديه التى شدت على يدى بالتهنئة ، بعد ان قارن بين الصورة المنشورة وبينى ٠

---

(٨) في القصيدة كما نرى ملامح من شوقي وناجي وعلي محمود طه وان كان طابع الاخير هو الاغلب وهذا هو الذي دعا اللجنة الى الظن بانه من وراء محاولتي هذه كما اسلفنا ٠

وما ان هبطت ارض القاهرة حتى توجهت على الفور الى الادارة العامة للثقافة وهناك التقيت بالاستاذين « محمد فريد ابو حديد » و « عبدالله حبيب » واتفقنا في هذا اللقاء على ما يجب اتباعه في حفل الغد ، ولقد وجدت ان المسئولين اختاروا قصيدة « من ليالى البحيرة » لالقائها في هذا الحفل باعتبارها انسب قصائدي لمواجهة الجماهير ، وقد اختارتني اللجنة لالقائها بعد تجربة قمت بها كنت فيها – في نظرة اللجنة – اكثر توفيقا من الفائز الاول في الخطابة والفائز الاول في التمثيل من ناحية الاحساس بمعاني الكلمات وبالتالي من تجسيدها بالصوت الملائم ..

★ ★ ★

ولما حانت الساعة الخامسة من بعد ظهر الجمعة ٢٧ فبراير كانت « دار الاوبرا » قد حفلت بحشد ضخم من المهتمين بالآداب والفنون ، وعلى رأسهم الاستاذ الكبير « عبدالرازق السنهوري باشا » وزير المعارف يومئذ ورئيس الاحتفال ..

كان هذا هو اول حفل التقى فيه بجمهور من هذا الطراز كما وكيفا لكن الاستاذ « فريد ابو الحديد » كان يشجعني بعبارات لم اسمع مثلها من قبل كان يحاول ان يبعث الثقة في نفسي بشتى الوسائل ، كأن يقول « لا تهمك هذه الرؤوس العالية التي تراها فانها لناس مثلي ومثلك رفعتهم الظروف ولقد هدمت هذه العبارة واشباهها كل حوائط الخوف التي كانت قائمة في نفسي مساء ذلك اليوم ولقد يحاول اضحاكي مبالغة منه في وسيلة اخراجي من دائرة الوهم التي كانت تحيط بي فيذكرني برؤوس « الحجاج » التي اينعت[٩] ثم يقارن في سخرية خفيفة بينها وبين هذه الصفوف من الرؤوس التي اتهيبها والتي سدت بتجمعها على مذاهبي فيؤكد ضاحكا « انه ليس هناك من فارق بينها وبين رؤوس الحجاج ، الا انها لم تجد حجاجها بعد »

وعندما ارتفعت ستارة المسرح عني استقبلني الجمهور استقبالا بالغ الروعة وكان ان وجدتني – بملابس البلدية – على المسرح ، في بحر من النور ، بينما غرقت القاعة الكبرى في ظلام يوشك ان يكون تاما ، ومن ثم لم اعد ارى امامي الا بعض رؤوس الجالسين في الصفوف الاولى ، والتي خيل الى بعد الشحنات النفسية التي تلقيتها انها قد تقلصت عنها جميعا سمات العظمة وان جلودها قد تشابهت وجلود الاخرين وان قليلا من هذه الرؤوس هي التي يمكنها موازاة الخشبة التي اقف عليها !!

يا سبحان الله ..

قد يكون الغرور – في قليل من الاحيان – ضرورة لابد منها لمن يريد ان يتحدى الماضي المظلم ، ويشق الطريق الى المستقبل ،ومن هذا المنطلق ، تجمعت لالقى قصيدتي ومن ثم استغرقت في القائها ، وانا اسمع صوتي بكل جارحة من جوارحي

(٩) يشير الى خطبة الحجاج المعروفة والتي يقول فيها اني ارى رؤوسا قد اينعت وحان قطافها واني لصاحبها .

وكانت اذاعة القاهرة ـ في ذلك الوقت ـ تحمل هذا الصوت على الهواء ، الى كل مكان تصل اليه موجاتها بينما كانت همسات « ابى حديد » الخفيضة تصل الى مسمعى من وراء الستار ، وهو يطلب منى ان اكرر بعض المقاطع او ان ارفع صوتى درجة او درجات ٠

لقد كان ساعتها يقوم بدور المخرج الذى يبذل كل ما يملك من طاقة ليقترب بروايته من النجاح الذى ينشده ، ولقد ساعدنى على بلوغ هذا الهدف ـ بعد مجهوده العظيم ـ في هذه الليلة ، ذلك التصفيق المنقطع النظير الذى اراد به الجمهور العريض تشجيع ذلك الخياط البلدى الذى استطاع ان يقف هذا الموقف النادر المثال في تاريخنا الادبى المعاصر ، وانتهيت من القاء قصيدتى ، ثم دعيت الى تسلم الجائزة فتسلمتها من يد استاذ القانون الكبير « عبدالرزاق السنهورى باشا» بين مظاهر من التحية الجماهيرية التى لم يصل اليها خيالى قط ٠٠

(٥)

وانتهى الحفل ورجعت الى الاسكندرية ولما تزل اصداء هذه المظاهرة ترن في مسمعي ثم مرت أيام عشرة ، وتذكرت وعد الاستاذ « ابى حديد » باهدائي مجموعة من كتبه يوم ان زارنى بالاسكندرية وكان ان كتبت الابيات التالية ، وبعثت بها اليه ، اذكره بوعده ، وفيها اقول :

اوليتنى مننن الكريـم وزدتنـــى ... شرفا واتبعت الجميل جميــــلا
وجعلتنى في كــل نـاد غنـــوة ... تشدو بفضلك بكـــرة واصيــلا
وانا ابن عطفك لوكشفت جوانحى ... لوجدت رسمك في الفؤاد دليــلا
احييت آمالى وكنت وادتهـــا ... وبعثتها ظــلا عـلى ظــليلا
ووعدتنى الكتب الحسان فهل ترى ... وجد السلو لما وعدت سبيــلا ؟
كتب ارق من النسيم حديثهـــا ... وادق من صور الحيـاة فصــولا
القى ابا الهيجاء في صفحاتهـــا ... والجاهليـــة والقـــرون الاولى
لولا بيانك ما تكشف غيبهـــا ... حتى رأيناهـا دنــى وميــولا
زدنى « فريد » من بيانك اننــى ... رجل تخذت من البيان رســولا
افنيت عمرى في هواه فلــم ادع ... للروح من غير البيان مقيـلا (١٠)

وبادر الرجل فبعث الى مع البريد بالمجموعة التالية من كتبه وهى :

١ ـ امرىء القيس ٢ ـ المهلهل ٣ ـ زنوبيا ٤ ـ الام جحا ٥ ـ ابـو الفوارس ٦ ـ عبد الشيطان ٧ ـ السيد عمر المكرم(١١)

---

(١٠) اوردت هذه المقطوعة كاملة لانها لم تنشر ويلاحظ انني استعرضت فيها خصائص بعض مؤلفات فريد ابي حديد اذ تدور حول العصر الجاهلي كما ان بهذه القصيدة بعض قوالب شعر المدح المعروفة ٠

(١١) لفريد ابي حديد عدد كبير من المؤلفات الاخرى لا مجال لسردها هنا ، وتوجد دراسة عن ابي حديد للدكتور منصور ابراهيم الحازمي الاستاذ بجامعة الرياض بالسعودية مطبوعة سنة ١٩٧٠ بالرياض احصى فيها مؤلفاته ٠

وكان من حقه علي ان اشكره فبعثت اليه بهذه المقطوعة :

خفقت زهرة وقالت لاخرى ما لهذا الفتى تزاور عنا
لم يكن عهدنا بـه يتغاضى عن صبانا ولا يميل الينا
فرنت اختها اليها وقالت ربما راعه التغيير منا
انه يعشق الربيع مقيما والربيع الجميل لا يتانى
فاذا بلبل يقول رويدا انه نال فوق ما يتمنى
وجد اليوم في وفاء « فريد » ما يفوق الربيع حسا ومعنى

وكان ان « فريد ابا الحديد » نشر هذه المقطوعة في مجلة الثقافة (١٢) بعد ان استبدل باسمه في البيت الاخير كلمة « صديق »

ثم حدث ان نال جائزة الاداب سنة ١٩٥٠ عن كتابه « الوعاء المرمرى » فبعثت اليه استهديه اياه بابيات لم يبق منها في ذاكرتي غير هذه :

وعاؤك من « بابل » خمره كذا حدثت زهرات الربى
واني لفى ظمأ محرق اليه وحقى ان اشربا
ولكنني والهوى ساخر فؤاد تشهى ودهر ابى
ارى المكتبات وما ضمنت ويمنعني الحظ ان اقربا
وانت العليم باني امرؤ تعشق حتى نسيم الصبا

وكان ان يعث بالكتاب الى مع عودة البريد ..

(٦)

ولقد توثقت صلتي بالاستاذ « محمد فريد ابي الحديد » بعد ذلك الى مدى بعيد فما من مرة زرت فيها القاهرة الا وكان لقائي به أحد أهداف هذه الزيارة وكذلك كان الرجل يزورني بالاسكندرية كلما سنحت له ظروفه بزيارتها وبخاصة بعد ان عينت بكلية الاداب بجامعتها اوائل عام ١٩٥٧ ..

ولقد كنا خلال هذه اللقاءات نتناول شتي الموضوعات الادبية والتاريخية وعلي سبيل المثال اذكر انني في احد هذه اللقاءات ابديت اعجابي بكتاب شرح نهج البلاغة «لابن ابي الحديد» وكيف هز هذا الكتاب فكري هزا عميقا عندما ابرز لى رجال الاعصر الاولي سافرين بلا اقنعة من تقديس اضفاه الزمن عليهم ، وكان جوابه انك عثرت علي احد المنابع الاولى التى استقى منها كثيرون من اعلامنا من غير ان يذكروا صراحة القدر الحقيقى الذى استفادوه منه ، وانما كانوا يشيرون اليه ضمن مراجعهم مجرد اشارة لاتعطى الرجل حقه في انه من اوائل السابقين صراحة وجراة وكانه يشير من طرف خفى ، الى بعض الكتب التي ظهرت في هذه الفترة والتي تحدثت عن الفتن التي جرت عقب وفاة الرسول تلك التي قسمت الامة الاسلاميه الى شيع واحزاب مزقت وحدتها ومشاعرها وافكارها والتى ظلت اثارها تفت في عضدنا الى الان ..

---

(١٢) الثقافة عدد ٢٣ مارس ١٩٤٨ .

وفي بداية سنة ١٩٦٠ تحدثت معه عن رغبتي في الحصول على منحة تفرغ من وزارة الثقافة ، اقوم خلالها بكتابة ملاحم تاريخية تروى بطولات عربية من تاريخنا الحديث ، فكان ان كتب الى وزير الثقافة كتابا مؤرخا ١٧-١-١٩٦٠ يزكى بـه طلبى وكان من قوله في هذه التزكية « ولقد استرعى عبدالعليم القبانى نظـرى واعجابى بابداعه في التصوير الشعرى وموسيقى اسلوبه في التعبير وجزالة الفاظه وحسن عبارته واعتقد انه جدير ان يبرز في فنه ويضيف الى ثروتنا الادبيـة اضافات قيمة واذا هو وجد الفرصة التى تمكنه من التوفر على انتاجه لزاد فنـه صفاء .. »

غير انى - وبرغم هذا المسعى الكريم لم احصل على منحة التفرغ هذه وقتئذ وانما حصلت عليها بعد ذلك بستة اعوام (١٣)

على ان فكرة نظم هذه الملاحم التاريخية كانت قد استقرت في ذهني ، ومن ثم اتممت واحدة منها بعد ايام قليلة من هذا الحديث وكان ان جاءت في مئتى بيـت على قافية واحدة تدور حول الحملة الفرنسية على مصر وابراز موقف الشعـب البطولى منها وعندما عرضتها على الاستاذ « ابى حديد » اعجب بها وشجعنى على الاستمرار في هذا اللون ، بل واقترح على عددا من المواضيع الاخرى وان كان قد نصحنى بالخروج من اطار القافية الواحدة لكى اكون اكثر انطلاقا ، ويبدو تقديره لهذا الاتجاه الملحمى ، من هذه العبارات التى اقتبستها من دراسته عنى اذ يقول : « فلست اغالى حين اقول ان الشاعر القبانى فتح في ديوانه بابا جديدا في الشعر ، ودخل فيه دخول المنتصر في اولى محاولاته واغلب ظنى انه يستطيع ان يبدع في شعر الملاحم كما لم يبدع شاعر عربى قبله .. »(١٤)

ولكى تكون هناك شبه فكرة عند القارىء عن هذه الملحمة ، اكتفى هنا بعرض المقطوعة التالية التى تمثل كيف اغتال الفتى السورى « سليمان الحلبى » بخنجره « كليبر » قائد الجيش الفرنسى في القاهرة بعد ان غادرها « نابليون » وهى بعنوان « مصرع الجبار » برغم ان الاقتباس هنا يذهب بالاثر الذى تضفيه وحدة الملحمة :.

واصلف عات من بنى السين قسـور
تصدى له من فتية العـرب قسـور
تخفى له ، والهـول يلقـى رداءه
على الروضة الثكلى ، وللظلم مخفـر
واقبل يخفى الموت تحـت ثيابـه
ويبدى له الشكوى خداعـا ويظهـر
وفي صوته آهـات شعـب مجرح
وحشرجة المظلـوم بالدمـع تعثـر

---

(١٣) حصلت على منحة تفرغ للعمل الادبي سنة ١٩٦٦ لمدة ثلاثة أعوام كتبت خلالها كتابا ضخما عن « شعراء الاسكندرية في العصر الحديث » ، كما نظمت ملحمة شعرية تروى قصة « الثـورة العرابية » من ٣٠٠٠ بيت من الشعر الموزون المقفى .

(١٤) ص ١٨٧ من دراسته لبقايا سراب وفي مقدمة ديوان اشعار قومية .

الى ان تهاوت ذروة الصبر والتقت
بعينيهما من فورة الحقد ابحر
وأوشك ركب الدهر ان يجمع الخطى
ليشهد مغلول القوى كيف يثار
تبدى له والشمس تغضى جلالة
لوثبته ، والافق وجلان يحذر
واهوى بها من حالق الموت ضربة
تطن بسمع الدهر ابان تذكر
وخر ربيب السين ينتزع الحصى
بكفيه ، او بالناب في الصخر يحفر
هوى المارد الجبار ، وارتد جثة
كذلك يهوى بالطواغيت خنجر (١٥)

(٧)

وعندما جمعت ديوانى « بقايا سراب » واعددته للنشر ، قدمته اليه ليكتب دراسة عنه ، فكان ان قام بكتابة هذه الدراسة التى استغرقت من صفحة ١٧٥ حتى ١٨٩ من الديوان وقد جاء فيها قوله :

« ٠٠ ولقد تطور الشاعر [خلال] هذه السنين الطويلة وتركت ايامها ولياليها فى شعره آثارها العميقة ، وان كانت قد ابقت عليها نغمتها الاصيلة المرتجفة المشحونة بالمشاعر ٠٠ »

وكان من قبل منصرفا الى مناجاة الحب في ـ ليالى البحيرة ـ قانعا بالرؤيا التى تبدو له على الشاطىء من بعيد ٠٠

٠٠ اما اليوم فيحدثنا عن الحياة ، وصيحته هنا يخالطها شىء يشبه الياس الهادىء ، او يشبه الاستسلام الى الحقيقة الجبارة التى يفطن اليها ، من لم تلهه عن الحقيقة ، زخارف الحياة ، فيقول :

السث ادرى انها قصة وانما الاحرف في القصة ؟
واننا في رحلة لم تزل تستهدف الشاطىء ذاالبهجة ؟
فان تكن تفضى الى غاية مجهولة صماء كالصخرة
فلست وحدى في متاهاتها اليس هذا الكون في رفقتى ؟
مصيره فيها مصيرى فما للشمس من تيه على الذرة

ولو اننى رايت مثل هذه القطعة في احدى لوحات « شكسبير » لما عجبت ان يلمح الشاعر في هدوئه ، ما يجهد الفلاسفة انفسهم في البحث عنه بغير جدوى حقا ٠٠ لقد تطور شعر القبانى خلال هذه السنوات من اغنية مطربة الى سيمفونية رائعة حافلة ٠٠

---

(١٥) الملحمة الكاملة في ديوان « اشعار قومية » من ص ١٠ ـ ٣٦ وفي ديوان المختار من الشعر الذي يصدره المجلس الاعلى للفنون الجزء الاول ٠

. ... .. ـان مطبوع يرددها بينه وبين نفسه ، لعل نفسه الطامحة تقنع بها ..

.. وانها لالحان بارعة لو قالها شاعر مثل كيتس او شللى ، او شاعر البحيرة لامرتين لاضيفت الى الحانهم الخالدة .. »[١٦]

★

والذى لست انساه ، كان قبيل وفاته في مايو سنة ١٩٦٧ بعد ان حصل على جائزة الدولة التقديرية في الاداب بفترة وجيزة ، اذ قيل لى ان المرض قد نقل عليه ، وان وعيه اوشك ان يغيب ، او هو قد غاب فعلا ، وذهبت لزيارته في منزله الذى انتقل اليه فى اعوامه الاخيرة بحلميه الزيتون من ضواحى القاهرة ..

واذن لى بالدخول ، وكان معى صديقى المرحوم الشاعر الشاب « السيد الشرنوبى » وما ان رأيت الرجل المهدود حتى سبقتنى ادمعى ، اشفاقا وحنوا على الرجل الذى منحنى من قوته ، قوة اتحدى بها الاقوياء

وعرفنى — لاول وهلة — وشد على يدى بيد ترتجف ، وتمتم بصوت خفيض يقطعه التهدج :

ايه يا عبدالعليم هذى هى الدنيا ..

واعجزنى الرد ، فقد احتبست كلماتى في فمى ولم استطع ان ابين ...

وكان هذا هو اخر عهدى به ،

ولما اصدرت ديوانى « بقايا سراب » بعد عامين من وفاته جعلت اهداءه الى روحه ، لعل في هذا الاهداء وفاء لبعض الدين الذى في عنقى لهذا المربى العظيم ، رحمه الله .

الاسكندرية

عبدالعليم القبانى

---

(١٦) دراسة ابي حديد لديوان بقايا سراب .



حول كتاب «مشكل إعراب القرآن»

حاتم صالح الضامن
كلية الاداب – الدراسات العليا

– الحلقة الثانية –

تناولت في العدد السابق من مجلة الكتاب الغراء الجزء الاول من هـذا الكتاب وبعد ان وصل الى الجزء الثانى من الاخ علامة الشام الاستاذ احمد راتب النفاخ بادرت بتقديم ملاحظاتى عليه استكمالا لما بدأت به ، علما بان الملاحظات العامة التى ذكرتها في القسم الاول تنطبق على هذا الجزء ايضا ، لذا سأكتفـى بالاشارة الى بعضها مع الايجاز ٠

ما سقط من الجزء الثانى

١ – ص ٦٧ س ٩ : بعد كلمة التابوت : (قوله : « في كتاب لايضل ربي ولا ينسى» (٥٢) : ما بعد كتاب صفة له من الجملتين و «ربي» في موضع نصب بحذف الخافض تقديره : لايضل الكتاب عن ربي ولا ينسى ٠ ويجوز أن يكـون «ربي» في موضع رفع ينفى عنه الضلال والنسيان ، وقد بينا هذه الآية في كتاب الهداية بأشبع من هذا) ٠

٢ – ١٢/١٥٧ بعد كلمة واحد : (نحو : خلق الله السموات) ٠

٣ – ٥/١٨٥ بعد كلمة الياء : (وهو القياس) ٠

٤ – ٣/٢٢٠ قبل حق النون : (قوله تعالى : يس) ٠

٥ – ٢/٢٤٠ بعد لفظ الجلاله : (وقال : « خالق كل شيء ») ٠

٦ – ١١/٢٧٦ بعد ما وصى : (او في موضع رفع على اضمار مبتدأ اى : هو ان أقيموا ٠ ويجوز ان تكون في موضع خفض على البدل من الهاء في « به » الاول او الثانى وفيه بعد من اجل ما يعود على ما) ٠

٧ – ١٢/٣٠٧ بعد كلمة هبة : (قوله : « قال آنفا » (١٦) نصبه على الحال اي : ماذا قال محمد مبتدئا لوعظه المتقدم يهزؤون بذلك ٠ ويجوز ان يكـون «آنفا» ظرفا اى : ماذا قال قبل هذا الوقت اى ماذا قال قبل خروجنا فهـو من الاستئناف) ٠

٨ – ١/٣٣٢ بعد كلمة اهتدى : (وفيه نظر لان افعل انما يكون بمعنى فاعـل اذا كان للمخبر عن نفسه) ٠

٩ ـ ١١/٣٤١ قبل : وقد افردت : (قال أبو محمد :)

المحقق والامانة العلمية

لم يلتزم المحقق الامانة العلمية اذ ترك كثيرا من زيادات (ت)دون الاشارة اليها علما بانه قد نص على اثباتها في مقدمته كما سلف ٠ وقد بلغت الزيادات التى لم يشر اليها في هذا الجزء في اكثر من تسعين موضعا واليك هذه النماذج القليلة علما بانى قد سجلت هذه الزيادات ولامانع من تزويد المحقق بها ان رغب ، كى يقف عليها :

ص ٣٤ س ٣ : (الذى اسرى بعبده) ٠
٣/٢٥ : (اى وكلاء) ٠
٥/٢٥ : (بمعنى يا ذرية من حملنا) ٠
٦/٢٥ : (وهو ابو عمرو بن العلاء) ٠
٢/٤١ : (اجر من احسن عملا) ٠
٤/٤٥ : (وما انسانيه الى الشيطان) ٠
٨٣ : السطران الثالث والرابع

المواضع التى خفيت عليه في كتاب سيبويه

ص ٤٧ قول سيبويه في الكتاب ٤٢٩/٢
٩٦ قول سيبويه في الكتاب ٢٧٥/١
١٣١ قول سيبويه في الكتاب ٤٨٤/١
٥/١٤٨ قول سيبويه في الكتاب ٤٧٩/١ (والصواب : الخليل لاكما وهم مكى)
١٨٥ قول سيبويه والخليل في الكتاب ٤٧٩/١
٢١٩ قول سيبويه في الكتاب ٤٣٤/١
٢٢٥ قول سيبويه في الكتاب ٤٥٥/١
٦/٢٣٧ قول سيبويه في الكتاب ٢٧٩/١
٩/٢٣٧ قول سيبويه في الكتاب ٤٧٠/١
٥/٢٤٥ قول سيبويه في الكتاب ٤٧٠/١
١٠/٢٤٦ قول سيبويه في الكتاب ١٤٥/٢
٢٥٩ قول سيبويه والخليل في الكتاب ١٨٧/١
٢٦٥ قول سيبويه في الكتاب ٨/١ ، ٣١٠
٢٦٧ قول سيبويه في الكتاب ٢٧٣/١
٢٧٣ قول سيبويه في الكتاب ٢٧٩/١
٢٩٦ قول سيبويه في الكتاب ٣٣٣/١
١١/٣١٩ قول سيبويه في الكتاب ٢٧٣/١
٣/٣٢٠ قول سيبويه في الكتاب ٣٨/١
٣/٣٦٨ قول سيبويه في الكتاب ٢٧٧/١ ـ ٧٨

٣٨٠/٩ قول الخليل وسيبويه في الكتاب ١/٤٠٧
٣٨١/٧ قول سيبويه في الكتاب ١/١٩٨
٣٩٢/٣ قول سيبويه في الكتاب ١/١٥٧
٣٩٥/٨ قول سيبويه في الكتاب ٢/٣٠ـ٣١
٣٩٩ قول سيبويه في الكتاب ١/٢٧٩
٤٠٥/٧ قول سيبويه في الكتاب ٢/١٧٠
٤١٥/٨ قول الخليل وسيبويه في الكتاب ١/٤٦٤
٤٢٩/٨ قول سيبويه في الكتاب ١/٤٥٤ـ٥٦
٤٦٠/١٣ قول سيبويه في الكتاب ١/١٥ـ١٦
٤٦٩/١٠ قول سيبويه في الكتاب ١/٤٥٥
٤٨١/١ قول سيبويه في الكتاب ١/٢٥٦
٥٠٣/٢ قول الخليل في الكتاب ١/٤٦٤

المواضع التى خفيت عليه في كتاب المقتضب

ص ١٠٨ قول المبرد في المقتضب ٢/٣٥٦
١٦٧ قول المبرد في المقتضب ٤/٣٩٠
٢٠٩/٩ قول المبرد في المقتضب ١/٢٦١
٢٦٥/١٢ قول المبرد في المقتضب ٣/١٦٧
٣٠٢/٨ قول المبرد في المقتضب ٣/٢٢١
٣٥٤/٤ قول المبرد في المقتضب ٣/٢٧
٣٦٨/٣ قول المبرد في المقتضب ٣/٢٦٠ و ٤/٣١٧

الاخطاء والاوهام والاستدراكات

٥/٨ : « فظلوافيه » : الضمير في « فظلوا » وفي « يعرجون» ..
وصواب العبارة كما هو ثابت في ثلاث نسخ : « فظلوا فيه يعرجون » .

٨/٧ : ركية جهنام : ضبطها بفتح الكاف . وفتح الجيم والهاء من جهنام . والصواب كسر الكاف من ركية وكسر الجيم والهاء من جهنام .
(ينظر : الصحاح (جهنم) والمعرب ١٥٥ والزينة في الكلمات الاسلامية ٢/٢١٢) . وهذا القول لرؤبة بن الحجاج كما رواه يونس .

٩/٣ : فاته ان القيسى في شواهد الايضاح ق ٥٤ نسب البيت الى عنترة ايضا (ينظر الايضاح العضدى ٢٤٥) .

١٨/٣ : قول ابى عبيدة في المجاز ١/٣٦٢ والاصل ان القول للكسائى فيما نقل القرطبى ١٠/١٢٦ وعليه عول ابو عبيدة . وقد فات المحقق كل ذلك .

٢٢/١٣ : والحنف الميل . وفى اربع نسخ : واصل الحنف الميل

٢٤/هامش ٣ : قال : في الاصل ابو عبيد ورجحت ما جاء في ح ، ظ ، ق . اقول : الصواب ان ما ورد في ظ هو ابو عبيد ايضا فتأمل !!

٢٦/٩ : الا تتخذوا . الصواب : الا يتخذوا . كما في سائر النسخ وكما نص عليه المؤلف .

٣/٣٥ : انتصب قرآن باضمار فعل يفسره «فرقناه» تقديره : وفرقناه .
وصواب العبارة كما هو ثابت في ست نسخ : .. تقديره : وفرقنا قرآنا فرقناه .

٩/٤١ كان يجب الاشارة الى ان كلام مكي عن العبقري والرفرف يعود الى الآية ٧٦ من سورة الرحمن وهي : « متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان » .
٤٤ : فاته ان قول أبي زيد في نوادره ص ٢٣٥ .
٨/٥٢ : (تجري من تحتها الانهار) . لم يشر الى ان هذه الآية وردت في سور كثيرة (ينظر المعجم المفهرس ٧١٩ ـ ٧٢٠) .
٦٠/هامش٦ : روى بيت الاخطل : ولقد ابيت من الفتاة بمنزل ..
اقول ورواية الديوان : ولقد اكون ..
١٢/٦٩ : دعته الى هابي التراب عقيم . ضبط (عقيم) بضم الميم والصواب كسر الميم . (ينظر الصحاح (هبا) واللسان (صرع) ومعجم شواهد العربية ١/٣٦٧) .
٧٢/هامش١ : الجزم قراءة غير ابن ذكوان . اقول لاموجب لهذه الملاحظة لان قراءة ابن ذكوان الرفع فواضح ان الجزم قراءة غيره .
١٤/٧٨ : كما قال ، تقول .. والصواب كما في سائر النسخ ومنها ح : قال (اى الفراء) كما تقول ..

٢/٧٩ : مثل «صنع الله » و «وعد الله » . اقول : لم يشر الى انهما آيتان فالاولى من الآية ٨٨ من سورة النمل والثانية من الآية ١٢٢ من سورة النساء والآية ٤ من يونس .. الخ
٧/٨٣ : على معنى : هو الحق وهذا الحق . وفي سائر النسخ : .. او هذا الحق
٩/٨٧ : قال بعض العلماء . اقول : هو ابو عبيد فيما نقل القرطبي في تفسيره ١١/٣٣٥ .
١/١٠٠ : والصافن عرق في مقدم رجل الفرس اذا ضرب عليه العرق رفع رجله اقول كلمة العرق زائدة والصواب كما في سائر النسخ : ... اذا ضرب عليه رفع رجله .
١٠٤/هامش ٤ : قال : السرداح الارض اللينة . واقول : انها الناقة الكثيرة اللحم ايضا كمافي الصحاح واللسان (سردح) .
٥/١٠٦ : تقول : خرج بثيابه وركب بسلاحه ، اى خرج لابسا ومتسلحا . والصواب : .. اى خرج لابسا وركب متسلحا .
١/١٠٨ : فاته ان القول للفراء في معاني القرآن ٢/٢٣٤ وعليه عول الجرمي والمبرد .

٧/١١٢ : ولم يجز عند سيبويه هذا الا في الشعر . وفي سائر النسخ : ولم يجز سيبويه هذا الا في الشعر .
٩/١١٩ : (ان لعنة الله) . اقول ان كلمة (لعنة) رسمت بالتاء في ثلاث نسخ

وهو موافق لخط المصحف الشريف فكيف سوغ لنفسه اثبات ما هـو مخالف لخط المصحف ؟

ومن المفيد ان اذكر هنا قول ابن الانباري كما نقله ابو عمرو الداني في المقنع ص ٨٠ : (قال ابن الانبارى : وكل ما في كتاب الله عزوجل من ذكر اللعنة فهو بالهاء الا في حرفين ، في آل عمران : «فنجعل لعنت الله على الكاذبين» وفي النور : «ان لعنت الله عليه») .

١٢٢/٥ : كان من الافضل الرجوع الى كتاب المعرب ٣٦٣ او شفاء الغليل ٢٣٩ لشرح كلمة المريق . ومن الضرورى هنا ان اشير الى الوهم الذى وقع فيه محقق البيان في غريب اعراب القرآن للانبارى اذ اثبتها في ٢/١٩٥ : المرنـق .

١٤٦/٦ : واجاز بعض النحويين . خفى عليه انه الفراء كما في معانى القـرآن ٢/٢٨٧ .

١٥٢/هامش ٢ قال : اختلف ترتيب الآيات ما بين النسخ فآثرت ترتيبها حسب ورودها في المصحف .

واقول : ليس من حقه ذلك خاصة ان جميع النسخ قد اتفقت على تقديم بعض الآيات وهذا ثابت في منهج المؤلف . وكل ما فى الامر ان الآية ٥٢ وردت في الاصل الذى اعتمد عليه بعد الآية ٨٧ . فهل يبرر هذا تغيير ترتيب سبع آيات ؟

١٥٣/٥ : (خير اما يشركون) . والآية كما هى في ت وسائر النسخ (آلله خير . .) فلا ادرى لم حذف لفظ الجلالة ؟!

١٦٣ : لم يخرج قول الطبرى الذى نقله مكى وهو في تفسيره (طبعة البابـى الحلبى) ٢٠/١٠٠ .

١٦٥/٧ : نسب مكى القول الى الفراء وتابعه المحقق اذ احال على معانى القرآن ٢/٣١٢ وفاتهما ان الفراء نقل هذا الرأى على انه لبعض النحويين .

١٧٧/٣ : لم يتنبه المحقق رغم رجوعه الى معانى القرآن ان التنوين بالرفع عند الفراء خاص بضرورة الشعر لا كما زعم مكى (ينظر معانى القرآن ٢/٣٢١)

١٨٠/١٢ : في سائر النسخ : ليظلوا لا ليظلن كما في (ت) .

١٨٣ : قول عكرمة في الكشف ٣/٤٩٣ وزاد المسير ٦/٣١٧ .

١٨٥ : خفى عليه قول يونس وهو فى الكتاب ١/٣١٦ .

٢٠٠/١٣ : (قوله تعالى : «غير ناظرين اناه») : حصره المحقق بين قوسين على انه من نسخة ح . وهذا ليس بصحيح البتة فقد ورد في (ت) : قولـه : «اناه» .

٢٠٧/٧ : اسم شجر بعينها . والصواب : اسم شجرة بعينها .

٢١٠/١٣ : خفى عليه قول المبرد وهو في الكامل ١٠٩٨ .

٢٢٨/هامش ١ : قال : ذرياتهم بالجمع قراءة نافع . ولم يخرج القراءة كما

لزم نفسه . واضيف انها قراءة نافع وابن عامر كما فى السبعة فـــي القراءات ٥٤٠ والتيسير ١٨٤ .

٩/٢٢٨ : فاته ان قول الزجاج انما هو قول الفراء في معانى القرآن ٣٧٩/٢ .

٧/٢٢٩ : لم يخرج قول ابى عبيدة وهو في مجاز القرآن ١٦٢/٢

٢٣١ : خرج قراءة عبدالله بن مسعود من البحر المحيط . وكان الافضل الرجوع الى كتاب المصاحف ففيه مصحف ابن مسعود من ص ٥٤ـص٧٣ .

٧/١٣٣ . وقد قرأ ابو بكر عن عاصم . وهم المحقق فترجم لابى بكر على انه ابن مجاهد (تنظر ص ٥٣٤ من هذا الجزء) .))

ولا ادرى كيف يروى متأخر عن متقدم فالمعروف ان عاصما توفى سنـــة ١٢٧ هـ ، اما ابو بكر بن مجاهد فقد توفي سنة ٣٢٠ هـ . والصواب ان ابا بكر هو شعبة بن عياش راوية عاصم ، توفى سنة ١٩٣هـ . (ينظر التيسير ٦ ، غاية النهاية ٣٢٥/١ ، النشر ١٥٦/١) .

٢/٢٨٤ : مخالف لخط المصحف المجتمع عليه . اقول وفي سائر النســـخ : المجمع عليه .

١٦/٢٥١ : في موضع نصب ورفع . والصواب : في موضع نصب او رفع .

٢٥٩ : خفي عليه ان ليونس رأيين في اعراب (وحده) كما في شرح المفصل ٦٣/٢ .

٣/٢٦٢ : قبل قرأ سقطت العبارة التالية : (قوله : حم) . وهي ثابتة في اربع نسخ منها (ك) التي اعتمد عليها فيما زعم .

١/٢٦٧ : فاته ان قول الفراء في معانى القرآن ١٠/٣

١/٢٦٩ : سورة السجدة . والصواب : حم السجدة كما هو ثابت في سبع نسخ منها (ح) وسورة السجدة مضت في ص ١٨٦ .

١٢/٢٧١ : احال على كتاب سيبويه ٤١/١ . وفاته ان هذا الرأى ورد ايضا في الكتاب ٤٩/١ و ٢٨/٢ .

١٣/٢٩١ : فاته ان قول الفراء في معانى القرآن ٤٢/٣

٢٩١/هامش ١ : قال : الكسر قراءة غير الكسائى . اقول : كان من الافضـــل لو بين لنا اسماء من قرأ بالكسر .

٣/٢٩٤ : فاته ان هذا الشاهد قد نسب الى عدى بن زيد في الكامل للمبرد ٤٨٩ والفتح الوهبى ١٣٧ .

١٢/٣٠٠ : (ان اعمل سابغات) . قال في الهامش : سورة سبأ الآيـــة ٣٤ . والصواب انها الآية الحادية عشرة .

١/٣٠٧ : خفى عليه قول يونس بن حبيب وهو في مجالس العلماء ٦٥ .

٦/٣٢٠ : خفى عليه قول الفراء وهو في معانى القرآن ٧٧/٣ .

٣٢٠/هامش ١ : قال : في هامش ح : قال الكشاف : نصب على الحال ، للتعرفة بالاضافة . والصواب : قال في الكشاف . ولو رجع الى الكشـــاف ٧/٤ لوجد فيه : لتعرفه بالاضافة .

٣٢٤/ : وقال محمد .. علق المحقق : لعله محمد بن يزيد المبرد .
اقول والذى اراه : وقال ابو محمد . وهو المؤلف نفسه .

٧/٣٢٨ : يجوز في مجنون في الكلام النصب . علق المحقق : اى في غير القرآن .
اقول : لا داعي لهذا التعليق فكلام المؤلف لايحتاج الى بيان ..

٣٣٠ : خرج قول الفراء في معانى القرآن وتفسير القرطبى . اقول لا حاجة الى الثانى مادام قد ذكر معانى القرآن . وكذا في الصفحات ٣٤٩ ، ٣٥٨ ، ٣٧٥ ..

٣/٣٣٢ : لم يذكر رقم الآية (وهو اعلم بكم) و (هو اعلم بمن اتقى) وهى الاية ٣٢ من سورة النجم .

٣٥٤ : لم يخرج قول قتادة بينما خرجه في ص ٣٦٤ .

٣٦٤ : ذكر مكى (ولهم عذاب مهين) على انها الآية الخامسة من سورة المجادلة والصواب : وللكافرين عذاب مهين) . فعلق المحقق : في الاصول : ولهم .. وهو تحريف للاية . اقول : فات المؤلف ان (ولهم عذاب مهين) آية قرآنية أيضا وهي ١٧٨ من آل عمران فالتبس الامر على مكي فذكرها على انها الآية ٥ من المجادلة وليس في الاية تحريف كما ذهب المحقق .

٥/٣٧٣ : ان تقولوا ما لاتفعلون . لم يشر المحقق الى انها كانت في الاصل : .. بما لا تفعلون . فأين الامانة العلمية يا ترى ؟

١٧/٣٨٠ : خفى عليه ان قول على بن سليمان في مغنى اللبيب ٣١٤ وهمع الهوامع ٤/٢ .

٥/٣٨٣ : لم يخرج قول ابى عبيدة وهو في مجاز القرآن ١٤٣/١ .

٧،٣/٣٩٠ : (ومريم ابنة عمران) . رسمها بالهاء بينما رسمت ابنت بالتاء في المصحف الشريف وهى كذلك في اكثر النسخ فكيف سوغ لنفسه مخالفة رسم المصحف . وكذا بالنسبة ل (امرأة نوح) فقد رسمت امرأت بالتاء في المصحف الشريف ولكنه اثبتها على خلاف ما فى المصحف دون اشارة . (ينظر المقنع ص ٧٨ ، ٨٢) .

١/٣٩٦ : واجاز سيبويه : الله لافعلن ، بالخفض . احال المحقق على الكتاب ٢٩٣/١ . وليس في هذا الموضع قولة سيبويه التى ذكرها مكى والصواب ١٤٤/٢

٤٢٩ : كان الافضل تخريج بيت عامر بن الطفيل في ديوانه ص ٥٦ . وكان من الضرورى ايضا التنبيه على ان (قتيل) رويت بالرفع والنصب والكسر .

١٨/٤٢٩ : فرغ . بفتح الفاء . والصواب كسرها .

٤٣٤ : سورة الانسان . كان من الضرورى ان يشير الى انها وردت فى نسخ اخرى : سورة هل اتى .

٢٢/٤٣٥ : قال : انظر امالى ابن الشجرى (طبعة حيدر اباد) . واقول : لا داعى لذكر الطبعة لانه ذكرها فى فهرس المصادر .

٣/٤٣٧ : لم يخرج بيت الفرزدق في ديوانه ٣٠٤/١ (طبعة صادر) .

٧/٤٣٩ : وسلسبيل اسم اعجمى • كان من الضرورى ان يرجع الى المعرب ٢٣٧ وكذا في ص ٤٤١ في استبرق •

١٧/٤٤٧ : اى تضمهم احياء على ظهرها وامواتا على بطنها
والصواب كما فى سائر النسخ : •• وامواتا في بطنها •

٤٦٢ : انزل الى الهامش ما ورد في ح وخمس نسخ اخرى والصواب اثباتها في المتن • وكذا في ص ٤٦٤ • فلا ادرى لم فضل رواية نسخة واحدة ناقصة على اتفاق ست نسخ تامة ؟ هذا لعمرى من اعجب العجب •

١/٤٦٦ : فملاقيه : رفع على اضمار فانت • وفي سائر النسخ :
رفع على اضمار : فانت ملاقيه •

١/٤٧٤ : او في موضع رفع على هم • الصواب كما في سائر النسخ : •• على اضمار هم •

٤٨١/هامش ١ : ذكر استغناء العرب عن ودع ووذر بترك •• وكان يجب ذكر ذلك عند ذكر مكى ذلك لاول مرة في الجزء الاول من كتابه •

٤٨٦ : أضاف الى المتن ثلاثة اسطر كانت في هامش الاصل فيجب انزالها الى الهامش مراعاة لاصول التحقيق العلمى •

١٣/٤٨٩ : لان الخبر وفائدته في التفرق • عبارة قلقة ولعل الواو زائدة هنا علما بان هذه العبارة انفردت بها (ت) •

١٦/٤٩٣ : قد تقدم الكلام فيها •• في الحاقة وفى الواقعة وفي القدر •
اقول : كان من الضرورى الاشارة الى هذه الايات وهى الاية ٣ من الحاقة والايتان ٢٧ ، ٤١ من الواقعة والاية ٢ من القدر •

٥١٠ : لم يذكر هنا رد ابى حيان على مكى في البحر المحيط ٥٢٨/٨ ـ ٢٩ كما الزم نفسه في المقدمة •

فهرس التراجم

لم يتبع المحقق منهجا علميا في تراجم الاعلام فاوجز فيما يحتاج الى ايضاح واسهب فيما يحتاج الى ايجاز وسأجمل ملاحظاتي فيما يلي :

١ ـ قدم المصادر المتأخرة واخر المتقدمة وفاته اعتماد المتأخر منها على المتقدم فمثلا : ذكر في ترجمة سيبويه : بغية الوعاة ومراتب النحويين • وفي ترجمة عيسى بن عمر : طبقات القراء ومراتب النحويين وهلم جرا ••

٢ ـ ذكر ثلاثة مصادر احيانا واكتفى بمصدر واحد احيانا اخرى • ففى ترجمة الحسن البصرى ذكر ثلاثة مصادر وفي ترجمة ابن مجاهد ذكر مصدرا واحدا •

٣ ـ اغفل سنة وفاة المترجم له احيانا لعدم اجهاد نفسه بالرجوع الى المصادر واليك هذه الامثلة :

ص ٥٣٩ . لم يذكر سنة وفاة الجرمى وهى ٢٢٥ هـ •

ص ٥٤٣ : ذكر سنة وفاة عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب في حين ترك سنة وفاة ابى بكر الصديق في ص ٥٣٥ ولم يحل على اى مصدر ومرد ذلك

جهله باسم ابى ابكر حتى يتتبع ترجمته ٠ وهو عبدالله بن عثمان وتوفى سنة ١٣ هـ (ينظر تاريخ الخلفاء للسيوطى ص٢٧ـ١٠٨)

ص ٥٤٦ : لم يذكر سنة وفاة ابى مجلز وهى سنة ١٠٦ هـ ٠ والغريب انه اعتمد في ترجمته على البحر المحيط والقاموس المحيط (جلز) واغفل كتب التراجم !!

ص ٥٤٨ : لم يذكر سنة وفاة قطرب وهى ٢٠٦ هـ ٠

٤ ـ نقل هوامش بعض المحققين دون الرجوع الى المصادر فوقع في اوهام كثيرة منها :

ص ٥٣٦ ٠ ترجمة حمزة بن حبيب : توفى سنة ١٨٨ هـ (طبقات القراء ١/٢٦١) اقول الصواب ١٥٦ هـ ٠ وليس في طبقات القراء انه توفى سنة ١٨٨ هـ كما زعم ٠

ص ٥٣٨ : سعيد بن مسعدة ٠٠ توفى سنة ١٨٩ هـ (طبقات القراء ١/٥٣٥) ٠ اقول : المشهور انه توفى سنة ٢١٥ هـ وقيل ٢١٠ وقيل ٢٢١ ٠ وقدوهم المحقق عند الاحالة على طبقات القراء فليس في هذا الموضع ترجمة للاخفش سعيد اولا ولم يترجم ابن الجزرى ـ فى علمى ـ للاخفش ثانيا ٠

ص ٥٤٢ : قال في ترجمة الاصمعى : توفي نحو سنة ٢١٠ هـ (انباه الرواة ٢/١٩٧) ٠

واقول : المشهور انه توفى سنة ٢١٦ هـ ثم ان القفطى ذكر نقلا عن ابى نعيم في كتابه تاريخ اصبهان انه توفى سنة ٢١٢ هـ وليس هناك ذكر لسنة ٢١٠ هـ البتة فتأمل !!

ص ٥٤٠ : قال في ترجمة ابن ابى اسحاق : اخذ عنه كبار النحاة كابى عمرو بن العلاء وعيسى الثقفى والاخفش ٠٠ (طبقات القراء ومراتب النحويين) ٠

واقول : اولا ـ لم يرد ذكر الاخفش في المصدرين المذكورين ٠

ثانيا ـ ان ذكره مجردا يعنى انه سعيد بن مسعدة ولم يأخذ عن ابن ابى اسحاق فيما نعلم ٠

ص ٥٤٥ : القاسم بن سلام : توفى سنة ٢١٤ هـ ٠ والصواب ٢٢٤ هـ ٠

ص ٥٤٩ :الزهرى : توفى سنة ٢٤ هـ ٠ والصواب ١٢٤ هـ ٠

ص ٥٥٠ : هارون بن موسى : ٠٠ وروى له البخارى ومسلم ، توفي نحو سنة ١٧٠ هـ (انباه الرواة ٣/٣٦١) ٠

اقول : ان المحقق لم يرجع الى انباه الرواة في هذه الترجمة فليس فيه (روى له البخارى ومسلم) اولا ولا (توفي نحو سنة ١٧٠ هـ) ثانيا ٠ وثبت لدى بما لا يقبل الشك انه نقل الهامش الذى كتبه عبدالسلام هارون في تحقيقه لكتاب سيبويه ٢/٣٩٩ حرفيا علما بان الاستاذ عبدالسلام هارون قد جانب الصواب هو الاخر حين احال على انباه الرواة فقط

٥ ـ اخطأ في ترجمة ثلاثة اعلام مشهورة هى :

ص ٥٤٠ : ابو عبدالرحمن السلمى : قال : عبدالله بن السائب صحابى قارىء اهل مكة روى القراءة عرضا عن ابى بن كعب وعمر بن الخطاب وعرض عليه القران مجاهد بن جبر وعبدالله بن كثير (طبقات القراء ١/٤١٩) .
والصواب : عبدالله بن حبيب الضرير مقرىء الكوفة ، توفى سنة ٧٤ هـ (ينظر : طبقات ابن سعد ٦/١٧٢ ، المعارف ٥٢٨ ، غاية النهاية ١/٤١٣ ، تهذيب التهذيب ٣/١٨٥ ..) .

ص ٥٤٧ : ابو قلابة : قال : محمد بن احمد بن ابى دارة مقرىء معروف (طبقات القراء ٢/٦٢) .
والصواب : عبدالله بن زيد الجرمى توفي سنة ١٠٤ هـ (ينظر : حلية الاولياء ٢/٢٨٢ ، ابن عساكر ٧/٤٢٦ ، تهذيب التهذيب ٥/٢٢٤ ..) .

ص ٥٤٨ : ابن ذكوان . قال : محمد بن سليمان ابن ذكوان البعلبكى المؤذن مقرىء معمر عالى السند توفي سنة ٣٥٤ هـ وقيل سنة ٣٦٠ هـ (طبقات القراء ٢/١٤٨) .
والصواب : عبدالله بن ذكوان القرشى المدنى فقيه اهل المدينة توفي سنة ١٣١ هـ (ينظر : الجرح والتعديل ٢/٢/٤٩ ، ابن عساكر ٧/٣٨٢ ، تذكرة الحفاظ ١/١٢٦ ، ميزان الاعتدال ٤/٥٢٦ ..) .

واخيرا فانه اغفل ترجمة ابى بكر شعبة بن عياش ولم يسرده في فهرس الاعلام كما سلف واغفل ترجمة معمر الذى ورد في ص ٢٢ من الجزء الثانى لجهله به . وهو معمر بن راشد الازدى ، روى كثيرا عن قتادة ، توفى سنة ١٥٣ هـ (ينظر : الجرح والتعديل ٤/١/٢٥٥ ، تهذيب التهذيب ١٠/٢٤٣ ، تذكرة الحفاظ ١/١٧٨ ..)

وثمة ملاحظة اخيرة غريبة اذ انه ترجم لنصر بن عاصم الليثى في ص ٥٥٠ وليس له ذكر في المشكل واحال على ص ٣٣٤ من الجزء الاول وفيه : وقد روى عن عاصم كسر الهمزة على فيعل . وقال المحقق في الهامش : هو نصر بن عاصم وترجم لعاصم على انه نصر بن عاصم فتأمل !! والحقيقة ان هذه القراءة ثابتة لعاصم كما في المحتسب ١/٢٦٥ .

فهرس المراجع والمصادر

١ ـ هناك مصادر ومراجع ادرجت في الفهرس دون ان يرجع اليها المحقق وهي :
بغية الملتمس
تاريخ آداب اللغة العربية
تاريخ الاسلام السياسى
تفسير المشكل في غريب القرآن (مخطوط)
جذوة المقتبس
الدر المصون (مخطوط)
ديوان عنترة
الذخيرة فى محاسن اهل الجزيرة

سير اعلام النبلاء (مخطوط)
علوم القرآن للسيوطي (لم اسمع به من قبل)
في اصول النحو
اللباب في تهذيب الانساب
مرآة الجنـــان
المصاحـــف
مطمح الانفس
المعجب في تلخيص اخبار المغرب
معجم المؤلفين
معرفة القراء الكبار
النجوم الزاهـــرة
نفح الطيـــب

٢ ـ اعتمد على طبعات قديمة غير محققة وترك الطبعات المحققة لهذه الكتب مثل : الاتقان ، املاء مامن به الرحمن ، ديوان حسان ، ديوان النابغة ، مغنى اللبيب ، مفتاح السعادة ، وفيات الاعيان ٠٠

٣ ـ وقع في بعض الاوهام عند نقله لاسماء الكتب مثل :
الابانة عن معانى القراءة ٠ والصواب : ٠٠ القراءات
امالي ابن الشجري ٠ والصواب كما هو مطبوع ٠ الامالي الشجرية ٠
طبقات القراء لابن الجزرى ٠ واسمه غاية النهاية في طبقات القراء ٠
طبقات ابن قاضى شهبة ٠ والصواب دفعا للبس : طبقات النحاة واللغويين لان ابن قاضى شهبة الف كتابا آخر اسمه طبقات الشافعية وهو مخطـوط ايضا ٠
معرفة القراء الكبار على الطبقات والامصار : تحقيق محمد احمد جاد المولى ٠ والصواب : ٠٠ على الطبقات والاعصار ٠ وتحقيق محمد سيد جاد الحق ٠

٤ ـ ذكر تفسير الطبرى طبعة محمود شاكر بينما نراه قد اعتمد على غيـــره اذ خرج قول الطبرى في سورة الصف ٢/٣٧٥ من الجزء الثامن والعشرين علما بأن طبعة شاكر بلغت الى الاية ٢٧ من سورة ابراهيم ٠

٥ ـ لم يعط وصفا كاملا للكتاب او المخطوط مع ذكر الاسم الكامل للمؤلف اضف الى ذلك انه ترك كثيرا من الكتب غفلا علما بانها قد طبعت اكثر من مـرة فمثلا : نزهة الالباء لابن الانبارى (كذا) ٠
ومعروف ان للنزهة عدة طبعات ، طبعت مرتين بمصر وثالثة بتحقيق ابـــى الفضل وطبعها الدكتور ابراهيم السامرائى مرتين وطبعها عطية عامر ايضا فعلى ايها اعتمد يا ترى ؟

٦ ـ وهم في ترتيب المصادر على الحروف الهجائية فقد ذكر مثلا : لسان العرب

قبل اللباب والمجيد قبل المجمل والمقتضب قبل مقاييس اللغة والمنصف قبل المقاييس وهلم جرا ..

★

وأخيرا فان الكتاب الذي نشر لا يمثل كتاب المشكل كما وضعه مكي ولعل اعتماد المحقق على نسخة ت اول الاسباب التى ادت الى تشويه كتاب مكى فقد تبين لى بعد الاحصاء ان عدد زيادات هذه النسخة التى انفردت بها اربت على التسعمائة اضف الى ذلك تغير العبارات واختلافها بين هذه النسخة وسائر النسخ .

وثمة امر اخر هو ان الاسراع والتسابق في نشر الكتب يوقع الناشر في اوهام واخطاء كثيرة وهذا ما حدث بالنسبة الى ناشر المشكل فلو تريث قليلا لما وقع في هذه الاخطاء الكثيرة التى تنم عن جهله باصول التحقيق العلمي وعسى ان يكلف مجمع دمشق من هم مظنة القدرة على التحقيق فقد كثر المتسلقة على هذه الصنعة .



نظرات في شعر السماوي

القسم الثاني

موسى راضي نصار
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

ظاهرة الحزن في شعره :ـ

العلاقة بين الفن وصاحبه علاقة قوية متينة تبرز من خلالها افكار الفنان ، كما يبدو سلوكه واضحا وجليا ٠٠ في اغلب مآثره الا ما ندر فالطابع الذي يتركه مرتسما على فنه هو الصفة المميزة له التي تجسم صور الاشياء التي تدور حوله وفي اطار بيئته على الاغلب فالكثير من الكتاب المحدثين استطاعوا ان ينفذوا من خلال دراساتهم لبعض رجال الفكر الى اعماق حياتهم الباطنية التي التمسوها من اثارهم الادبية وقد تم ذلك بفضل الدراسات النقدية الحديثةالتي قامت على اسس من المبادىء النفسية والتي سميت «بعلم الجمالالادبي» الذي ولد وترعرع في القرن التاسع عشر وقد كثرت الابحاث الادبية حوله والدراسات التي تتصل بعلم النفس في مطلع هذا القرن بين الكتاب العرب الذين تأثروا بالحضارة الغربية والذين وجدوا العلاقة بين الادب والنفس علاقة ظاهرة لاتحتاج الى اثبات كما عبر عنها احدهم ، هذا وقد وجد «فرويد» الرائد الاول لهذه الدراسات النفسية وصلتها بالادب فذكر ان الشعراء قد اكتشفوا اللا شعور قبل ان يكتشفهم هو نفسه ٠٠

وقد حاول الادباء العرب ان يرسموا معالم هذه العلاقة الجديدة وتحديد الاتجاه العلمي وعلاقته في قضايا الادب فظهرت بحوث في الادب وعلاقاته المختلفة في علم النفس الحديث فكانت دراسات ذات طابع نفسي تحليلي تربط حياة الاديب بأثره وتسلط الاضواء على بيئته التي انعكست في نفسه وهذه الدراسة هي التي اعطت الصفة العلمية المميزة في ميدان تاريخ الادب ونقده وتوثيق الصلة بين الفن والحياة ٠

وفي نهضتنا الادبية المعاصرة نجد المحاولات الجادة والكثيرة فيربط الفن بهذه الدراسات النفسية حيث ان الادباء العرب لمسوا هذه الحقيقة وادركوا هذه العلاقة وصلتها الوثيقة في تحقيق غايتهم لرفع فنهم الى مستوى الفنون العالمية التي تحكي واقع شعوبها فكانت الدراسات التحليلية للاديب المعاصر بصورة عامة وشخصيات الشعراء القدامى بصورة خاصة اعطت ثمارها ووثقت الصلة بين

الادب والنفس على اسس علمية تكاد أن تكون شبه ثابتة فكانت المحاولـــة الاولى التي فتحت هذا الاتجاه ورسمت معالمه ما كتبه العقاد في دراســـاته عن « ابن الرومى حياته - من شعره » ولكن الدكتور عز الدين اسماعيل الذى حـاول ان يشارك في دراساته في بناء صرح هذا التراث العلمى النفسى عزا الفضل كـل الفضل الى الدكتور طه حسين في لفت نظر الدارسين الى المنهج العلمى في دراسة الادب وقضاياه بعد ما كان تفكيرا انفعاليا · اكثر منه علميا ، وقـال في مقـدمة دراساته «التفسير النفسى للادب» : ان الدراسات النقدية المبكرة للعقاد وطــه حسين التى تناولا فيها شخصيات بعض الشعراء القدامى كانت تسترشد في فهم هذه الشخصيات ببعض الحقائق النفسية في رسم صور صادقة لهؤلاء الشعراء لكننا بنبغى ان نقرر ان هذه الدراسات المبكرة لم تصطنع منهجا معينا من التحليل محدود العالم ، ومن ثم ظل منهجا خاصا بها بحيث كانت دراسة كل شخصيـــة تمثل « تجربة » جديدة ينتفع بها في اطارها الخاص ولا يسهل الانتفاع بها خارجه حتى كتب العقاد كتابه عن « ابى نواس » عند ذلك بدأت معالم النهج تتضح اذ حاول المؤلف شرح شخصية هذا الشاعر في ضوء مجموعة من الحقائق النفسية والعلمية فانتهى الى ان ابانواس كان « نرجسيا » وان نرجسيته كانت شاذة وانه ولد ببعضها وساعدته الظروف على بعضها الاخر وهذا الكتاب خطوة تتقدم كتابه عن «ابن الرومى » فهو في هذا الكتاب الاخر كان يحدد معالم شخصيته وهو في « ابى نواس » يحلل طبيعة شخصيته وهو بعد ذلك تحليل لسيرة اكثر منه تحليلا لوقائع نفسية ··

ومن غير الممكن ان تجرد جميع ما كتبه العقاد في ابى نواس من التحليـــل النفسى ·· فحياة الشاعر عنده وسلوكه وانفعالاته ترتسم في شعره الذى يصبح في ما بعد ترجمة لحياته وقد قال هو نفسه في مقـــال له بمجموعة « ساعات بين الكتب » : انه لم نعرف حياة الشاعر من ديوانه فما هو بشـــاعر ولو كان له عشرات الدواوين » ·· وهى في طبيعة الحال محاولة جادة كاشفة لحياة الشاعر النفسية من خلال شعره الذى يضمنه نفحة من عواطفه وافكاره وقد لايحصل ذلك في عامة الشعر الا في الشعر الغنائي - على الاغلب الذى تبرز فيه انفعـــالات وخصائص الشاعر واضحة ·· اما بقية الشعر ، كالشعر التمثيلي والملحمـى فتختفى من ورائه حياة الشاعر وخصائصه الذاتية ·· والشاعر الذى ترتبـط حياته باثره هو الحس المتفاعل مع طبيعة الحياة واسرارها لان الشعر عاطفـة حساسة ترتسم عليها صور الاشياء الجميلة الباسمة والاخــرى المؤلمة القاتمة فالمعاناة التى تحيط الشاعر لابد أن تكون معبرة واقعه ·· فكل قصيدة لها نغمتها الخاصة اذا كانت في صورة الحزن ام الفرح التي تتفق وحالة الشاعر النفسية اما الشاعر الذي ينظم الشعر لمناسبة تقتضيها المجاملة - وما اكثرهـا في شعرنا النجفى - او لمصلحته الخاصة من اجل اكتساب الشهرة مثلا فلا يمكن الاستفادة من تجربته الذاتية لانها عاطفة كاذبة منحرفة عن واقعها ·· التى رسمت من اجله لا تعبر عن وجدانه ولا تنســـجم مع صورته النفســية الا اذا كان هنـــاك

صراع بين النفس والعاطفة التى لم تجد لها منفذا سوى هذه المناسبة التى تدفع الشاعر للتعبير عن حالات نفسية جالت في مخيلته وخرجت في مناسبة ما ، ولعل هذه الابيات لشاعرنا السماوى تمثل هذا الاتجاه الذى وجد الشاعر نفسه امام عاصفة هوجاء تريد ان تطفىء امله وتشتت اراءه فوقف مقيدا امام مراته القاتمة التى بعثت في نفسه هواجس المتشائمين الذين لم يروا في طبيعة الحياة الا ذلك الجانب المظلم الذي غلب عليه الحزن والاسى ، اما الجانب المشرق فيتركه الى المتطلعين الى هذه الحياة الباسمة تاركا لهم بضاعته التى تخبرهم بما كان يقتنى من ثراء

تملي على الحـادثات شؤونهـا ... والحادثـات احـق بالامـلاء
تنحل في ازجالهـا انشودتـى ... وتذوب في ابعادهـا آرائـى
وتركت للمتطلعيـن الى العـلا ... فيما تركت بضاعتى وثرائـى

فاذا نظرنا الى حياة السماوى الادبية من خلال شعره نجده قد ذهب مذهب الاستبطان الذاتى ، المذهب الذى يجمع بين التامل الفكرى الجاد والاحساس العاطفي عن خلجات نفسية وخواطر عاطفية صادقة فنجد شعره ممتلئا بعاطفة حادة فيها الكثير من الطموح الذى يريد تحقيقه في اطاره الاجتماعى ، كما انها ميالة الى الحزن والتشاؤم اكثر منها الى الابتسام والتفاؤل ، وهى ظاهرة تلف شعره في جميع ادواره واليك هذه الابيات من قصيدة له :

كم نفضت الغبار عن مرآتـى ... وتصفحتهـا فلم ار ذاتـى
غمرتها الاوهام حتى تلاشـت ... بين ماض مـن الخيـال وآت
فاستحالت والكون يغدق نـورا ... ظلمات تنشـق عـن ظلمـات
ليس هذا الوجود الا خيـالا ... باهت الظل خافت النبـرات
لست ادرى وللمشيئة حكـم ... يتهادى بالمحـو والاثبـات
غمرت جنبها الظنون فراحـت ... تتحدى اليقيـن بالشبهـات

صورة انطباعية تحكى واقع عقله الفلسفى الذى يرصد اجزاء الكون بتجربة ذاتية لحياته اليومية وما يحيط بها من سمات كونية هو جزء منها ولكنه لم ير لذاته اى وجود موضوعى يستحق البحث والتنقيب ، غمرتها الاوهام في ماضيها السحيق ومستقبلها الاتى القريب الذى ينشق عن ظلمات لم تعرف الذات حقيقة لها - انه خيال باهت الظل خافت النبرات ليس للعقل فيه اى حكم وانما الحكم للمشيئة الخفية التى تترامى وراء هذا العالم المترامى وقد يكون هذا الوجود الذى يتلاشى ويندك فيه ويصبح جزءا منه تذراه موجات الاثير هو مصدر حزنه ، فاستمع اليه فى هذه الابيات .

فتراه رغم الوجود خيـالا ... ماثلا بين يقظـة وسبـات
قد تلاشت ازجاله وتـوارى ... لحنه من وراء هذى الكـرات
قطـرة في عباب بحر خضـم ... تترامى او حلقة في فـلاة
افيجـدي اذا المشـاعر جفت ... ضفتاها يراعتـى ودواتـى

كيف يزهو ورد الخميلة مالـــم يك يمتص من جذور النبـــات
نتنت حولى الصـــروح فمـــا لى لا ارى لى فى الكون صرحا ناتـى
افاطمى وحوض دجلة حوضـــى والفرات العذب الروى فراتـــى
ان طفى شاعر اسلت يراعـــى او صبا ثائر شرعت قنانـــى
قد نطحت السحاب في ام راسـى واكتسحت الجبال في مسحاتـى
لست ارقـــى عرش الحقيقـــة مالم اتحدى الاجيـــال بالمعجـــزات
ما لقيثـــارة الحيـــاة ومـــالي فلقد طال حولها انصاتـــى
قد تعالى هتافهـــا ثم عـــادت بعـد لأى مبحوحـــة الاصـوات
جـــذبتنـــي شتى الاواصر حتـى وشجت حولهـــا جـذور نواتـي
لست ادرى وليتنى كنـــت ادرى ماليومـــى منها وما لغـــداتى
جمرات قد الهبـــت ما بنفســـى من شعور واخمدت جمراتـــى
من يرى هذه الكـــرات ومـــاذا يتوارى وراء هذى الكـــرات
تلك اجحيـــة الملاييـــن ممن زاحموا العقـل في من وهنات

في هذا الموقف تتجسد فكرة الوجود عند الشاعر وما تنطوى عليه من حركـة ونشاط تصدر عن علة وتنزع الى غاية فيقف متأملا في هذا الخضم ، يراقـــب نفسه على اعتبارها جزءا من هذا الوجود الذى ينتظم في تنسيق وترابط ؟! وما يمكن وراء تلك الظواهر الكونية من علل يقف امامها العقل واجما ويظل الشعور تائها فى خضم هذا الكون الذى هو اسمى من الفكر واسمى من الخيال .

وظل السماوى مخلصا لذاته محبا لها يفكر ويطيل التفكير باصلهـــا ، .. ومصيرها الذى يكتنفه الغموض .. انها قطرة كما يظن ترامت في بحر خضم او حلقة مفرغة فى صحراء مقفرة لا اثر لها ثم يرى حوله الصروح ناتئة تتجاذبهـــا طبيعة الحياة فلا يجد لذاته اثرا بينها ولا يجد لفكره منهلا يرتوي منه فتتجهم الحياة فى وجهه وتتلبد من حوله الغيوم في افق رحب يسبح فيه خياله رغم حقيقة وجوده الماثلة بين اليقظة القصيرة والسبات الابدي الذي تتلاشى فيـه الاصوات وتنحل فيه النواة وتتوارى فيه الحان الحياة .. انه الامل الضائع والحلقة المفقودة بينه وبين هذا العالم المترامى ..

ان هذه التجربة التى يمربها الشاعر تكاد ان تكون احساسا مستمرا نحو واقع الوجود الانسانى الذى يكتنفه الغموض في اطار هذا الكون الذى هو مصدر الحزن والالم والضياع لاعند الشاعر فحسب بل شمل الفكر الانسانى ـ العقلى منه والفنى ـ منذ اقدم العصور وفي عصرنا هذا .. وقف منه الفلاسفـــة والمفكرون مواقف متعددة متباعدة ولا تزال هذه الظواهر عند الشعراء مصـــدر البؤس والشقاء وقد تكون من سمات شعر السماوى مع ايمانه العميق في النعيم الابدى وما تصير اليه الروح في الحياة الاخرى .

وقد تكون لهـــذه الصور القاتمة اسباب وبواعث ودواع ترتبط ارتباطا وثيقا في الوسط الاجتماعى الذى يعيشه الشاعر ضمن تلك البواعث لهـــذه الظاهرة الحزينة ..

١ ـ التصوير الذاتي الذي يعكس صور الحياة مشوهة قاتمة يولد في بعض الاحيان مع افكار الشاعر التى تكتسب النزعة الحزينة من جراء عوامل نفسية مؤثرة تسيطر على مشاعره وتؤثر بصورة مباشرة وغير مباشرة في انتاجه الادبى فتأخذ العاطفة الشعرية صفة ذلك الانفعال لتخرج وهى مرتبطة بوحدة موسيقية منبعثة عن خوالج نفسية معينة تغمرها نقمة حزينة مسيطرة على شعوره واحساسه الداخلى هذا ينتج في اغلب الاحيان من الوضع العام للحياة الاجتماعية التى تغلب عليها طابع الحزن والالم ، وهو ما نجده واضحا كل الوضوح في البيئة النجفية التى تستبطن الحزن في جميع صوره كما يشمل نواديها الادبية و احتفالاتها الخاصة والعامة حتى ولو كانت بمظهر الفرح فان الصور القاتمة تطل من وراء الابتهاج ما دامت هناك عوامل البيئة المؤثرة التى تتحكم في نوازعها ..

ومصدر تلك الظاهرة وبواعثها له عدة اسباب ترتبط ارتباطا مباشرا في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية وفقدان القدرة على مواجهتها بجميع ابعادها .. منها ..

أ ـ رداءة الحالة الاقتصادية والحياة التقشفية التى كانت تعيشها الطبقة الفكرية في النجف .

ب ـ السلوكية المتعنتة التى يفرضها واقع الحياة الاجتماعى وما تنطوى عليه من عوامل نفسية مؤثرة تركت انطباعا سيئا في المفهوم الخاص لانتاجهم الادبى .

جـ ـ الاحوال الصحية المتردية وسوء التغذية لقلة مواردهم الاقتصادية والفقر المدقع الذي نشأ معهم . وقد زخر به شعرهم

د ـ المناخ الصحراوى والطقس الملتهب الذى يبعث السأم في النفوس في اغلب الاحيان .

هـ ـ ظاهرة دفن الموتى ـ لما يؤم النجف في كل يوم العشرات من المفجوعين والمشيعين لموتاهم ، لدفنهم في المقبرة التي تحيط البلد وتعد من أهم مقابر المسلمين كما تنتشر فى داخله مقابر خاصة للذوات منهم فيختلط عالم الاموات بعالم الاحياء فلا يجد المتنزه امامه من البهجة والانشراح ـ عندما يخرج من بيته الصغير المتواضع الذى استوطن الفقر في زواياه واستبطن رفات الاجداد في ثراه الا تلك المقبرة المترامية الاطراف فهى كانت ولا تزال محلا لتسليتهم لقلة المتنزهات في البلد والذى يهون الخطب ويخفف من جدة الانفعال النفسى ما يحفظ من المأثور «اذا ضاقت الصدور فعليكم بزيارة القبور» وفي ذلك يجدون نوعا من الاطمئنان النفسى لما تعكسه على شعورهم تلك « الايدلوجية » الغيبية التى تتصدر حياتهم فهذه العوامل هى مبعث الحزن والصفة المميزة للبيئة النجفية في اغلب صورها وروابطها الاقتصادية وحياتها الدينية وفى الشعر النجفى الكثير من الوصف الدقيق لما تمليه عليهم بيئتهم من واقع بائس بعيدا عن مجرى الحياة المتطورة وقد نجد في شعر السماوى لذعات النقد لتلك الحياة .

قد كلس القوم نواويسهم ... واوقدوا فيها المصابيحا
وابرزوها كالدمى صورة ... يزيدها الابهام توضيحا

عباقة الظاهـر لو لم تكـــن احشاؤها منتنـة ريحــا
فليتهم قد مـلأوا كرشهـا السـاغب تهليـلا وتسبيحـا

فلا بد ·· للشاعر ككائن حي يدرك ادراكا حسيا لما يقع تحت نظره من صور يجسم فيها شعوره ويوقظ بها احساسه لما تبعثه من سأم وتعاسة في نفسه كما انها تلازم حياته مادام يعيش في بيئة ترتبط بذلك الشكل المعتم الذى تظهر فيه اشباح مرهقة وتوتر نفسى واجتماعى واختناقات مضنية تواجهها القيم الاخلاقية في الاسر النجفية من جراء احلامهم المبعثرة واما لهم المنبعثة عن انطوائية قاتلة ·

وقد غلبت على البيئة النجفية تلك الصفات واصبحت جزءا من طبيعتهـا القائمة على مركزها الدينى الذى هو مصدر اشعاع منذ الف عام فلا يسمـح بطبيعته لاى تطور فكرى خارج على المفهوم الاجتماعى الذى يرعاه فكر اسلامـى متأصل وبما ان الادب وليد بيئة وظروف معينـة فلا بد وان ينشأ ويتكيف وفق ذلك المناخ الذى تخالطه الطقوس الدينية وتتصاعد في اوساطه زفرات الحـزن التقليدى الذى يولد مع الزمن بولادة الطبقات الاجتماعية فلا بد والحال هذه ان يفقد الادب عناصر الفكر الموضوعى والاحساس بالجمال لان العاطفة الشعريـة يختفى من ورائها الذوق الذى يبعث الصورة الفنية ذات التأثير المرصود مـن قبل الشاعر وقد ظهرت عاطفة شاعرنا السماوى بحشد كبير من تلك الصـور الحزينة التى نجدها فى هذه الابيات :

لم ازل والحياة تغـلي طموحـا واضعا جبتى عـلى مقلاتـى
ليس في جامـة المصـور نقص ان نقص التصوير في العدسـات
كم ملاك ظام وكم في خـلال المـاء من ضفدع ومـن سلحفـاة
لست ادرى والصبح يرفض نورا اسرورى بالصبح ام مأساتـى
مخرت في عباب بحـر خضـم طافـح الضفتـين بالآفـات
لتمير الافاق شرقـا وغربـا وتـدك السدود والعقبـات

فالهوة اذن عميقة بين الادب النجفى والمفهوم العام للادب الحديث الـذى ينفتح على ابعاد تجريبية مصيرية كما ان الرحلة معه شاقة وطويلة ، رحلة الى اعماق الحياة ، رحلة لاتراها العيون لانها في دهاليز معتمة تسكنها الموتـى وتتصاعد بجوارها زفرات الاحياء فالعيون بعيدة عنها ولكن النفوس التى تعيش في ظلامها قاب قوسين منها او ادنى ·

٢ ـ الحزن التقليدي : وهـو الاطار المأساوي الذي تتجسد في داخلـه الصورة الحزينة المؤلمة المنبعثة مع الخطوط الاولى للفكر العاطفي الشيعي الـذي أخذ شكلا قائما ميزه عن غيره وقد لا يقتصر هـذا الحزن على فئـة معينة أو فن دون اخر فهو ظاهرة طبيعية من ظواهر الكائنات الحية وقد ينشأ منذ الولادة ولكنه على شكل صراخ وقد خص من قبل الباحثين في علم النفس بدراسة وافية سميت ب « صدمة الميلاد » ويقول «كنت» انه صيحة الغضب على كارثة الميـلاد ويرى «فرويد» ان كل ما يلحق بالمرء فيما بعد من قلق وجزع نفسانى ليس الا صدى ضعيف للصدمة الاولى ·· وقال « ابن الرومى » في ذلك :

لما توذن الدنيا به من صروفها　　　يكون بكاء الطفل ساعة يولد

وقد لا نسرف في القول ، اذ نقول بان ظاهرة الحزن في ادبنا المعاصر قد تكون طارئة وافدة عليه ، أجنبية ، في طبعها وطبيعتها اذ لا نجد هذه النغمة الحزينة التي ملات جميع الفنون الادبية المعاصرة في ادبنا العربي ماعدا المراثي التي تكاد ان تكون عاطفة فردية صادرة عن الاحساس بالالام لم تشمل الموقف العام لطبيعة الادب العربي اما المعاناة التي تصدر عن الشاعر المعاصر فتبدو لنا وكانها غمامة سوداء تمر في افق ابلج لما يحمله الشاعر المعاصر من احساس بالم البؤس وعوامل الشقاء في حدود ذاته الفردية التي لم تفرضها عليه طبيعة حياته العربية او واقع انساني متميز ، وانما هي ظاهرة تميز فيها الاديب العربي لما تعرضه عليه حضارته ومساوىء التطور المادى الذى تقمص الشخصية الغربية وطغى على روحها كما ان الشكوى في ـ الضياع والتمزق ـ التى حملها الاتجاه الرومانتيكي الذى عم الاداب الغربية وتأثر بها الادب العربى من جراء الترجمة والبعثات العلمية وقد حمل اكثرها ادباء المهاجر «الامريكية» في حنينهم الى الوطن الذي جاء في شعر رشيد ايوب وميخائيل نعيمة وابى ماضي وقد مثل ابو ماضي الدور الكبير في توثيق الصلة بين الكابة التى تأثر بها والحنين الى الوطن كما ربط بين المؤثرات الغربية التى تكيف بها والعناصر العربية التى نشأ عليها وقد افردنا لذلك موضوعا خاصا تحت عنوان «السماوي وايليا فوق اثباج الطبيعة» وليس من الصواب ان نعتبر ظاهرة الحزن التى احاطت الشعر النجفى اثرا من اثار الحضارة المادية التى اثرت في الشعر العربى المعاصر واحاطته بحشد من التجارب الحزينة التي جعلته لايرى الاشياء الا بمنظار قاتم وقد ذكر النقاد المحدثون اسباب ذلك وبواعثه كما اننا لا ننكر الصلة الوثيقة بين الادب النجفى و الادب المهجرى ومدى تاثر الادب النجفى به الا ان الادب النجفي تأطر منذ القدم باطار التجربة الحزينة وربط في بيئته برباط مقدس نبع من حياتهم الخاصة التى يحيونها ـ كما مر بك ـ لما حل بهم من نكبات ومحن وما يتجدد من ذكرى استشهاد الحسين عليه السلام واهل بيته تلك الكارثة الكبرى التى ادمت قلوبهم واسالت دموعهم وجعلت من عواطفهم مصدراً للحزن ظهر في اغلب مناسباتهم بعاطفة صادقة برزت من ورائها صور الحزن التقليدى الذى عم مدحهم ورثاءهم لاهل البيت (ع) تمسكا بقولهم (ع) نحن قوم اعيادنا مآتمنا وهذه النغمة العميقة تجدها في مدحهم الذي يتجه بعد ذلك نحو الرثاء فالشاعر النجفى لا يحفل بغير تلك الروح التى تلازمه في جميع مناسباته وقد تكون مصدرا لبث ما يتصارع بنفسه من افكار سياسية او اجتماعية فلا يرى متنفسا غير تلك المناسبات الدينية .

وقد ظهر ذلك في اغلب شعر العلامة السماوي ومن قصيدة له في رثاء الحسين (ع) :

لمن النواهد لا برحن نواهدا　　　يفنى الزمان ولا تزال رواكدا

طفقت تصعد في الفضاء كانها　　　اتخذت بآفاق السماء قواعدا

نتئت على هـام القرون فخلتها في مبسم الدهر الجديد نواجدا
ومشت لتحيى الفرقدين فاطلعت بالرغم من وضح النهار فراقدا

الى ان يقول فيها :

فاجبس يراعك ما استطعت فانه اضحى يسيل لنا شعورا جامدا
فيروح يبسطها يدا مشلولة ويظل يوقدها سراجا خامدا
لم لا نسير كما تشاء لنا العلى صفا يشق طريقه متساندا
ما ضرنا والمجد مجد واحد لو كان هذا الشعب شعبا واحدا
قد وزعوه عوائلا وقبائلا وتجاذبوه ازمة ومقاودا
عقمت مساعيها ويالك امة أضحى الطريق امامها متباعدا
فطفقت انضجها حصاة لم تزل صما واضربها حديدا باردا
جذاء تدفعها الخطوب وطالما احتبكت فكانت اذرعا وسواعدا
اودى بها جشع الطباع فقدمت للدهر اشلاء الكرام موائدا
فكم استحلت من دم زاك وكم جزرت بمأدبة الطفوف اماجدا

★ ★ ★

هذا ابي الضيم اصحر مرقلا يطأ الطريق جنادلا وجلامدا
جلى فاما ان يعيش مهيمنا فوق الحوادث او يموت مجاهدا
فاقتادهن اعنة واسنة واجتازهن سباسبا وفدافدا
حتى تغشته الصوارم فانحنت تردى عليه بوارقا ورواعدا
ايها ابا الشهداء لست مرزءا فأقول صبرا او اقول مجالدا
وقفت بموكبك الحياة وسجلت لك في جبين الدهر رمزا خالدا
وتنهدت لك عن غرام صامت لما راتك الى المنية ناهدا
ضلت مقاييس العقول ولم تزل ما بين امواج الحقيقة صامدا
بسمت لمطلعها فكنت لها فما وهوت لمصرعها فكنت لها فدى

هذا ولم ينفرد السماوى في مدح ورثاء اهل البيت (ع) ولم يات بالشىء الجديد لان المدح والرثاء قد سبقاه باعوام طوال .. وقد ملء ديوان الشعر العربى القديم منه والحديث فكانت العاطفة المشبوبة بروح الثورة تجول في اذهان الشعراء لتخرج جريحة تعج في لواعج الاحزان معبرة عن واقع مظلم وحق مضاع وقد مثل الدور الاول لتلك العاطفة المشبوبة ـ اذا استثنينا الفرزدق ، وقصيدته الميمية المشهورة ـ الكميت الاسدى شاعر اهل البيت الذى وجد فيهم الصورة الناطقة للمثل العليا المقدسة التى تحتمى في ظلها جميع الفرق الاسلامية فاوقف نفسه على مدحهم وهجاء اعدائهم وقصائده الهاشميات معروفة في ذلك ومن قصيدته البائية هذه الابيات :

طربت وما شوقا الى البيض اطرب ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب
ولكن الى اهل الفضائل والنهى وخير بنى حواء والخير يطلب

الى النفر البيض الـــذين بحبهم الى الله فيما نابنى اتقـــرب
بنى هاشم رهط النبى فانني بهم ولهم ارضى مرارا واغضـــب

الى ان يقول فيها :

يشيرون بالايدى الى وقولهـــم : الاخاب هـذا والمشـيرون اخيب
فطائفة قد كفرتنى بحبهـــم وطائفة قالت مسيىء ومذنـــب
فما ساءنى تكفير هاتيك منهـــم ولا عيب هاتيك التى هى اعيـب

هذه عاطفة نابعة بالحب والولاء تفيض بالمودة والاخلاص لاهل البيت عليهم السلام .. واذا تخطينا مع الادب الشيعي الى الفترة التى نشط فيها واخــذ بالظهور والتطور في أواخر الدولة الاموية وأوائل الدولة العباسية نجـده وقـد اخذت به روح الثورة وتبلورت على صعيده الاراء السياسية وقد تزعم هذه الفترة لسيد الحميري الذي مدح ورثى اهل البيت (ع) واكثر في ذلك حتى كاد ان يكون شعره صورة ناطقة لحياة الامام علي عليه السلام ومواقفه ومناقبه ومن قوله في بداية الدولة العباسية :

دونكموها يا بنـــى هاشـــم فجددوا من عهدهـا الدارســـا
دونكموهـــا فالبسوا تاجهـــا لاتعدموا منكم لـــه لابســـا

حتى اذا اشرف القـرن الثاني نلتقي بمجموعة كبـيرة من الشعراء الذين اوقفوا ادبهم على مدح ورثاء اهل البيت ، وظهرت العقيدة الشيعية بارزة فـــي شعرهم وقد مثل هذا الدور شاعر العقيدة دعبل الخزاعى (رض) الذى ناضل وجاهد في سبيل الحق والعدل واظهر المعارضة لبنى العباس الذى انحرفوا عن الدعوة العلوية ــ وتنكروا لبنى هاشم والتى جاءت الدعوة مقرونة بهم لما لهم من الحق والافضلية ولقربهم من الرسول (ص) فعاش وهو يناضل في سبيل العقيدة يندب حزنا ويرثى هجاء وفي ذلك يقول :ــ

ارى امية معذورين ان قتلـــوا ولا ارى لبنى العباس من عـــذر
قتل واسر وتحريـــق ومنهبـــة فعل الغزاة بأرض الروم والخـــزر

وله قصيدته التائية المشهورة .

مدارس آيـات خلت من تـــلاوة ومنزل وحى مقفـــر العـــرصات

وقد انطبع هذا الادب بطابع الحزن في اغلب عصوره ويطول بنا المقام اذا اسهبنا في العرض ونجده وقد سيطرت عليه عناصر تعبيرية مؤلمة وصور فنية تتجاذبها تجارب مثقلة بالحزن تحمل دلالات وظواهر نفسية مرتبطة بموقـــف خاص تربما اكتسبه الشاعر من عامل وراثى او تأثير ثقافي معين .

٣ ــ الوعى القومى : وهو الشعور بالمسؤولية تجاه الامة واهدافها فالامـة التى ترتفع الى قمة المجد في ماضيها وحاضرها وتضمن مصيرها في قوتها ومنعتها ومقومات الحياة فيها تجف وتتلاشى المسؤولية عند الفرد فيها وتقع على الامـــة نفسها . تلك المسؤولية بالذات ــ اما في حالة تدهورها وانحطاطها لاسيما بعـد منعتها وقوتها تتضاعف مسؤولية الفرد تجاهها وتتضخم فتنبعث عند ذلك الروح القومية في نفسه لتشعره بالمسؤولية التى تنتظره باشكالها مادام ينتمى الى امة لها

كيانها واصالتها بين الامم فالامة التي لم يحتضنها ابناؤها لايمكن لها الحصول على مكان لائق له اثره بين الامم وقد حفلت الامة العربية بنهضة قومية متطورة وايمان عميق من قبل ابنائها لانها تحمل في اعماق مجدها رسالة خالدة في شرف واعتزاز بماضيها وحاضرها وفى عهد النهضة وبداية الفكر العربى المتطور حملت تلك المسؤولية في نشر المفاهيم التحررية المتطورة بين افراد المجتمع فعم الشعور جميع الاقطار واخذت تظهر بوادر الوعى القومى المتحرر الذى انتشر في اوساط المثقفين والمدركين لواقع امتهم وقد اكتسب ذلك التفكير في مفهومه العاطفي الخاص صفة الحزن من جراء تجربة اليمة مرت بها الامة العربية التى عانت انواع الاستبداد وضعف الارادة بسبب التجزءة والكوارث والنكبات التى حلت بها على ايدى المستعمرين كل تلك المعاناة المؤلمة اوجدت شعورا قوميا خالطته عواطف حزينة ظهرت في اداب النهضة الفكرية الحديثة وقد استفاضت هذه النغمة حتى اصبحت من سمات الشعر العربى الحديث وقد تجدها واضحة في هذه القصيدة « دع الدهر يجرى » من قصائد السماوى الوطنية ونختطف منها هذه الابيات ..

هو الدهر ايامه كالنجوم	فهذا تجلى وهذا افل
فيوم ترانا ملوك البلاد	لنا مشرقاها ويوم خول
فليت لنا عاهلا واحدا	ويالتينا دولة لا دول
وراءك عنى رسول السلام	وخلفك فالخطب خطب جلل
فللسلم ما يكدح الطامعون	وللسيف ما السيف فيه انتصل
وراءك عنى فلا مرحبا	بما جئت فيه ولا حيهل
اتمسح رأسى يد الفاتحين	واقنع في ان يقال استقل
دع الدهر يجرى كعاداته	فليس يخاف الغريق البلل
تهاوت دعائم هني الصروح	وساخت معالم هذا الطلل
ارى نصب عينى قومى تساق	الى سعفات المقام الاذل
تدور عليهم رحى الحادثات	فهلا اصاب الزمان العطل
فماذا اقل على متنه	من المخزيات وماذا حمل
ففيما اعلل نفسى وما	اجيب لعمر العلا من سأل
اتسفح ناصيتى عندها	واحسب انى الاعز الاجل
فكم نستدر ضروع الوئام	ولا نستدر ضروع الاسل
وقالوا السياسة سر النجاح	وهل في السياسة غير الدجل
انبقى نعد ليوم الكفاح	فوآد الجبان وكف الاشل
الا يقظة بعد طول السبات	الا صرخة من صميم الازل
الا شعلة من خلال الظلام	ترينا ظلام الخلايا شعل
الا بطل من بنيها الكرام	فقد عدمت من بنيها البطل

وفي الشعر النجفى الكثير من الشواهد على ادراك المأساة التى مرت بها الامه والتجاوب الروحى والفكرى الذى حدث بينها وبين بعض الاقطار العربية وتجسيد ذلك باحساس متفاعل مع واقعها كما حدث للشرقى الذى اعطى تلك

الصورة صلة اللوعة والتقديس على اثر الكارثة التي قام بها المستعمرون في القطر العربي السوري اذ قال :

لبنان وعشرون صليبا لنـــا   اذا النصارى افتخرت في صليـــب

هذه اصداء مؤلمة يبعثها الوعي القومي ويعكسها الشاعر النجفي على مسرح الادب العربي ليربط بينها وبين قصة السيد المسيح برباط مقدس لمبعثه الحزن والافتخار بما حدث للامة العربية من جهاد لان قصة المسيح عليه السلام كانت ولم تزل مبعث الحزن عند الشاعر الاوربي .. فالشاعر الشرقي في قمة المجد والافتخار بما قدمته الامة العربية من تضحية كما ادرك المأساة المؤلمة الحزينة بكل ابعادها فلا غرابة اذن ما يحدث للشعر العربي في الوقت الحاضر من صفات الحزن مادام الشعب يعيش كارثته الكبرى وقضيته المؤلمة « فلسطين » وقد اصبحت مبعث الحزن والتأثر في شعرنا المعاصر على الاطلاق ومنه الشعر النجفي الذى زاده حزنا على احزانه فلست مبالغا ان قلت : ما من شاعر نجفي عايش القضية الفلسطينية في شتى مراحلها الا وله مجموعة من القصائد تحكى صورة المأساة التى مرت بها الامة وقد قام الشاب الاديب الشيخ محمد حسين الصغير بجمع قسم منها في كتابه « فلسطين في الشعر النجفي المعاصر » فالتجربة الحزينة التى غمرت العاطفة تكاد ان تكون شاملة قد استوعبت قصة الفكر العربي باكمله مثلما شملت القوى المدافعة عن كرامتها ، فالامة التى تمتلك الثراء الذى يفوق عددها هو الكفيل بالعدة والتفوق التكنولوجي الذى تسعى اليه الامم والتى تريد ان تحتفظ بكيانها وكرامتها بين الامم فبقاء القوى الفكرية العاملة والاراء الحرة المتبلورة منوط ببقاء القوى المادية والتكنولوجية فلا يمكن ان يبنى فكر ويشيد مجد بدون مادة ولا تستقيم مادة بدون فكر فهما توامان لم يفترقا فالنكبة التى اصابت القوى المدافعة عن كرامة الامة اصابت الفكر بالصميم فخرج من ميدان المعركة دامي القلب كسير الجناحين ينشد بلسم ماضيه ليضمد جراحه النازفة .. واليك هذه الابيات من الشعر النجفي الجريح الذي واكب حزيران بعاطفة عاتية ونقمة مفعمة بالالام للشاعر الكبير السيد مصطفى جمال الدين بعنوان « للثأر والفداء » ومطلعها

لملم جراحك واعصف ايها الثـــار   ما بعد عار حزيران لنـا عـــار

الى ان يقول فيها :

فان فنينا ولم نفلح فــان لنـــا   رملا يهــب به للحقد اعصــار
انا لمن امة تاريـــخ ثورتهـــا   يقول : حتى الصخور الصم ثـوار
خضنا الوغى وامتلكناها فما ارتعدت   ارض فتحنا ولا اقوى لنا جـار
وحين دارت بنا الايام دورتهـــا   واستعمرتنا طواغيـت واشرار :
ما نام ظالمنا الا على حســـك   ولا تنبـه الا وهـــو منهـــار

ولكن هذه الجراح النازفة لم تقتصر على حزيران وحــده بل كانت قبل حزيران باعوام تنزف ولم تلتئم وفي سنة ١٩٤٨ صور السماوى ذلك في شعره عند انخذال الجيوش العربية في جولتها ..

لست ادرى اى جاميــك احــب   افجام الراح ام جام الغلـــب

وابنة الفتح تناجيـــك عـلى | شاطىء الامال ام بنت العنب
ان للنفـس دواع للاسـى | تترامى ودواع للطـرب
كرعت في الدهر حتى استنزفت | بحره الزاخر موجا وصخب
فلهي للصبـح جمـالا وسنا | وهي لليل جلالا ورهب
كم لها من لعنات في الدجـى | ولها من صلـوات وقـرب

الى ان يقول :

ازف الوقـت ولامـن عاهـل | كلما در له الضرع حلـب
وتعالى لجب الدهـر ومـا | منى الدهر بجيش ذى لجـب
ليتنا لم نفتح القدس ولـم | نك من قبل فلسطـين عرب
مالنا والقـوم في اصقاعنـا | نملا الافق دخـانا ولهـب
اوقدوا النار ومـن اشلائنـا | قد غمرناها بجزل وحـطب
ملاوا نفسـك خوفا بعدمـا | ملاوا كرشك جوعـا وسغب

ويقول منها ايضا :

لست ادرى وسـواء بعدمـا | كتب الدهر علينا ما كتـب
اهزار الفتـح بالفتـح شدا | ام غراب البـين بالبين نعـب
واذا الامة جاشـت وطغـا | زبد الدهـر عليها ورسب ..
فلهـا بالنصر مهمـا ضعفت | امـل امـا استفزتـه وثـب
فمتى مـا احسن الدهـر اسا | ومتى ما امتلا الجام سكـب
هل لنا فيمـا ترى مـن وحدة | تعصم الراى اذا الراى اضطرب
اننا رهن الحـزازات التـى | قلبت عرش علانا فانقلـب

وقد شاركت النجف بكل قواها الفكرية والمادية وطاقاتها المعنوية وعلى جميع المستويات الامة العربية بالامها واما لها فهى دائما رائدة الفكر الحر في كل الميادين وفي الطليعة لمساعدة حركات التحرر في الوطن العربى ومساهمتها الفعالة في بناء صرح الوطن وتوجيه الرأى العام نحو الفكر الدينى والوعى القومى لانها تتميز بمركزها الدينى الضخم وفكرها العربى المتأصل وتاريخها الوطنى المشرق الذى حفل عبر نضالها الطويل بمفاخر وطنية وقومية لاتحصى وقد رافق الادب النجفى الاتجاه القومى فى جميع مراحله وتطوراته فكانت عواطف الشعـراء وقلوبهم تنبض الما ولوعة بما يحسونه ويشعرون بما عليهم تجاه وطنهم وامتهم من كفاح مقدس يجب العمل من أجله فكانت مشاركتهم فى التوجيه الفكرى وشد الهمم لنصر قضيتهم وبعث الروح العربية فيهم ، فهم يثيرون الحماس فى النفوس ويلهبون المشاعر بقصائدهم الوطنية واحساسهم القومى المتفاعل مع واقع حياتهم فالاحساس بمصير الامة وما يجري عليها من احداث ونكبات يبعث الحزن والاسى في نفوسهم ، فظهـر واضحا جليـا في عواطفهم فكان السماوي من المدركين المتحسسين بآلام قومه ومن المثقلين بأحزان أمته ، فنجده يرثى أمجادها بعاطفة مشبوبة غمرتها الاحزان والالام بما حدث لفلسطين في تلك السنين الغابرات فوجد نفسه بازاء مشكلة قومية كبرى قد تلاشى امامها ذلك المجد الشامخ الذى كـان

يحلم به يوما ما وقد اظلم في عينيه ذلك الافق الوضاء لما اصاب الكرامة العربيـة على شر خلق الله بعدما استفز قومه وراعهم ذلك الرغاء الهزيل ولكنه يستدرك يستفتي ناطقة السنان فلا يجد الحل السليم لتلك المشكلة الا بالكفاح يستـدرك لان اليراع يخرس والكلام يصيبه التمتام فلا يفى الغرض غير الطعنـــه النجـلاء والضربة الحاسمة حيث يقول من قصيدته ٠

فلقد تلاشى كل مجـــد ماثـــل ... واظلـم افق العالـم الوضـاء
فاجتاحنـــا حتى اليهود وراعنا ... حتى رغــاء الناقـــة العجفـاء
فاستفت ناطقة السنـــان فانــه ... يوم الكفاح احـــق بالافتـــاء
فلربما خرس اليـــراع ولم يفـــه ... بالحق غير الطعنـــة النجــلاء
ولئن طغى قلمى وسار بفعلـــه ... متجهما فـــى هـــذه البيــداء
متنكبا سنن الطريـــق تحوطـــه ... سربان ، سرب فراعل وظبــاء
فتراه طورا مفعمـــا بمـــداده ... وتراه اخرى مفعمـــا بدمـــاء
تعروه كالمقرور منـــى رعشـــة ... فيصاب اذ يهتـــز بالاغمـــاء

هذه الالام المنبعثة عن عاطفة وطنية صادقة عبرت عن واقع امة فظهـرت عواطف الشعراء مفعمة بالحزن لانها المرآة الصادقة للتعبير عن الواقع الـــذي ترصده برؤيا حساسة تنطبع عليها الامال والالام وقد بينا في هذا الموضـــوع المقتضب جانبا من جوانب الاحساس العاطفى وصفة من صفاته وقد تميز بـــه الشاعر كما اتضح من ثنايا دراسة هذه العناصر الثلاثة التى تكون ظاهرة الحزن ليس عند السماوى فحسب بل تشمل اداب الفترة التى عاشها ٠٠ كما يظهر اثر البيئة النجفية التى تمتاز بمقوماتها العلمية والادبية وعناصرها الاجتماعية التـى انفردت بها ولم نجدها في بيئة اخرى ٠ وقد يكشف الشعر ظواهر الحواســـس والعقول الباطنية لانه المترجم الحقيقى للنفس والصورة الواقعية لها التى تبرز جميع الانطباعات النفسية عليها ٠٠ ونحن عندما نقرأ شاعرا نحس في ثنايا كلماته بالتفاعل بينه وبين المجتمع الذى عاشه ٠٠ والذى حاول ان يكتشف روحه ٠٠ كما حدث ذلك عند شاعرنا المترجم عنه في هذه السطور ٠

النجف الاشرف ... موسى راضي نصار



متاهات عصرية في زمن ما

السيدة ضياء الصبجي

العبثيــة

تاتى العبثية من ممارسة المسئوليات .. من ضغط الحروف والاشياء .
ويأتى النعاس من كثرة الاعمال .
وتأتي الزهرة من حوض الزهور .. ومن غصن الشوك .

— اتثاب كثيرا
— شيء نائم في اعماقك .
— لكنى اتثاءب في اوقات معينة كل عشر دقائق مرة .
— هذا يدعونى للضحك .
— يضحكك لكنى اعانى .
— حتى ولو كنت تلقى درسا فى الجامعة ؟
— اجل .. انقطع عن القاء الدرس واتثاءب .
— الا تنام جيـــدا ؟
— أنام اكثر من ثمانى ساعات
— ثق انى لا اعرف .. ولا يمكننى ان اضللك بتحليلاتى .
— اعرف انك لا تعرف .
— فلم تقول لى . ؟
— لاقول لك ، اننا منذ ساعة نسير .. فهل رايتنى اتثائب مرة واحدة . ؟

وطأت الارض بحذائى القذر .. تمزقت غيظا .. استصغرته .. كرهته .. ولم اعثر على قصده من ذلك اللغط .. ثم افترقنا .

البنفسج البنفسجى

كنت عن الضجيج والغلاء .. احدثها
وكانت عن الاحلام والطيور .. تحدثنى

— سنعيش فى بيت متواضع .. نملؤه بالاشياء رويدا رويدا .
— سنحبا في بيت من البنفسج البنفسجى .. زواره النجيمات المتلألئة .. والنسميات المتسربة من الفتحات المضيئة

— لن نتفق من اجل الراتب ‥ انت حرة في طريقة صرفه
— العوسج ، سيتسلق جدران بيتنا يغطينا ‥ وسيمطرنا الحب ‥ وتغنى اغنية الخلود ٠

— ستطبخين لى بنفسيك ‥ لا احب طهى غيرك ٠
— سنأكل الفكر ‥ ونتغذى بضوء القمر ٠
— سنرتدى الملابس المعقولة ‥ لن تسلب ارادتنا (الفترينات) المغرية ٠
— سالبس في الصباح ‥ ثوب الفجر ‥ وفي المساء ثوب الليل الليلى ٠

— سننجب عدة اولاد فقط ‥ ليس اكثر من ثلاثة ‥ اما اذا لم ينجب احدنا ‥ ف ‥
— سنترك اثار حبنا على اغصان الشجر ‥ ساحفر اسمى واسمك ضمن قلب مضروب بسهم ٠

— سأساعدك في شئون البيت ‥ ليس بامكاننا أن نوظف امرأة تقوم به ٠
— سأسمع الموسيقى ليل نهار ‥ وارقص رقصة هندية بزى هندى ٠
— سأحاول ان احصل على عمل اخر بعد الظهر ‥ تكاليف الحياة كبيرة ٠

— سنقوم برحلات صغيرة خارج المدينة ، كل مساء ‥ نحمل زوادة لطيفة ومسجلة ‥ نضع القبعات ‥ ونلبس البنطال ‥ أحيانا سنصطحب أصدقاءنا ٠

— رميت سيجارتى على الممر الترابى ‥ وطأتها بحذائى بقوة ‥ « وكانت اعصابى داخل حذائى » وجدت البعد الشاسع بين النجمة والنبتة ٠

الحياة مكثفة بالحوار ‥ واصبح الحوار هكذا

قدم لى كتابه المطبوع قلت :
— جميل هو العنوان قال :
— والغـــلاف ؟
— كيف اخترت العنوان ٠ ؟
— الغلاف من تصميم رسام شهير ‥ انظرى انه يعبر عن ‥
— هل هو عنوان لقصة داخل المجموعة ٠ ؟
— لقد وافقت على هذا الرسم المعبر على غلاف مجموعتى ‥ من بين مجموعة كبيرة من الرسمات ٠
— كثيرا ما اضع عنوانا لقصة بسهولة ولا اعرف كيف يظهر ‥ واحيانا احتار بين عناوين كثيرة ‥ واحيانا اخرى تبقى القصة جاهزة ، ولكن دون عنوان بشكل عام ٠ انا كما يقال لى مكثرة في العناوين ٠

- يبهرني كثيرا الكتاب ذو الغلاف الجذاب ٠٠ واكره اي كتاب ذي غلاف غير انيق ٠
- العنوان ينم عن ذوق الكاتب ٠
- تصوري ، عثرت على كتاب رائع من ناحية التاليف ٠٠ سيء من ناحية الغلاف ٠٠ كم هو سيء اللون البرتقالي ٠ ؟
- الحداثة شملت حتى العناوين ٠٠ من المفروض ان نقرأ اطول عنوان ، لاقصر قصة ٠
- افضل ان يكون الغلاف على شكل لوحة ، يرسمها ابرع الرسامين ٠
- ذات مرة قرأت عنوانا لم انسه حتى الان ٠٠ رغم اني نسيت اسم المؤلف ٠٠ ونسيت الموضوع ٠
- منذ الان ٠٠ وقبل ان اكتب اية قصة ٠٠ افكر بغلاف مجموعتي الثالثة ٠
- اتضايق عندما اعثر على عنوان سيء ٠٠ حتى اني مرة قلت لاديب ٠٠ اذا كنت لاتعرف كيف تعنون ٠٠ فاعطني قصصك اعنونها ٠
- ما رأيك بغلاف ازرق بلون البحر ٠٠ ولا يحمل سوى شراع احمر بلـــون (الورد الجوري)
- قيل لي مرة « حقيقي » لو تضعي لي عناوين قصصي ، قالها اديب مصـــري فحسبت انها طرفة ٠
- ٠٠٠٠٠
- ٠٠٠٠٠

باتت الحياة ضربا من الاعجاز ٠٠ بتنا نبحث عن مواضع ايدينا ٠٠ وافكارنا ٠٠ واحذيتنا ويا للمهانة من كل شيء لايسير الهوينى ٠٠ وايضا من كل شيء لا يسير بسرعة ٠

حلب — السيدة ضياء قصبجي



فلسفة الحياة عند الخيام

فاضل عباس الملا

عمر الخيام هو ابو الفتح ـ او ابو حفص ـ غياث‌الدين عمر بن ابراهيم الخيام ولد في عام ٤٣٣هـ او ٤١٣ هـ في نيسابور[١] فهو على هذا فارسي المولد ·

والمعلوم ان قليلا من المراجع العربية من كتب التراث قد سردت تاريخ حياته او اشارت اليه بما يستحقه فلقد ذكره ابن خلدون في مقدمته واشار اليه حاجي خليفة في كشف الظنون والرحالة المكي في نزهة الجليس على ان مراجع فارسية عديدة قد تناولته باعتباره ابن جلدتهم ـ على ما يعتقد ـ وقد اشار اليها الشاعر المصري احمد رامي في مقدمة ترجمته للرباعيات فضلا عن المراجع الغربية وخصوصا الالماني والفرنسي منها ·

عاش الخيام في نيسابور معظم حياته ونيسابور من امهات المدن الاسلامية انذاك فلقد كانت عاصمة خراسان[٢] وهي مدينة واسعة عظيمة في سهولها التي تكتنفها الجبال العالية وفي بساتينها النظرة وكانت مجمع العلماء وفيها ست مدارس فهو بهذا نشأ في بيئة ثقافية كان لها اكبر الاثر في لمعان نجمه في دنيا الادب والعلم[٣] · وقد تتلمذ في صغره وتربى على يد معلمه الامام الموفق وكان هذا صوفيا في ارائه مما كان له اثره في حياة الخيام[٤] وخاصة في شعره الذى اتسم بالغموض والاستفهام احيانا ·

وقد جاب عدة مدن طلبا للعلم نذكر منها بلخ ومرو كما انه نزل بغداد واجتمع بعلمائها وهبط اصفهان وبخارى ·

وفلسفة الحياة عند الخيام تتضح من خلال رباعياته التي هي اشهر اثاره والمعروف ان هناك اختلافا بين من تناول دراسة الخيام وعقيدته ونظرته للحياة فهناك من ذهب الى كونه متعبدا صوفيا اذ كانت سيرته سيرة الرجل الناسك الزاهد[٥]، وقال اخرون انه كان عاشقا حذرا وذهب فريق ثالث الى اعتباره فاسقا وعربيدا مشككا والمهم في الامر ان تساؤلات عدة قد تتبادر الى ذهن القارىء لرباعيات الخيام لما يكتنف بعضها من غموض ومن متناقضات رغم كون

---

(١) احمد رامي ، الدكتور محمد عزت نصرالله في مقدمته لترجمة احمد الصافي النجفي للرباعيات·

(٢) البلدان لليعقوبي ص٤٢ ، ونزهة الجليس ج١ ص٣٩٧ ·

(٣) يراجع الهامش رقم ١ ·

(٤) مجلة العلوم اللبنانية / العدد الاول ـ السنة الثالثة ـ كانون ثاني ١٩٥٨ ·

(٥) مجلة اليقين البغدادية / السنة الاولى ج ١٧ و ١٨ / شباط ١٩٢٣ ·

القسم الاكبر منها يترجم فلسفته للحياة التي تقوم على اساس ضرورة اسراع الفرد الى الاستمتاع بمباهج الحياة وملذاتها قبل ان يقتطفه الموت وتلفه يد **القدر** .

الخيام عاش محبا للحياة وقد تقلب في اوساط العلماء ودرس الالهيات والفلسفة والمنطق اضافة للعلوم الصرفة كالرياضيات والطب والفلك ولقد اشار احمد رامي الى ائتناس العظماء والعلماء الى عشرته ولكن البهائي وصفه في كشكوله بسوء الخلق وطول الكلام(٦) .

وحب الخيام للحياة ولمباهجها وملذاتها يتضح من خلال رباعياته فلقد بكى على قصر الحياة لان الايام تمر فيها مر السحاب ولا تعود فقال :

تروح ايامي ولا تغتـــدي   كما تهب الريـــح في الفدفد

لهذا يدعو الى الائتناس بها والارتشاف من عبير ملذاتها فيقول :

وانمـــا بالموت كـــل رهين   فأطرب فمـــا انت من الخالدين

واشرب ولا تحمـــل اسى فادحا   وخـــل حمـــل الهم للاحقين

ولقد اكثر من تناوله للخمرة التي لا طيب بغيرها في هذه الحياة :

لا طيب في الدنيا بغير الشراب   ولا شجى فيهـــا بغير الرباب

فكرت في احوالها لـــم اجـــد   امتع فيها من لقـــاء الصحاب

هكذا يرى الحياة انه يدعو الى ترك الامها ومآسيها ويدعو الى التمتـــع بملذاتها ذلك لان مثوانا هو التراب فمنه خلقنا واليه نرجع لهذا اغتنم من الحياة فرصها ومسراتها الحلوة ، لا تهتم بالامس الزائل ولا بالغـــد الغامض ، نادم الكأس في مجلس الحبيب على نغم الناي ولا تكترث لما يقوله لك المعقدون :ـ

ثلاثـــة هـــن احب المنى   كأس وانغام ووجـــه صبيح

واقرأ هذه الرباعية :

تفتـــح النـــوار حب المدام   واخلع ثياب الزهد بين الانام

وهاتها من قبل ســـطو الردى   في مجلس ضم الطلى والغرام

واذا كانت فلسفة الحياة عنده تنصب على ضرورة اسراع الفرد الى الاستمتاع بملذات الحياة قبل ان تقتطفه يد القدر دون الاكترات الى اقـــوال القائمين والقاعدين من المتزمتين :

فكرت في الدين اقـــوام كمـــا   حار بين الشك والقطـــع فريق

فـــاذا الهـــاتف يدعوهم ايا   بله لا هـــذا ولا ذاك الطريق

وقوله :

خير لي العشق وكأس المـــدام   من ادعاء الزهـــد والاحتشام

(٦) راجع احمد رامي في مقدمته لترجمة الرباعيات طبع مصر عام ٦٩ وكشكول البهـــائي في جزئه الثاني طبع عام ١٩٧٢ في النجف ، وكذا عباس القمي / الكنى والالقاب ج٢ ط ١٩٧٠ .

لو كانت النـــار لمثلي خلت جنات عـــدن من جميع الانام
فما هو سر قوله اذن :

معاقرو الكاس وهـــم سادرون وقائمو الليل وهـم ساجـدون
غرقى حيارى في بحـــار النهى والله صـــاح والورى غافلون

على انه يقول في رباعية اخرى :

للصوم والصـلوات نلت تنسكا فتيقنت نفسي غـــدا بنجاحي
اسفاً فقد نقض الوضوء بنسمة والصوم زال بنصف جرعة راح

فما هو مغزى قوله :

لم اشرب الخمر ابتغـاء الطرب ولا دعتنـــي قلـــــة في الادب
لكن احساسي نزاعـــــا الى اطلاق نفســي كان كل السبب

ثم نراه يقول :

دنياك ساعات سـراع الزوال وانما العقبى خلـــود المآل
فهل تبيـــــع الخلد يـا غافلا وتشتري دنيـا المنى والضلال

ويقول ايضا :

يا من نسيت النـار يوم الحساب وعفت ان تشـرب مـــاء المتاب
اخـــــاف إن هبت رياح الردى عليـك ان يأنف منـــك التراب

فالتناقض واضح من خلال ما اوردناه من الرباعيات في نظرته للحيـــاة فتارة يقـــول : اشـرب ائتنس انطلـق واتـرك دعـــوة المعقديـــــن ثم يقول بان الشارب والساجد سواسية فهم غرقى حيارى غافلون ثم اخيرا يناقض نفسه فيقول بان علة تعشقه للخمرة ليس هو ابتغاء الطرب والانس ولا خروجا على الاداب والمثل العليا بل مرده هو رغبته في اطلاق النفس لاخراجها من واقعها ٠

بعد ان اوضح فناء دنيانا التي نعيشها وان العقبى هو اليوم الاخر فلا عليك الا اجتناب المعاصي اذ قد يأنف منك التـراب الذى تدفن فيه بسبب تثقلك بالمعاصي ولكنه يعود فيسبغ على نفسه غموضا كما يتضح من خـــلال البيت التالى :

ليتك يا ربي تبيد الوجود وتخلق الاكوان خلقا جديد

وهنا يكمن السر في حيرة من تناول الخيام بالبحث أمؤمن كان ام متشككا او صوفيا حكيما كان ام عاشقا ام علمانيا ؟

هناك من يرى ان رباعيات الخيام كانت عرضة لعبث يهودي مقصود وعلى هذا فان ما تخللها من افكار علمانية او تشككية هى من وضع ذلك اليهودي وهناك من ذهب الى ان فهم الخيام لمعنى الحياة كان وفقا لعقيدة المدنية الحاضرة

ففلسفته للحياة تأتي على غرار ما تذهب اليه المدنية الحاضرة واعتقادي هو ان للخيام شخصية مزدوجة احداهما عند الصحو وفيها يؤمن بالله ويطلب منه الرحمة والغفران لما اقترفه من آثام :

ان لـم اكن اخلصت في طاعتك   فانني اطمـــع في رحمتك(٨)
وانمـــا يشــفع لي انني   قد عشت لا اشــرك في وحدتك

اما الثانية فهي عندما يكون ثملا وهنا تراه يقول ما لا يتقبله الدين فضلا عما يقوله من التناقضات ومن الدعوة الى العبث والمجون والانطلاق في دنيــا الاحلام والالتذاذ بما طاب من الحياة وارتشاف عبيرها الرطيب الغير مقيد بدين او بخلق فهو هنا اذن فاسق عربيد وهذا ما يرجحه العلامة الفرنسى موريس شابلان(٧) بعد ان تساءل عما اذا كان مشككا فاسقا ام عاشقا حذرا او متعبدا صوفيا .

وانـــه لمحل نظر القول بان (عمر الخيام لم يعن بالخمـرة هـــذه المادة المفسدة للعقول وللاخلاق والارواح والابدان بل اراد خمرا اخرى تطلبها بعده ابن الفارض نفسه فلم يذقها)(٩) .

ويقال بانه في اواخر ايامه تاب الى الله توبة نصوحا وحج بيته الحرام حيث عاش الخيام ١١٣ سنة .

من كل ذلك ندرك بان الخيام رجل خمرة وانس وطرب فلسف الحياة على اساس وجوب اسراع الفرد الى التمتع بملذاتها قبل ان يأتيه اجله وقــد اكتنفت بعض ارائه بالغموض والتناقضات لعل مردها الاول هو الخمرة لمــا لعبته في عقله رغم تبحره في العلوم ووقد ذكائه .

---

(٧) انظر مجلة المكتبة ـ اصدار مكتبة المثنى ـ العدد ٧١ السنة العاشرة اذار ١٩٧١ .
(٨) الابيات من ترجمة احمد رامي .
(٩) مجلة اليقين / سبق واشير اليها .



القاموس اللغوي

محمد حامد الملا حويش
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

شدني الى مطالعة كتاب الفروق في اللغة لابي هلال العسكري المادة العلمية الغزيرة الموجودة فيه وما ينطوى عليه من حسن الاسلوب وجودة العرض وتنسيق الفصول ووضوح في التعبير واحتواؤه على الالفاظ اللغوية وشموله الفنون والآداب وكل ما يمت الى اللغة وعلومها المتعددة بصلة مباشرة يتعامل بها ذوو الشأن ويتعاطاها الكتاب والشعراء وقد ذكر المؤلف سبب تأليفه لهذا الكتاب النفيس حين اشكل الفرق في المعاني المتقاربة في المعنى والمتباينة في اللفظ وقال أيضا حين اشكل الفرق بين العلم والمعرفة والفطنة والذكاء وما الى ذلك من تعبيرات لغوية تنطلق من الافواه وهى تعنى مقاصد شتى ٠ وانى وددت ان اذكر بعض الفوارق التى تهم اهل اللغة وآدابها غارفا من منهل العسكري العذب ومقتبسا من موارده المعطاء وليكن المطلع في لغته القومية ذات الاصالة العريقة بأنها لغة علم ومحادثة ودين وذات تراث لا ينضب واحببت أن اضع هذه الكلمة الموجزة تحت عنوان : هل تعلم ؟ ان هناك فرقا بين ما يلي :

الفرق بين اللحن والخطأ ـ اللحن صرفك الكلام عن جهته ثم صار اسما لازما لمخالفة الاعراب والخطأ اصابة خلاف ما يقصد وقد يكون في القول والفعل واللحن لا يكون الا في القول كقوله تعالى « ولتعرفنهم في لحن القول » ٠

الفرق بين الاختصار والايجاز :ـ ان الاختصار هو القاؤك فضول الالفاظ من الكلام المؤلف من غير اخلال بمعانيه والايجاز هو ان يبنى الكلام على قلة اللفظ وكثرة المعاني ٠

الفرق بين الاعادة والتكرار :ـ التكرار يقع على اعادة الشيء مرة وعلى اعادته مرات والاعادة للمرة الواحدة ويقال اعاده ولا يقال كرره ٠

الفرق بين الاسهاب والاطناب :ـ ان الاطناب هو بسط الكلام لتكثير الفائدة والاسهاب بسطه مع قلة الفائدة فالاطناب بلاغة والاسهاب عى وقال الخليل الاطناب يختصر الكلام ليحفظ ويبسط ويفهم وقال البلغاء الاطناب اذا لم يكن منه بد فهو ايجاز ٠

الفرق بين بلى ونعم :ـ ان بلى لا تكون الا جوابا عن ما كان فيه حرف جحد كقوله تعالى « الست بربكم قالوا بلى » ونعم تكون للاستفهام بلا جحد كقوله تعالى « فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم » ٠

الفرق بين المجلة والكتاب : ان المجلة كتاب يحتوي على اشياء جليلة من الحكم وغيرها قال النابغة :

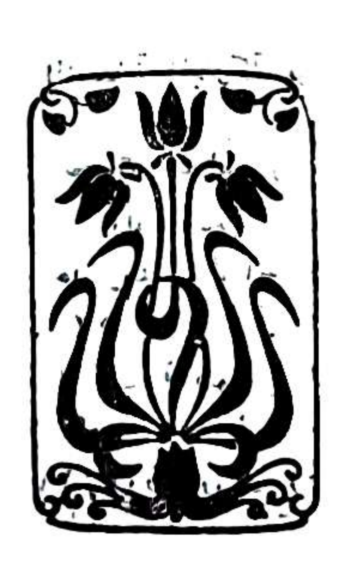
فخلتهم ذات الاله ودينهم　　كريم به يرجون حسن العواقب

ولا يقال للكتاب اذا اشتمل على السخف والمجون وما شاكل ذلك مجلة والكتاب يفيد انه مكتوب .

الفرق بين الشرح والتفصيل :- الشرح بيان المشروح واخراجه من وجه الاشكال الى التجلي والظهور ولهذا لا يستعمل الشرح في القرآن . والتفصيل هو ذكر ما تتضمنه الجملة على سبيل الافراد ولهذا قال تعالى « ثم فصلت آياته من لدن حكيم خبير » .

الفرق بين التأليف والتصنيف : التأليف اعم من التصنيف وذلك ان التصنيف تأليف صنف من العلم ولا يقال للكتاب اذا تضمن نقض شيء من الكلام مصنف لانه جمع الشيء وضده والقول ونقيضه والتأليف يجمع ذلك كله وتأليف الكتاب هو جمع لفظ الى لفظ ومعنى الى معنى حتى يكون كالجملة الكافية .

الفرق بين التأليف والترتيب والتنظيم :- التأليف يستعمل فيما يؤلف على استقامة واعوجاج والتنظيم والترتيب لا يستعملان الا فيما يؤلف على استقامة والترتيب هو وضع الشيء مع شكله والتنظيم هو وضعه مع ما يظهر به ولهذا استعملوا النظم في العقود والقلائد .



كنه المراد في بيان بانت سعاد

طه هاشم الدليمي

من تلك المؤلفات الكثيرة التي صنعتها يراعة الامام الكبير جلال الدين السيوطي مؤلف بعنوان « كنه المراد في بيان بانت سعاد » وهو شرح وضعه على قصيدة (بانت سعاد) للشاعر كعب بن زهير ٠

وقد سبق هذا الشرح للقصيدة شرحان هما شرح الامام ابي سعيد الحسن بن عبد العسكري وقد طبع بالقاهرة سنة ١٩٦٥ وهو عبارة عن شرح لكل ديوان الشاعر برواية هذا الامام وشرح لابن هشام الانصاري النحوي تصدى فيه لاعراب القصيدة ويعد من الشروح النحوية الا ان شرح السيوطي قد اختلف عن هذين الشرحين بانه لم يكن ذا سمة نحوية ولغوية فحسب بل كان ذا سمة ادبية أيضا فيه شيء كثير لم يأت به الشرحان المتقدمان ٠

ولهذا المصنف المخطوط عدة نسخ منها نسخة في مكتبه ايا صوفيا برقم (or ٢٢٠٣ a) حجم ١٥ × ٢١ سم ٥٩ق ٢٥ س اولها بعد البسملة والصلاة على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب على ناظمها ابرك كعب وانطقه بذكر سعاد تفاؤلا من الاسعاد بما سهل عليه من طرق الرشاد ٠٠٠ وآخرها ٠٠٠ ولكن الاستعمال على الكثرة بحذف لامه في الافراد والتثنية تهليل مصدر هلل عن الشيء أي تأخر عنه يقول لا يتأخرون عن حياض الموت اذا تأخر غيرهم عنها نكرة تم الشرح المبارك عبد (كذا) الله وعونه ووافق الفراغ من هذه النسخة المباركة يوم السبت المبارك غرة شهر جمادي الاولى من شهور سنة (١١٣٣هـ) على يد عبدالله بن عبدالفتاح الطخلاوي المالكي والمخطوطة فيها ترجمة لحياة الشاعر واهتم الشارح بالغريب وكتب الابيات بالحبر الاحمر وفي بداية القصيدة ترجمة للسيوطي مأخوذة من ميزان الشعراني تملكها غير واحد ومنهم الحاج مصطفى بن شعبان امام وخطيب في دوينجة في (١٥) صفر (١٢٠٩) هـ وقابلها في السنة نفسها ٠(١)

ونسخة أخرى في المكتبة الاحمدية بتونس أولها : الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب على ناظمها ابرك كعب ٠٠٠ نسخة محمد بن علي الشريف (١١٩١) هـ خط مغربي م ١٩٠/١٥ق من ق (٦٠٠) س/٢٣/٤٤٧٣٠(٢)

واخرى في مكتبة المتحف العراقي برقم (٢٠٠٦) حجم ٥ر١٩ × ٥ر١٣سم ،

---

(١) مخطوطات عربية في مكتبة ايا صوفيا ـ الدكتور يوسف عزالدين ص ٧٤ ٠

(٢) فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية بتونس ـ عبدالحفيظ منصور ص ١٠٢ ٠

١٤٠ص ، ٢٣س اولها أيضا : الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب ... نسخة بخط معتاد من القرن الثاني عشر الهجرى .(٣)

موضوع المخطوط ـ كماتقدم ـ شرح لقصيدة كعب بن زهير التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول متيم اثرها لم يفد مكبول

بدأ السيوطي هذا التاليف بقوله بعد البسملة : الحمد لله الذي جعل قصيدة كعب على ناظمها ابرك كعب(٤) وانطقه بذكر سعاد تفاؤلا ففاز من الاسعاد بما سهل عليه من طرق الرشاد كل صعب وافاض على المداح سيب سيل الفهم فمن مغترف بكف وماتح بدلو ونازح بغرب واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تجنب قائلها موارد الاكدار ...(٥)

وقد حمل السيوطي على وضع هذا التصنيف القصور الذي رآه في شروح هذه القصيدة السابقة قال : .. وكانت الشروح الموضوعة عليها فيما وقفت عليه قاصرة على شرح غريبها واعراب الفاظهاالمؤدية الى حل تركيبها دون التعرض لمعانيها التي هى قصد طلابها واعربت مقدمتي شرح غريبها واعرابها اقتضى ذلك اشارة بعض اخواني في الله تعالى متأمن (كذا) طاعته ولا يسع مخالفته ان اقتضبت عليها شرحا يجمع الى حل الفاظها وبيان معانيها ويقرب ما بعد تناوله من ثمار مقاصدها المتراكبة لاقتطاف جانيها .. ثم قال لا بد للمتصدى من هذه القصيدة من الخوض في شرحها من الاحاطة بثلاثة مقاصد المقصد الاول في ترجمة ناظمها رضي الله تعالى عنه .. وفي هذا المقصد ذكر السيوطي شيئا من حياة كعب وشعره نقلا عن الاستيعاب لابن عبدالبر(٦) المقصد الثاني في سبب نظمه في (كذا) هذه القصيدة .. تناول المؤلف فيه قصة كعب مع اخيه بحير ، المقصد الثالث في بيان ترتيب هذه القصيدة التي سيقت عليه قال فيه :

اعلم انه كان عادة اكثر شعراء العرب اذا أتوا بقصيدة مدح افتتحوها بالسبب المعبر عنه بالغزل وهو عند المحققين من اهل الادب يشتمل على اربعة انواع النوع لاول ذكر ما في المحب من الصفات التى هى أسباب المحبة الدالة على المحبة كالشغف والنحول والحزن ..

النوع الثاني ذكر مافي المحبوب من الصفات التي هي أسباب المحبة

---

(٣) المخطوطات العربية في مكتبة المتحف العراقي ـ المخطوطات الادبية ـ كوركيس عواد ص ٤١ .

(٤) من تعبيرات المتاخرين قولهم كعبه مبارك يقال لمن يتيمن به كما يقال لضده كعبه مدور واجاد محيي الدين بن عبدالظاهر في قوله :

لقد قال كعب في النبي قصيدة . وقلنا عسى في مدحه نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة كرحمة كعب فهو كعب مبارك

شفاء الغليل للخفاجي ص ٢٢٩ والغيث المسجم للصفدي ١٦٨/١ .

(٥) الورقة (٢) من مخطوطة المتحف العراقي .

(٦) الورقة ٣ ـ ٤ من المخطوط .

سواء كانت حسية كحمرة الخدود ورشاقة القدود ومافي معناها او معنوية كالجلالة والخفر ...

النوع الثالث ذكر ما يتعلق بالمحب والمحبوب جميعا من هجر وصد ووصل ..

النوع الرابع ذكر ما يتعلق بغيرهما بسببهما من الوشاة والرقباء ونحوهم قال والناظم رحمه الله تعالى قد أتى في قصيدته قبل التخلص الى المدح بالانواع الاربعة وذلك ان القصيدة اشتملت على سبعة وخمسين بيتا..(٧)

نماذج من شرحه

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول	متيم اثرها لم يفد مكبول

يقال بانت المرأة من زوجها اذا ما فارقته وهو معروف في عرف الشرع بالطلاق غير الرجعي وسعاد اسم المحبوبة التي بنى مطلع القصيدة على التشبيب بها والتغزل فيها كما ان مجنون ليلى يشبب بليلى وذو (كذا) الرمة يشبب بمي وقيس (كذا) يشبب بلبنى وكثير (كذا) يشبب بعزة الى غيرهم من المتيمين ..(٨)

وبهذا يظهر ان السيوطي قد التزم منهجا جديدا في شرحه للقصيدة التي سبق ان شرحها العسكري فاقتصر على بيان غريبها وشرح مفرداتها وابن هشام الذي نحي في شرحها منحى نحويا ظاهرا وذلك في اعرابها على مذاهب النحاة المختلفة :.

وشواهد النزعة الادبية في شرح السيوطي كثيرة منها انه تخلص في البيت الاول الى ذكر الفراق فقال : ومن المعاني المستحسنة ما قيل ان الشمس تحمر عند الطلوع لمعنى اللقاء وتصفر عند الغروب لمعنى الفراق والى ذلك يشير أبو العباس الضبي بقوله :

لا تركنن الى الفراق	فانه مر المذاق
فالشمس عند غروبها	تصفر من ألم الفراق

وانشد لابي تمام الطائي هذين البيتين :

لو حار مرتاد المنية لم يجد	غير الفراق الى النفوس دليلا
أني نظرت الى الفراق فلم أجد	للموت لو فقد الفراق سبيلا(٩)

قال : وما احلى قول الطغرائي :

اني لاذكركم وقد بلغ الظما	مني فاشرق بالزلال البارد
واقول ليت احبتي عاينتهم	قبل الممات ولو بيوم واحد(١٠)

وشرح البيت الاول من القصيدة يجره الى ذكر المحبين فيذكر شيئا من اشعارهم واخبارهم ويذكر أن الاحنف بن قيس قال :

---

(٧) الورقة (٤) من المخطوطة .

(٨) المخطوطة الورقة ٥ ــ ٦ .

(٩) ، (١٠) المخطوطة ورقة ٧ .

بينما أنا اطوف واذا بثلاث جواري اتراب فدنت احداهن الي وقالت يا ابا البشر انت القائل :

ماذا لقيت من الهوى وعذابه · فتحت علي بلية من بابه

فقلت نعم قالت كذبت والله لو كنت عاشقا لكنت مثلي وكشفت عن اشاح على رقة من اللحم وانشات تقول :

اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني فمالي أرى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الحب بالحشا وتخرس حتى لا تجيب المناديا

وينشد ايضا من شعر المحبين ابياتا للمستعين بالله بن الحكم الاموي احد خلفاء الاندلس :

عجبا يهاب الليث حد سناني واهاب لحظ فواتر الاجفان
واقارع الاهوال لا متهيبا منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدما زهر النجوم نواعم الابدان
حاكمت فيهن السلو الى الصبا فقضى بسلطان على سلطان
فابحن من قلبى الحما وتركنني في عز ملكي كالاسير الفاني

وفي شرح البيت الثاني من القصيدة وهو :

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا إلا اغن غضيض الطرف مكحول

يتطرق الى ذكر الصوت وانه موجب للفتنة ويورد في ذلك حكايات منها:

ان ابا تمام الطائى سمع جارية تغنى بالفارسية فشجاه صوتها ولم يفهم كلامها فا نشد وهو يقول :

فلم افهم معانيها ولكن شجت قلبي فلم احمل شجاها
فكنت كانني اعمى معنى يحب الغانيات ولم أراها

وفي موضوع الصوت نقل عن ابى هلال العسكرى في كتابه الاوائل قائلا : قال ابو هلال العسكري وأمر الصوت عجب منه ما يقتل كصوت الصاعقة ومنه مايسر ويبهج حتى يرقص ويعلق ومنه ما يبكي ومنه ما يزيل العقل ويورث الغشي وبه ينومون الصبيان وبه تستخرج الحية من جحرها ونقل عن عمرو الوادى : قال بينا انا اسير بين الروحا والعرج اذ سمعت انسانا يغنى غناء لم اسمع مثله فاصغيت اليه فاذا هو يغنى من شعر كثير :

وكنت اذا ما جئت ليلى ازورها أرى الارض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها اذا ما انقضت احلوثة لو تعيدها(١١)

فكدت اسقط طربا عن راحلتى وقلت لالتمسن صاحب هذا الصوت فاصير اليه ولو بذهاب نفسي ..

وفي امر الصوت ايضا يورد السيوطي حكاية غاية في الغرابة حيث يقول:

...واخبرني بعض الاصحاب عمن اخبره انه سار في اليمن الى مكة ومعه رفيق من بوادي اليمن فمر في طريقه بشجرة فوق الذراع فوقف تجاهها وصفق وغنى لها بغناء مخصوص فجعلت تتمايل يمينا وشمالا فلما سكت سكنت وكنت في شك من ذلك الى ان اخبرني من اثق به أن الشيخ ناصر الدين

---

(١١) المخطوط الورقة ١١ والبيتان في مصادر ادبية اخرى ..

بن المعلق رحمه الله قبل أن يلي قاضي القضاة بالديار المصرية كان ساكنا بمنظرة بغيظ السناني بالقرب من بولاق وكان فيه شجرة من هذا النوع وكان يقف امامها ويصفق لها بيديه ويغنيها بأبيات فتتمايل يمينا وشمالا ثم سكن المنظرة بعده آخر من اهل القلم وكان يفعل لتلك الشجرة كذلك ثم اخبرني بعض اهل بلاد اليمن بالديار المصرية ان هذه الشجرة موجودة عندهم الى الان ..(١٢)

ومن شواهد كون شرح السيوطي ادبيا ما ذكره في شأن الخمرة ومزجها وما قيل في ذلك شعرا وذلك في اثناء كلامه على البيت الثالث من القصيدة وهو قوله :

تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت   كأنه منهل بالراح معلول

والبيت الخامس :

شجت بذى شبم من ماء محنية   بابطح اضحى وهو مشمول

الذي انتهى فيه الى ذكر المزج في الخمر فانشد جملة اشعار في هذا المعنى موضحة مذاهب المزج منها قول حسان :

ان التي ناولتني فرددتها   قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطني   بزجاجة ارخاهما للمفصل(١٣)

قال : انه رد الكاس على ساقيها حين قتلها بالمزج بقوله : ان التي ناولتني ..

قال : وما احسن قول الشيخ شرف الدين بن الفارض في قصيدته الميمية جامعا بين المذهبين وحاويا لكل الطريقتين :

عليك بها صرفا وان شئت مزجها   فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

وفى معنى شج الخمر استشهد بقول صدر الدين بن الوكيل الشافعي

مالكاس عندي باطراف الانامل بل   بالخمس تقبض لا يحلو لها الهرب
شججت بالماء منها الراس موضحة   فحين اعقلها بالخمس لا عجب(١٤)

ويمضي المؤلف في ايداع تأليفه الشواهد الشعرية الرائعة ففي المحبين وما يتعلق بهم من الرقيب والعاذل واللوم والتوبيخ ينشد جملة اشعار منها بيتان لابن بسام :

لقد صبرت على المكروه اسمعه   من معشر فيك لولا انت ما نطقوا
وفيك داريت قوما لا خلاق لهم   لولاك ما كنت أدري أنهم خلقوا

ومما يلاحظ في الشرح ان جلال الدين السيوطى اورد فيه لنفسه جملة ابيات . قال في كلامه على الرقيب ومما قلته في ذلك :

احرص على طرد الرقيب وبعده   ان تغتنم وصل الحبيب تلاعبه
كم ليلة بات الحبيب بجانبي   لكنني خوف الرقيب اجانبه(١٥)

---

(١٢) المخطوطة ورقة ١١ ـ ١٢ .

(١٣) الورقة (١٧) والبيتان في الغيث للصفدي ١١١/٢ .

(١٤) الغيث المسجم ١٢٦/١ والمخطوط الورقة (١٧) والبيتان من الشواهد البديعية .

(١٥) الورقة (٢٦) .

وفي الوصل والهجران قال : كما قلت مضمنا بيت الرشيد :

من منصفي من فتاة قد علقت بها ... اضحى يمازجها وصل وهجران
تبدي صدودا تجني تحته شفق ... فالنفس راضية والطرف غضبان(١٦)

وفي الحجج التي يظهرها المحب والتي يبين فيها عدم وصله قال كما قلت مضمنا :

تقدم معاذيرا وتزعم صدقها ... وتطمع آمالي بها فالسن
وتحلف لو تستطع جادت بوصلها ... وليس لمخضوب البنان يمين(١٧)

وفي شرح البيت التاسع أورد ابياتا للسلطان ابي عبدالله محمد بن الاغلب بالله محمد بن يوسف بن نصر بن الاحمر الاندلسي وهما :

ايا ربة القرط التي حسنت هتكي ... على كل حال فلا بد لي منك
فاما بذل فهو أليق بالهوى ... واما بعز فهو اليق بالملك

على ان الصلاح الصفدي لم يرض هذا المذهب فقال رادا على ابن الاحمر :

تمسك بذل فهو اليق بالهوى ... لتنظم مع اهل الجنة في سلك
متى لاق بالعشاق عز وسطوة ... كأنك من ذل المحبة في شك

قال السيوطى : ولا شك ان ابن الاحمر تكلم على قدر مقامه وعزيز مكانه في السطوة والقهر والصلاح الصفدي تكلم على ما يليق بمقام العشق في نفس الامر فالعشق يذل الاسود ويلين الصلد الا أنه اذا دار الامر بين الذل والوصل فالوصل بالعز اولى كما قلت منتصرا لابن الاحمر ورادا على الصفدى :

اذا لم يكن وصل الى الحب مسعف ... وامسيت تحت الضير في العشق والضنك
ولم تستطع صبراً على الذل والهوى ... فالبعز وصل الخود أولى من الترك(١٨)

وهكذا يمضي السيوطي في شرحه هذا على هذا النهج مشيرا في كل بيت الى ما يناسبه من حكاية او شعر حتى نهاية المصنف الذى ينتهى بالبيت السابع والخمسين وهو قول كعب :

لا يقع الطعن الا في نحورهم ... وما لهم عن حياض الموت تهليل

الذي يقول فيه السيوطي : ومثل هذ البيت قول الحصين بن الحمام :

تاخرت استبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياة مثل ان اتقدما
فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ... ولكن على اعقابنا تقطر الدما
نفرق هامات الرجال اعزة ... علينا وهم كانوا اعق واظلما (١٩)

وبعد هذه الابيات باسطر يختم التاليف بعبارة : ثم الشرح المبارك على قصيدة بانت سعاد للجلال السيوطي رحمه الله تعالى آمين .(١٩)

هذا شيء يسير مما وقع اختيارنا عليه من (كنه المراد) للسيوطي الذي نرجو أن يبعث فيما بعث من مصنفات هذا الامام العظيم .

بعقوبة ... طه هاشم الدليمي

---

(١٦) ، (١٧) الورقة (٢٦) .

(١٨) الورقة (٣٠) .

(١٩) الورقة الاخيرة من مخطوطة المتحف العراقي .

نقد وتعريف

جابر الخاقاني

(١)

« قس بن ساعدة الايادي »
للدكتور احمد الربيعى
ساعدت جامعة بغداد على نشره
مطبعة النعمان ـ النجف ١٩٧٤م

روى البيهقي في المحاسن والمساوىء ٢/٦ قال : سأل قيصر (ملك الروم) قس بن ساعدة الايادي (بغض النظر عن لغة المتخاطبين) :

ما أفضل المعرفة ؟

قس : معرفة المرء قدره ٠

قيصر : ما أفضل العلم ؟

قس : وقوف المرء عند منتهى علمه ٠

قيصر : فما افضل الحلم ؟

قس : استبقاء الرجل ماء وجهه ٠

قيصر : فما افضل العطية ؟

قس : ان تعطي قبل السؤال ٠

هذا الفكر النير وتلك العقلية العملاق ٠ يقدمه الدكتور احمد الربيعــى في كتاب ٠ يدرس فيه حياة قس دراسة مفصلة ، ويجمع خطبه ، ويلحق بهــا ما يتيسر له من شعره ٠

والدكتور الربيعي مولع بالخطابة والخطباء ، فقد سبق له ان درس ـ في رسالة للدكتوراه ـ الخطابة الجاهلية والاسلامية ، ربما كان هذا البحث الجديد مكملا للخط الذي اخذ به الباحث نفسه ٠

ولعل ارتباط ابيات الاستشهاد بموضوع الخطبة هو الذي املى على الاستاذ الباحث أن يعنى بشعر (قس) ـ أيضا ـ والا فان الاستاذ الربيعي لم يسبق له أن اهتم بجمع الشعر ٠ ويؤيد هذا انه لم يتناول شعر (قس) تناول جامعي الدواوين ومحققيها ، عناية بالتخريج واختلاف الروايات وترتيب القصـائد والمقطعات ترتيبات هجائيا ، وتثبيت اعاريضها ، ومع هذا فان الاستاذ الباحث ـ من غير شك ـ مشكور على عمله هـذا لانه ـ في الاقـل ـ وفـر المادة المكونة لحياة قس الادبية والفكرية ٠

ولما كان قس بن ساعدة اشهر ما اشتهر به انه ابرع خطيب عرفته حقبته الزمنية ، فقد انصب جهد الباحث على تلك الخطب استقصاء ولميزاتها استجلاء • فقد جمع له ثماني خطب • ودرس مميزاتها واستخرج اهم خصائصها فكانت :

القصر • التساوي في الطول • العناية بالسجع • الوزن • الجناس اللفظي •

لكن هذه الخصائص لا تكاد تسلم للاستاذ الباحث مثلما انها لم تخلص لقس وحده • فالخطبتان (١-٢) تنقضان فكرة التساوي في الطول • والعناية بالسجع – ومثله الوزن والجناس اللفظي – ليست ميزة قس وحده ، فقد كان للكهان الذين عاصروه او كانوا قبله سجع متميز •

ويؤيد هذا ان الاخ الباحث فرق بين نوعين من السجع : فرق بين سجع الكهان ، وسجع القرآن •

ومنهجه في جمع تلك الخطب ان يذكر الخطبة ويوثق نصها ويتقصى مصادرها ، فيرجعها الى اول راو لها ويتتبعها في المراجع الثانوية لتكتمل لديه الصورة ، وليصح – من ثم – الحكم •

غير إن الذي يبقى في النفس ويثير التساؤل ، هل ان ما ياتي في هذه المصادر مسلم به لا غبار عليه ؟

فقد كنا ننتظر من الاخ الدكتور تحقيقا اعمق ونظرة فاحصة سيما في الخطبة المسماة بخطبة الاستسقاء وما اكتنفها من حديث اسلام المنذر بن الجارود ، لان لمثل هذا الحديث وتلك الخطبة شأنا مهما في تاريخنا وقيمنا الفكرية •

ومع هذا فالاستاذ الباحث خير من عرف قسا ، ولعله خير من تادب بأدبه فوقف – وان لم يتوقف – عند منتهى علمه •

(٢)

يوسف والرؤيا :
مجموعة شعرية جديدة
للشاعر زهير غازي زاهد

جاء على غلاف المجموعة : انها كتبت ما بين ١٩٧٠ – ١٩٧٤ ، فهي اذن لها دلالتها ، لانها تمثل – فيما تمثل – حياة اديب في عهد الثورة ، بكل ما فيها من عطاء • ولعل قصيدة العائد من رحيل الغربة خير ما يمثل تلك الحياة • فهي موجهة الى صوت الثورة ، وهو يعلن قرار التأميم العظيم بكل تفاؤل وبشر مطمئنا الى سلامة النتائج :

الا ايها الركب
صوت المنادي ووجه الوطن
على شفتي سنبلة

وفي أفقي خفق فجر جديد
ألا أيها الركب احرقت حزنى
وأورق ظلك في خاطرى
سلاما أشـد به خفق عـودي
فيمـلأ صوتك دنيـا نشيدي
ومثلما ملأ صوت الثورة دنيا نشيده ملأها ـ أيضـا ـ تفاؤلا واصـرارا على النصر :
فابسمي يا بشـائر الريح بالنعمى
تجلى العنـا واورق جدب
وتجلى على الحوادث صـوت
يحمل النصر في حنـاياه شـعب ٠
والى جانب تلك اللوحـة ، ففي المجموعـة قصـائد هي : يوسـف والرؤيا ٠ نظرات مسافر في آفاق مبهمة ، همستان ٠ الانسان الزئبق ٠ موقف وداع ٠ الى من وقف وراء الحرب بين شمال اليمن وجنوبها ٠ غضب ٠ اليها ٠ جيكور والطيف العابر ٠
وفي قصيدة غضب ، والتي يصور فيها الانسان الذي يعيش في عـراق الثورة ، وهو ما يزال مكبلا بعقليته البدوية ، بكل ما تحمل من تخلف فيسخر منه الذع سخرية :
ألا أيهـا البشـر الذئب
لـلم عيـونك لملم صـداك
لقـد نخرتك السـنين
لقـد نخرت عظمـك الرمح
ها هـو سـيل الصبـاح
رؤى الفجـر تحمـل عشـاقها
على الافق تصهـل خيـل الصباح ٠
وها انت تجد البشر والامل والتفاؤل ينساب فيبدد كل حزن باطمئنـان ويشق الظلام بعمق :
واظمـأ في هجـرتي
أفر وفي خطـوتي الموت يشـوي ٠
سـمرت قدماي
عـلى مثـل خوف السـراط
فما مـال يومى
ولا ذبت خطـوا عـلى همسـة
ترف بدربي
ويلفك (الديوان) بشاعريته ٠ ولكنك ، تستوقفك قطعـة ، تشـدك

(فنيتها) .. موسيقاها .. روح التوثب فيها .. صورها . هي : موقف وداع ..

وتلفت .. فالحي ما زال يصبو
خضرا .. والهوى لقاء نصير
أي طيف توسدت مقلتي رؤياه
فانهل في نداه العبير
عانقت صبوتي ملامحه الزهراء
فاهتز بالسرور السرور
واستراحت على العشيات احناء
لواها على السعير السعير
أيها المبحر اتئد غرق الليل
والوى نجومه التغوير .

سبقت للشاعر تجربتان احداهما شرر اللهيب ، والاخرى ظما البحر . ولكن زهيرا في تجربته الجديدة (يوسف والرؤيا) يكشف عن طاقة تتوالد باستمرار نرجو ان لا تحجبها الدراسة الاكاديمية .. واروقة دار الكتب المصرية

(٣)

الزورق والرياح .
المجموعة الشعرية الثالثة
للاستاذ محمد رضا آل صادق

وقد سبقتها مجموعتان احداهما انفاس الشباب ، وثانيتهما : الصوت والاصداء .

ولعل الشاعر بعد ان لفظ انفاس شبابه، ولم يجد صدى لصوته ارتأى ان يكون ابحاره وسط الرياح في زورق . فهذه الرحلة امتداد لما سبق ان قدمه من شعر لانها «تترجم باخلاص رحلة مسافر تعشق الغربة، واستعذب الالم» . ولنا ان نتساءل لم يعشق الغربة ، ويستعذب الالم ، وهو يعيش من اجل انسان الثورة ؟؟ .

ولكن دع التساؤل، وسر مع الشاعر ، فلن تجد غربة الا القلق والحيرة ولن تجد الألم الا ما يثيره المستقبل المظلم، فهو ينشد ـ اكثر ما ينشد ـ رؤية واضحة ، يطلب استقرارا :

ابحرت والموج العتي يكاد يلتهم الشراع .
ويكاد قلبي ان يمزقه الضياع .
ما بين زورقي المسافر في الخضم ..
وبين شاطىء البعيد .
ما بين اشواقي .. وآهاتي الحيارى .. والجراح .

ولعل الالم الذى استمرأه الشاعر تفصح عنه قصيدة كلمات للرياح خير

افصاح • وقد تكون هي وقصائد : المجيء • قلب جريح زورقي والرياح • الظل شهقة • نهر الشوق • يا انت •

وعلى الرغم من ان الشاعر قد (حشى) مجموعته ، بما ليس منها ـ واعنى بها تلك القصائد التي قيلت في مناسباتها •• رثاء •• تهنئة •• تاريخا •

اقول: على الرغم من تلك التحشية، فقد جاءت مقطوعات المجموعة الباقية منسجمة والعنوان ، فهي تصور معاناة الشاعر بـــل تضع الاصبع على الالـــم (المستعذب) سواء منها ما جاء عفو الخاطر ام ما كان ليأذا من واقع مؤلم (شاطىء النور •• ماذا الصدود• مناجاة• الى ملحمة عربية اسلاميـــة • الجمال الباطن حنانيك رباه • بيتي ـ بغداد) فالشاعر في زورقه يشكو الغربـــة ،ووحشـــة التيه •• يسأل هذا •• ويستنطق ذاك، ويجد في البحث ،ولكن دون جدوى :

انا في مفازة صمتي المذعور
ابحث عنك •
يا انت التي القيتني في التيه وحدي •
لاجوب ارضا اقفرت
الا من اليأس المثابر والضنى

ولكن الارض المقفرة • محبوبة يعشقها ، وتلك مفخرة يعتز بها الانسان العربى : ان تكون ارضه معشوقته ، لالشيء الا لانها ارض عربية •

يا سنيني التي غبرت
لم يزل شـجر الحب في خاطري
نضرا مورقا بالطيوف النشاوى •
برغم رياح الخريف الحزين
ورغم رماد الاسى والشـجون

ويبلغ الالم بالشاعر مداه فيتمنى ان لو عاد (طفلا) وهو يرمز بالطفـولة الى العـدم :

يا سنين الصبا النشاوى سـلام   لك مـن قلبي الجـريح المعنـى

ويرجو ، ولكن انى له الرجاء فقد :

واستحال الرجاء حتى كأن لـم   يـك في عـالمي لـه أي معنـى

لمـاذا ؟ لان حياته الشقية ، قد ارته :

وارتني ما يذهـل الفكـر مني   عـالما موصـدا بوجهـي الـدروبا
حيثمـا تشرئـب المتاهـات   ثكالى رؤى تعـج خطوبـا

ويصحو ، وكثيرا ما يحلم ـ الشاعر ـ على حقيقة :

ما بين زورقي المسافر في الخضم
وبين (شـاطيء) البعيـد

فيقول آخر كلماته للرياح معترفا بعد ان اضناه تعب المداورة :

عـريت وجهي وانسـلخت
وعـدت وحـدي في الدروب •

من دونما (عرق) ينـز دما
ويشـرب صرخة الالم المتـاح
ويذوق طعـم اســاه
ما اشـــهى مـرارته
لقلب طالما ٠٠ غنى لوجهـك ٠٠ يا رياح ٠

ولكنك ، وان خلدت الى يأس ٠ واستكنت الى خشـــوع ـ لـن تقتلـع براعمك رياح الجفاف أو تنهشها اظفار الجدب ، وانت تعيش مع « انســان الثورة الرائدة في عصر الانبعاث » ٠

بغـداد : جابر الخاقاني



راقصة آه يا زين

عدنان مردم بك

« لحن آه يا زين من نغم البيات ، وهو معروف عند عشاق الغناء العربي ، وكثيرا ما يرقص على نغماته . »

* * *

طلعت كنجم ثاقب يتوقد ... والليل بحر صاخب يتمرد
مالت كغصن أراكة عبثت به ... ريح فمال وما ونى يتأود
في كل جارحة لها ما يأتلي ... ثغر يزغرد باسما ويعربد
والنهد يلهث مشرئبا من جوى ... بضراعة وكأنه يتنهد
أو أنه فرخ لوى بجناحه ... حذر الاذى من قاسط لا يقصد
يطوى وينشر ضاربا بقوادم ... حيران لا يدري بمن يستنجد
أو موجة محمومة قذفت بها ... من زاخر ريح زبون ترعد
ضربته محلقة الجناح ولم تزل ... تعلو وتهبط والدجى تتوعد

* * *

رقصت كما أملت سمادير الهوى ... وأتت بكل عجيبة لا تجحد
صور من الاغراء ليست تنتهي ... وشواهد للحسن ليست تنفد
وبكل جارحة تعرت فتنة ... كانت على كر المدى تتجدد
ما كنت تدري والجوارح بالجوى ... عصفت ، أبركان بها يتوقد
تتضرم الشهوات ملء أضالع ... محمومة لا تستقر وتخمد
شعل الجوى مشبوبة بمشاعل ... من جاحم أطباقه تتلبد

فتخلجت أعضاؤها حــذر اللظى وتذاءبت من رعشـــة تتجلـــد
وبكـــل أنملة يرفرف جـــانح بقوادم لا تستكين وتخلـــــد

* * *

مـــدت يدي متضـــرع متلهف وكأنهـــا من منعــم تسـترفد
تجد اليـدين وكـل نبض فيهمـــا ما انفك يهزج هاتفا ويزغـــرد
أطرافها توحي بقـــول محكـــم ما فيـــه ثم ركاكـــة وتبـــلد
نطقت ولم تفغـــر فمـــاً لمسائل وأصابت الغرض الذي تتصـــيد
أطرافها توحي ، وتحسب أنهـــا كانت توشوش خلسـة أو تنشد
لا تأتلي يمنى لهـــا مرفوعـــة في حـــالق لنـــوازع تتعـــدد
راحت تحركها كقـــدر قلامـــة هـــونا وتعطفها كمـــن يتودد
ويسارها كانت تدف على هـــوى وتغور حينا ما انثنت أو تنجـــد

* * *

حركاتها فيض الاشعة في الدجى دون الجداول ما مشت ، تمدد
أو كالنسائم في الرياض تذاءبت خطواتها ، وتمـــايلت تـــأود
حركاتها شدو ورنة مزهـــــر من خاشع في حلبـــة يتوجـــد
... خلعت غلالتها فهبت فتنـــة من عريها ترمي القلوب وتقصد
الفتنـــة الحمـــراء تنفث باللّظـــى عن جاحم نيرانه لا تخمـــد
طلعت بأعـــلام لهـــا منشـــورة وبمـــوكب بمواكب يســـتطرد
وبجفنها ليـــل دجت أطبـــاقه حار الدليل به وعز المرشـــد
ليل يروع قتـــامه من رهبـــة والسحر منعقد به لا ينفـــد

دمشق عدنان مردم بك

جنة

محمد العدناني

قبل أن ادرّس في الجامعة السورية ثم في جامعة حلب ، درست بعد هجرتنا من فلسطين في دار المعلمات وتجهيز البنات الاولى في حلب ، وكانتا معهدا واحدا .

وكان مستوى جمال الطالبات ينافس جمال حسان هوليوود ، وكن يرتدين موادع (مرايل) سودا ، تزيد بياض وجوههن جمالا .

وفي شتاء عام ١٩٤٩ غطى أرض حلب ثلج كثيف ، كان نصيبي منه ما اعتاد سكان حلب الكرام جميعا أن يفعلوه ، وكانت القصيدة الآتية :

أقبلن في حلل الدجنه تحكي البدور وجوههنه
يرفلن في ثوب الصبى ضبحا ، فقلت الشمس هنه
و « صفاء » أمرها الجما ل على الحسان جميعهنه
هصر الفتون الى مليكة خافقي أغصانهنه
قد درن ضبحا حولها وسبحن في أفلاكهنه
فحسبتهن كواكبا غرا أحطن بشمسهنه
ووددت لو قبس الضيا ء سجين صدري مثلهنه

* * *

والثلج غطى الأرض حتى أصبحت كقلوبهنه
فوثبن فوق اهابها المفتر ترخينا بهنه
فشهدت في فصل الثلوج الزهر في أغصانهنه
فالورد شق جيوبه وأطل من وجناتهنه
والنرجس انفردت به دون الانام عيونهنه

والجلنـــار روت صبـــا بتـــه نـــدي شـــفاههنـه
وعـــلى الاقـــاح منضـــدا دلـــت رقـــاق ثغورهنـــه
والزنبـــق الفـــواح ذا ع هـــواه مـــن أجيـــادهنه
وتجمعـــت آ ي الفتـــون عـــلى جنـــي صـــدورهنه
فأحطـن بي ، فشـممت عطـر الروضـ مـن أنفاسـهنه

* * *

بـــدت الملاعـــب كالصحـــا ئف والبنـــات حروفهنـــه
جبـــرن أروع آيـــة شـــعرية بجســـومهنه
اللـــه نضـــدها فجـــا ءت فـــذة كجمالهنـــه
هيهـــات ! مـــا بيت القصيد بواحـــد فـــي نظمهنـــه
فجميعهـــن غـــدون أبيـــات القصـــيد فديتهنـــه

* * *

وافيـــت يحـــث الخطـــى قلبـــي المعـــربد نحوهنـــه
فتنـــاثر العقـــد النظيـــم غـــداة جئـــت كناســـهنه
وهجمـــن والاهـــداب والثلـــج النقـــبـــي ســـلاحهنه
فرأيت أنـــي لـــم تعـــد بي ، والهـــوى يجتـــاح مُنَّتي[1]
وغـــدوت في شرك العيـــون مـــدى الحيـــاة أســـيرهنه
ورفعـــت للتســـليم كفـــي اتقـــــاء هجـــومهنه
فأبيـــن الا أن أكـــو ن رميـــة لكراتهنـــه
وضربنني ، ووحيـــد صـــد ري محسن بالحـــور ظنـــه
أدغمـــن في رأســـي كـــرا ت الثلـــج ادغـــاما بفنـــه

---

(١) المنة : القوة

وحسبن أن أوجعنني هيهات يؤلم ضربهنه
ضرب الاحبة كالنسيم ، وصبوة الشعراء سنه
وأثرنني فهجمت أبغي - لهف قلبي - صدهنه
ورميتهن فلم أصب رشأ ، ولا روعتهنه
اني أصيب ، وخافقي أمسى بأيديهن جنه(٢)
يتلقف الضربات حتى لا تمس ثيابهنه
حتى اذا جرس الدرو س دعت ظبائي منه طنه
هرولن والبسمات تملأ مهجتي وثغورهنه
وأخذن قلبي شاديا بفتونهن وظرفهنه

* * *

قال العذول ، وقد رأى قلبي مشاعا بينهنه
يعبثن من وله به وصدورهن له أكنه(٣)
أتحبهن ؟
أحبهن ، أحبهن ، أحبهنه
من لا يحب بناته ويرى الجحيم بهن جنه
لا شك أن بعقله دون الورى مساً وجنه(٤)

* * *

أبتن من ريشي القوا دم والخوافي دون منه
فقحمت آفاق المنى والروح مطلقة الأعنه
فسنمت عرش الخيا ل ، وزادها نظراتهنه

---

(٢) الجنة : الترس
(٣) الأكنة ، مفردها : كن ، وهو وقاء كل شيء وستره
(٤) الجنة : الجنون

وغدا الخلود مقسما بين القريض وحسنهنه

* * *

أرجعن عمري القهقري فرأيتني تربا لهنه
وسكبن اكسير الهوى في خافق كلف بهنه
فمضى يردد ليله ونهاره أسماء هنه
قد كنت أحسب « هالة » بنتي الوحيدة بينهنه
فاذا بهن بناتي الغر الحسان جميعهنه

* * *

غدت الرزايا لي حما ة ، والدواهي السود كنه
وبلوت أمواج الأسى ومحك شعر الخلد رنه[1]
وسلخت عمري أنة تبكي الجلامد تلو أنه
وسبرت أغوار الردى ورحى المصائب مرجحنه[2]
وحسبت أني هالك لما رمى صبري مجنه
حتى اذا كاد الشجا يغتال روحي بالأسنه[3]
ألفيتني في جنة شتى المفاتن ، أي جنه
ما الحور فيها قاصرا ت الطرف عين غير هنه
هن الشذا نفس الريا ض ، ونغمة الاطيار هنه

* * *

يارب ، حسبي نعمة من بعد تيه في الدجنه
وتشرد عن موطن غر الاماني قد سكنه
اني اكحل ناظري بعد الظلام بفجرهنه

بيروت : محمد العدناني

---

(١) الرنة : الصوت الحزين عند البكاء
(٢) مرجحنة : ثقيلة ٠
(٣) الشجا : الحزن ٠

الى اخوتي الشعراء

للشــاعر الروسي : ت • اوميتاليف

ترجمها عن الانجليزية
على خليل
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

يا أصدقائي :

على اختلاف ألوانكم والسنتكم

يا رفاقي :

الكرماء ، الشجعان ، (الصادقين)

أيها الشعراء :

ان قصائدكم وكتاباتكم وافعالكم يجب ان تؤكد

أن سماء المعمورة الزرقاء

ستظل صافية الأديم انقشعت عنها الغيوم •

* * *

أنـا عــلى يقين

أن الشعراء سيساعد الواحد منهم الاخر

بنصيحة الرفيق الصديق

وبيد الاخ الشقيق

وهكذا النشيد بعد النشيد

مثل نجمة تتصاعد ،

كذا البيت بعد البيت

سوف نكافح الى النهاية

كي لا يكون هناك ارامل أو ايتام
يضجون بالبكاء والعويل
ولكي يكون هناك مستقبل مشرق
يبني ويشيد لكل الناس •

* * *

الحياة تدعونا ، أيها الشعراء ،
المرة تلو المرة :
أن ابحثوا عن الكلمات التي تكافح
وتنال النصر والظفر
وابحثوا عن الكلمات التي تقدم وتعطى
عقيدة جديدة للبشرية
تساعدنا على نبذ الحرب
وتجعل المجاعة الى الوراء •



النبي

علي فوده
عضو رابطة الادباء الاردنيين

١ - مزمور الموت

هائمة روحي بين شعاب العالم كانت .. غار حراء يعرفها ، غربان الربع الخالي تعرفها ، وجذور المشمش / أصداف البحر / ضجيج المدن الحجرية / أحزان الشام / ظليم الصحراء الكبرى / جثث القتلى تعرفها .. هائمة روحي كانت في وجه الريح وما زالت تستوطن هيروشيما ، لا تستوطنها / تسكن أشجار الابنوس ولا تسكنها / تبكي بين أيادي الفقراء ولا تبكي / تسبح في الدانوب الازرق / تفرح ككريات الدم البيضاء اذا داخلها الشك ، فتهرع نحو الماضي والمستقبل / تنهش أوردتي / تستنجد بالمطر المخزون / وبالتين وبالزيتون / بعلب التبغ الاصفر والروماتيزم الحارق / تهتف في الزمن المارق : يا زمني .. اني محـــزون / سوطك يلسعني / صبحا ومســـاء يلسعني / يلسعني حتى يدميني ..

البرد / النار
النار / البرد
البرد / النار أنا .. من منكم يكفيني
شر البرد وشر النار

(★) يقول الحلم ان نبيا ما سيظهر ، يوما ما . وسوف يلتف الناس حوله ، ويكون خلاص العالم على يديه . وهذه القصيدة محاولة لاستكشاف عوالم هذا النبى .

من منكم يسحب عني كفني
يا كل شعوب العالم ..
من ينقذني من زمني ؟!

٢ – مزمور الميلاد

– أ –

مثقلة بالحزن تعاليمي .. لست الخضر الأخضر أو بوذا / لست أبا الطيب أو زارا / عبدا لله فقيرا كنت وما زلت / ولكني جبت شرايين العالم .. ذقت طعام فلسطين / حصدت القصب بكوبا / عاشرت جياع الهند / جرحت بفيتنام / شربت البيرة في مقهى الزنج / وفي تشيلي أسروني ..

الوطن / الخبز
الخبز / الوطن
الوطن / الخبز أنا .. والحرية ديني
فاتبعوني ..
اطعمكم قلبي وشراييني
أسقيكم من زمزم ، أكفيكم شر العالم
أمنحكم كنزي المدفون ، وسري المكنون
وجنة حواء وآدم !

– ب –

أعرف ان الدم بلون الورد ، ولكني أكره لون الدم ورائحة الدم / أحب الورد ، أريج الورد / بعيني شاهدت الورد ، وشاهدت الدم / بعيني شاهدت الحرب ، السلم / فحيح الأفعى ، زقزقة العصفور / ظلام الغرفة والنور / جنازات الجند ، غناء الاطفال / عيون الارض ، عبيد الشهوة والمال / دموع الفرح الناعم ودموع الاحزان / فيا أرض الطوفان ..

الروح / الانسان
الانسان / الروح
الروح / الانسان أنا •• والحرية ديني
فاتبعوني ••
أطعمكم قلبي وشراييني
أسقيكم من زمزم ، أكفيكم شر العالم
أمنحكم كنزي المدفون ، وسري المكنون
وجنة حواء وآدم !

ـ ج ـ

معذرة يا أبناء الطين / فصوتي يأتيكم من وحل فلسطين / ولكني عبد للسائل والمسكين / أتيت لأنزع من حلقكم السكين / هلموا يا قافلة المحزونين / هلموا •• نحن هنا / فينا الأبرص والمسلول / وفينا القاتل والمقتول / أنا العامل والفلاح / الصعلوك ، المنبوذ ، العاشق / أنت الفهد الأسود ، مبتور الساق ، نزيل السجن ، طريد الهم / هلموا •• لا سطوة بعد اليوم / ولا أبيض ، لا أسود ، لا دم ••

الحب / العدل
العدل / الحب
الحب / العدل أنا •• والحرية ديني
فاتبعوني ••
أطعمكم من زمزم ، أكفيكم شر العالم
أمنحكم كنزي المدفون ، وسري المكنون
وجنة حواء وآدم !

موكب النصر

الدكتور فتحي احمد عامر

يا منية خفقت في قلب وادينا
تمشي على أرضنا نشوى فتشجينا .
هامت بها في ربيع النصر أمتنا
وعانقتها ملايين المحبينا
كأنها أثر التاريخ طيبه
في بسمة الصبح أنفاس النبيينا
يختال في رمضان فجر مولده
فيرقص الخلد مأخوذا ومفتونا
وتستحيل له الدنيا ملبية
وكم سرى حقدها من قبل مجنونا
وأصبح البعد قربا من مودتنا
وبات كل عدو من موالينا
وردد الملأ العلوي قصتنا
أهزوجة أعجزت قولا وتلحينا .

* * *

يا موكب النصر : هل عادت أواخرنا
تنساب في خطوات من أوالينا ؟
تعلمتْ أن ماضينا يهيب بنا
فأيقظت عاقل التفكير يهدينا
لم تبك رسماً ، ولم تهرع الى طلل

ولم تقف جهدها دمعا وتأبينا
لكنها انطلقت علما ومعرفة
ومكنت دولة الايمان تمكينا .
وهندست من بديع العقل هندسة
تحكي صمود الليالي في روابينا .
وخططت خططا بكرا ، تقر بها
عين التراب الذي كم بات محزونا .
كانت سلاما على أهل السلام وما
كانت سوى الموت في أضلاع صهيونا .

* * *

أهلا بسيناء ، بالجولان ، أن فمي
ينغم الخلد في الجولان ، في سينا
لقد شربنا كؤوس الموت مترعة
وبعدها قد نهلنا من أمانينا .
ولم نطق صلف المحتل فانتبهت
خطا البطولة تحصينا فتحصينا .
كنا صواعق في الآفاق تحرقهم
ومن خلال الثرى كنا براكينا .
اقدامنا فجع الدنيا وأذهلها
فهرولت نحونا الدنيا توالينا .
وليس من عجب ان كان فيلقنا
فيالقاً والردى المحموم مليونا .
ملائك نحن من نور ومن لهب
ان الملائك يحرقن الشياطينا .

* * *

أهلا بسيناء ، بالجولان ، أن لنا

أن نعلو الشهب ، بالجولان أو سينا .
حطمناهما بقلوب العرب مجمعة
وهل ترى العربُ الا مستجيبينا . ؟
مواكب وفدوا للحق في شمل
من الجلال مغاويرا ميامينا .
يمشون فوق رمال الدر في ثقة
يطهرون ثرى موسى وهارونا .
يسترجعون سنا الماضي يصبحنا
فيسرعون خطاهم اذ يمسينا .
فكان كل فتى في الحرب زلزلة
وكل شبر ينادي : ألف آمينا .
ها انها آية كبرى تصاحبنا
في رحلة الأمل الزاهي وتحدونا .

* * *

أهلا بسيناء والجولان ان غدا
يطل من قمة الجولان من سينا .
يختال فوق قلاع من جماجمنا
ويستحث خطانا في فلسطينا .
ويطفيء الظمأ الظمآن من دمنا
هلا تلبونه !! أنا ملبونا .
لبيك ! لبيك يا حيفا ولست سوى
قلب جراحاته الرعناء تذكينا .
لا ـ لن يغمض جفن في نواظرنا
حتى تضمده في ديّر ياسينا .
هذا تراب سقيناه بأنفسنا

و[illegible] ـا به الرمـان والتينـا •
وكـم لعبنـا به أحـلى طفولتنـا
وكـم سـعدنا زمانـا في تناغينـا •
وكـم ظلمتنـا ، فبـل البئـر غلتّتنـا
تمتـاح سلسـاله الصـافي أيادينـا •
وكـم جـرينا وكـان الجري متعبنـا
والبـدر يظهـرنا حينـا ويخفينـا •
ما بالكـم !! ويلكـم ، يا آل صهيـونا
أتسـرقون حمـانا لا تبـالونا ؟ •
أتسـرقون ؟ ولا تخشـون غضبتنـا
أتسـرقون الـدنا والأرض والدينـا ؟
مـاذا لـو انكـم عشـتم سواسـية
في ظلنـا السـمح اخـوانا مطيعينـا ؟
تمتعـون بحـريات دينكـم
وتأمنـون عـلى أموالكم فينـا •
انـا وسـعناكم من قبـل ليس لـكم
عـذر ، تجيبـون ؟ أو انتـم تموتونـا ؟
لـن نترك المسـجد الاقصى تدنسـه
أقدامكـم ، فانظـروا ، ها نحـن آتونـا !
مـن فوقكـم لهب ، مـن تحت أرجلكـم
نار تميـز مـن غيظ الحقـودينـا !
لقـد أسـأتم ، وأحسـنا ، فكيف بكـم
لا تحسـنون ، وماذا للمسـيئينا ؟
المـوت نصنعـه في كـل ثانيـة

تبـــا لـكم !! فاشـــربوا مـــوتا وغســلينا •

* * *

يا مـــوكب النصـــر في الجـــولان ، في ســـينا

ها اننـــا لـــم نـــزل نلقـــى أعادينـــا •

تختـــال أنت عـــلى الجولان من طرب

تختـــال أنت على ســـينا تحيينـــا •

لكنـــه ظمـــأ في النفس يحـــرقنـــا

أنـــا نرى الفئـــة الدنيـــا يعيشـــونا !!

أنـــا نرى المســـجد الأقصـــى ينادينـــا

ويسـتغيث ، ولســـنا بالمغيثينـــا

يا للهـــوان حـــديثا في مســـامعنا

يصيب بالأرق الاعمـــى مآقينـــا !!

تغـــلى دمانـــا بـه ـ يا فرط لوعتنـــا

متى القيامـــة تفنيهـم ، وتحيينـــا ؟

هنـــاك نشـــدوا نشـــيدا طاب ملحنـه

ونســـتجيب لداعـــي الســـلم يدعونا •

وأنت يا مـــوكب التحـــرير ترقصنـــا

عـــلى شغـــاف فلســـطين ، وتسـقينا •

الخرطوم

دكتور فتحي احمد عامر ـ

سائحة

محمد بسيم الذويب
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

لقد جفاني مرقدي البارحة ... وهزني الشوق الى سائحه
وبت ارعى النجم في وحدتي ... والنجم في أفلاكها سابحه
ادنو فتقصيني نجوم السما ... وانت عني مثلها نازحه
جئتك في رأد الضحى زائرا ... فقيل لي : سافرت البارحه
ولم أر الوجه الصبوح الذي ... عهدته بل اوجها كالحه
فعدت والخيبة تجتاحني ... وادمعي من مقلتي سافحه
ما ذقت ـ مذ سافرت ـ طعم الكرى ... والنفس في أحزانها رازحة
ما كنت أدري ان نار الهوى ... في مهجتي موقدة لافحه
حبك قد أثر في خافقي ... بل كل عضو في او جارحه
كم من فتاة في رواء الصبا ... في مجلسي غادية رائحة
وكم وردت الماء لكن لي ... نفسا أبت ورد القذى قامحه
فلم تتق الا الى وردة ... فواحة طيبة الرائحه
ناعمة الملمس ريانة ... لفاء خمصى للهوى جانحه
فاكهة ناضجة جربت ... خمر الهوى غابقة صابحه
تمنح أو تمنع عني الهوى ... اكرم بها مانعة مانحه
حديثها السحر اذا حدثت ... بنبرة شائقة واضحه
وان رنت في بسمة حلوة ... والتفتت كظبية سانحه
الفيت كل الناس من حولها ... مأخوذة بحسنها صائحة :

سبحان مـــن ابـــدع تكوينهـا   ثم حباهـــا فتنـــة فاضحـــه

* * *

يا قرة العـــين ويا منيـــة النفس   ويا ملهمتـــي الصـــادحه

يا طيف أحـلامي ومن حبهـــا   أعـــاد لـــي آمـــالي الطائحـه

ويا جنانا لم تزل نفسي الظمآي   الى الفـــوز بـــه طافحـــه

كان الردى امنيتي قبـــل أن   القـــاك يا محبـــوبتي الجامحه

واليـــوم اصبحت أرى أن في   طويل عمـــري صفقة رابحـــه

متـــى تعـــودين متى ارتوي   من حبـك القـــاتل يا سائحه

ان لم تجودي باللقـــا فاقرأي   على ضريحي ســـورة الفاتحـــه

بغـــداد   محمد بسيم الذويب



مَحاوَرةٌ في فصْلٍ واحِدْ

كاظم محمد حسين
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

أحببت ملامـــح عينيـــك
والشـــعر الـــوارف كالليـل
والعطـر الـذائب في سـحر ...
بين يــديك ..
أشــياء هنـــالك ســيدتي
بعـد الأســـفار تذكـــورتي
وتشـــد الفكر الى وطنـــي

* * *

قـالت مـن أي بـلاد جئت
تجتــاز مســافات الزمـــن
وعــلى كفيــك وريقــات
تكتـب أبيـــاتا ... آهــاتي
قــلت ـ مواويـل خضــراء
أحـلام شـــواطيء أوطــاني
وطيـــور الروض بالحـــان
قالت ـ يا صـاح فصارحني !!
قلت ـ ومـــن بلـد بالأمس

يعـاني فقــرا أســقاما

ويشــم روائـح بتــرول

للغير تـدفق أطنــانا

قـالت ـ أعــراقي الجنســية ؟

قـلت ـ وبـلادي عربيــة !!

قـالت ـ مــرحى !!!

فهنــاك طـريق الأحــرار

وهنـاك شــعار الثــوار

نحــو الشــعب .

شــكرا لشـعورك سـيدتي

فطــريق المجـد لأمتنــا

والنصــر حليف قضيتنـا .

الكوت : كاظم محمد حسين



البسمة الثانية

أمجد السامرائي
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

أطياف اشواق الهوى قد نمت   في خافق أضناه سحر الجمال
فأوقف العمر له طائعا   رغم مشيب ناذر بالزوال
لا زال في عهد الصبا عاشقا   يغريه في الحب رقيق الدلال
وهمسة فيها وعود الهوى   تعلل الروح بقرب الوصال

* * *

في صوتك الهادىء دفء سرى   في مسمع الأيام والعاشق
كرقة الانغام في سحرها   تسلسلت من وتر دافق
على جناحيه أطوف الدنا   لأبصر العالم من شاهق
مستمتعا في حسنه هانىء   يلفني في برده الخافق

* * *

يلوح في عينيك حلم الصبا   كرقة الانداء وقت السحر
يشتت اليأس الذي عشته   تحيط بي فيه غيوم الضجر
الافق قد ضاق ولا نجمة   في نورها ترقص حلو الفكر
وتهتف الاعراق في نشوة   ما أنت الا هدأة من قدر

* * *

ما ضر لو تخدعني بسمة   أحيا على اغرائها الكاذب
بقية العمر وفي وهمها   أقطع أحلامي بلا قارب

في رحلة أطيافها لم تزل تأسرني بسحرها الغارب
وتبعث الحب الذي عشته مستمتعا في ظله اللاهب

* * *

تبسمت عيناك لي صدفة والصبح في أعراسه الزاهية
فقلت : يا قلبي لقد عادني ما قد خبا في الأضلع الحانية
واهتاجت الذكرى وآلامها بلحظة كنت بها قاسية
وحيرة قاتلة قد ذوت عند شروق البسمة الثانية

* * *



الحسناءُ الراكعة

شعر الفقيد قتيبة بسيم الدويب

ولقد دخلت مع الفتاة كنيسة مستطلعا ، لا عابدا يتبتل
هيفاء من قوم المسيح هضيمة الكشحين ذات مفاتن تتدلل
ركعت امام صليبها وتوسلت فعجبت كيف لمثلها تتوسل
وهي التي سفكت دماء محبها وقضت على عشاقها ان يقتلوا
ورأيتها تتلو دعاءاً خافتا ياليت شعري ما تراها تسأل
أتريد حسنا وهي تعلم أنها بين الحسان جميعهن الاجمل !!
أم تبتغي من بعد هذا فتنة والكل مفتون بها يتغزل
ام انها ذكرت ضحايا حبها الطاغي فبالغفران عادت تأمل
ام قد تذكرت الحبيب فأشفقت من أن يغيره عليها العذل
ثم انثنت فرنت الي بنظرة فتاكة وأنا المحب الأعزل
وتبسمت عن لؤلؤ فشعرت أن غرامها بين الحشا يتسلل
فخرجت لا أدري ـ وقد حل الهوى في قلبي الخفاق ـ ماذا أفعل
ان كنت اطمع في حلاوة حبها فالحب آخره ، لعمرك ، حنظل



جنتي ..

برهان الدين العبوشي

أنظر الورد والقرنفل زفا   نعمة الله للكئيب ورفا
فاذا ما حرمت ود حبيب   فنعيم الزهور أبقى وأوفى
واذا ما الغرام ضرس قلبا   فحنان الورود للهم أنقى
فلا تلالا بها جمال الهي   زاهرا زاهيا وقطرا مصفى
أومأ الزهر للفراش فصلى   ناشرا فوقه جناحيه زلفى
وذوات الرضاب تلعق منه   خمرها الحلو طاب ذوقا وعفا
يصدق الحب في الزهور وينمو   في الحنايا رضاً وأن تك غلفا
فازرعنه ولا تنله بسوء   هو يحيي وأنت تؤذيه قطفا
سبح الله برعما وأريجا   فاح فوق الغصون نورا وعرفا
لو ترى جنتي وفيها ورودي   باسمات سمون صفا فصفا
أبدع الله خلقها وحباها   حسنه ، جل حسنه ، ثم أضفى
كلمتني الورود شعرا خفيا   رق معنى وحل في القلب لطفا
كل لون أراه فيها أراه   أملا باسما وتقوى وظرفا
وابتهالا الى الذي خلق الزهر   عزاءا لحائر ذاق عسفا
وسماءا بها النجوم تلالا   فوق سوق قد أعيت الشعر وصفا
أبغني بي سكينة الله بشرى   يا ورودي فالقلب رق وشفا
أن لي في (جنين) وردا نضيرا   صيرته (صهيون) ابآ وعصفا
نرجسا في مروجه وشقيقا   حوله زنبق أفاق وأغفى

سامه المعتدون حرثاً وشقاً وقبورا لمن أبى العيش رقا

فجفاه الجنّان تدمع عينا ه اكتئابا من خطة الهدم نسفا

كيف ترجو من قوم موسى عفافا وهم ألأم الخلائق أنفا

يشربون الدم الحرام خمورا من جراح الأطفال قتلا وخطفا

كيف ترجو الورود منهم رعاءاً كيف ترجو من الجريمة عطفا !!

سوف يستقبلون آها وواها بعدما هددوا بسين وسوفا

يا ورود المروج كوني مساحي وفؤوسا وأوردي الدود حتفا

ثم عودي جنينة ومنارا لتنيري مسرى النبي و (حيفا)

عاد جنانك الوفي هزبرا يقلع الغش في رياضك عنفا

بشري النحل والفراش وسرب الطير بشرى تحوم حولك ألفا

وافتحي للندا براعمك الحمر شعار الفداء ألفا فألفا



أقول لقلبي

عبدالاله الصائغ
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

* يباعد ما بيننا الانتظار يمر رفيفا ويحملنا . نحو بيت من السعف لاظلة . تقرب أشتاتنا والهجير يذكرنا بالذي كان . فلتتحد كـل اشواقنا . مل احداقنا الليل . يا انت .. يا

لقد لونت شمس تموز في وجنتيك الحياء . واين طفولتنا . أين احلامنا . أين ذياك نائم في المزامير ؟. لعنت ارتعاشة زنبقة لحظة . هبطت نحلة والنهار . تبعثر بين النخيل ..

أقول لقلبي هذا زمان به يزرع القلب فلتتئد . آه ماليلـة مرت العمر وانت وانت المليء بافراحك المستحيله . اقول لقلبي .. هذى الجميلة . ضيعت الخطو نحو السماء . وضيعت الوجه والكف ضيعت الذاكرة ! فأي الشتيتين يمتـد كل الدروب تلاحقها والجماجم . كل الطيور تحوم فوق جدائلها . أن تباركت ياندما في المزامير . يا توبة ملأت جرح اسمائنا بالدموع .

*«١٥/١٠/١٩٧٤» يباعد ما بيننا الانتظار . اقرأ بين الكؤوس قصائدهـا . كانت الارض بكرا وحين بمعولك الهمجي اتكأتَ . تفطـرت الارض . صارت سماء المدينة قاعا . فأمطرت الارض نحو السماء . واذاك ساحت دمائي بين نعليك والهوس الموسمي ..

وان غبت قولي لنادبة دون رأس . لقد اقفل القبر اسرار هـذا الغريـب المطارد . عودي لنفسك هذا أنا . على كل عارضة استطيل . واطلع من بين كل

النجوم قولي • ألا عمّق القبر يا معول • عسى شرخا من أتاي • يعلمني الموت حين احب ويتركني هكذا • عاريا للمرايا• ولكن الى اين ؟ •كل الدروب تؤدي اليه• يطاردك الميت لا تفرحي •

* يباعد ما بيننا• الانتظار •، ولولا ثلاث • وظل من الامس• كان النهار • رفيقي للبحر • كانت دمائي • تراكض في طرقات بعيدة• وكنت انا الساعة الثمل البدوي• اجوب المدائن رؤيا جديده• يجوب الازقة لارعشة تحتويه • ولا •• يا شتيمه • جناحاي في كف لكن وعيناي في صحن لكن • سأبحر نحوي • اسمر خطوي• وأنساي • انساك • انسى المدار لان زمانا على نصل لكن ؟



المعلم

مظفر بشير

خب السعاة وأنت ناء عنهم ... ولأنت حادي ركبهم والملهم
هاد يخط لهم مناهج عزهم ... وكذلك الرواد ، انك منهم
هان بما بلغوا وتلك سعادة ... والسعي في الخيرات سعي مكرم
وصلوا ورايات الكمال تحفهم ... وعلت معاقلهم وانت المعدم
ما ان قصدت الى نعيم زائل ... اذ أنت في الاخرى قرير منعم
والكل يرفل ناعما ومهاده ... يعلى بكفك اذ تحل وتبرم
لهفي لها والمجد طوع بنانها ... وبها من الداء الدوي البلسم
يا من يوزع روحه ويبثها ... في الآخرين لذا يشيخ ويهرم
بنيا يظل على الفتوة تربه ... واذا المشيب أتى قفته جهنم
يا من اذا ما الجهل قام حياله ... متجسدا بالحاقدين تأثموا
بالحلم محضا كان رد جوابه ... أما سواه فذا عليه محرم
حتى اذا لج السفيه بحمقه ... والحمق ليس له لجام يلجم
أغضى وأعرض بالسكوت مجاوبا ... والصمت ان نطق السفيه تكلم
واذا رأى الحمقى بذلك سبة ... فله مقام فوقهم وهم هم
يا رائد الجيل الجديد تحية ... من فيض قلب بالوفا يترنم
اني اذا حييت فيك شمائلا ... جلى فلا يحصي لها عدا فم
فكفاك فخرا لا يوازيه ولا ... يعلوه فخر أن يقال : معلم
أرسيت أسّ المجد من عهد الألى ... بادوا بذا عاد تقر وجرهم

كـــل الذي يستطيعه لك معجب نـزر فـلا يوفي الثنـاء الاعظـم
حتى وان ملـك البيـان بنثره أو عاد للسحر المحلل ينظـم
فالتضحيات عظيمـة أقدارهـا ولهـا مقام لا يرام مكـرم
ليس الارانب كالضياغم لا ولا ساوى البغاث من الطيور القشعم
وكـذا الحياة منازل ومدارج يرقى العظيم بها ويجثو المحجم
أمثقف الاجيـال تثقيف القنـا بالجهـد والفخـر الطـويل تقـوم
وشبيت أنفسـهم كغصن مسـه سحر الربيع فشب فيه البرعـم
ومهذب الاطباع لج بهـا الصدا فتعود نجمـا تجتليه الانجـم
والسامري مفاخـر في خلقـه عجـلا بتبر ذاخـوار يبهـم
ولكم خلقت من العجول بلابلا فغـدت بطيب نشيدهـا تترنم
ولكم رفعت من السجود نواصيا كادت لطـول سجودهـا تتورم
علمتها في العـز درسـا بعـده ظلـت بأنف شـامخ تتكلـم
وتكيل للعادي بصـاع ضعفـه ولظفـر كل الغاشمين تقلـم
تسري الى اعدائهـا بتلاحـم وشعارها لصفوفهـا يتقـدم
(لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتـى يراق عـلى جوانبـه الدم)

مظفر بشير



أغنية على مذبح الأزهار

عبدالحسن مراد الجناح
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

وجدوني شمعة تشكو الظلام
وتلافيف قضيه
وجدوني نصف بدر لفـه الغيم الكثيف
آه لو اني عبرت المبتغى
آه لو اني عبرت الغيم ـ احبابي ـ اليكم
وحرقت الدرب حتى ينتشر في راحتيكم
نهر نور
مزهر يضحك فيه الدرب صوتا يتهـدر
نجمة تزهو وتكبر
آه لو فجرت نفسي في الرميله
الف بشر
الف الف
الف بدر
الف مصنع
الف ثوب يرتشف نهد الصغار
دمعة تجلو غبار الحاقدين
يا فرات
لم تعد انت الفرات .. !

قد عجنا منك حناء ووسمه
وتخضبنا على زهو الهضاب
وتخضبنا لعرس طالما اشتقنا اليه
وعلى الخابور رايات تدوي
« مرحبا يا معارك المصير »
يا فرات
لم تعد انت الفرات
ودمشق جرعت طعم المراره
ها هو الدجال قد سلط سيفه
شاكيا منه النهار
هـد جنحيـه اصطبار
واذا الطفلة في الدرب تصلي
يا الهي لا اطلق التسويات
سوف يبقى ذكرها ينهشني
كلما زدت تجارب
كلما زدت سنين
عبدوا الدرب وراحوا
يزرعون الحزن في عرس العروبه

رصعوا وجه الحذاء

بالحجيرات الكريمة

اوهموا انفسهم من انها

اصبحت تاجا يرى فوق الرؤوس

يا ابا ذر الغفاري

أين أنت الان من هذي الوجوه

شـربت نضح السـواعد

لاكت الريق المزارع

يا ابا ذر الغفاري

انت تدري وردنا في الموهنات

ما استبد الظيم فينا من قريب وبعيد

(ظالما) الا شربنا

من شموس الدهر كيما نرتوي

●

ايها الصوت المغني في العراق

ها انا اشكو لحبسي

ها انا نهر الفرات

قائم هذي القوائم بيدي

سيفي المسلول ظل الله في كل البلاد

يا بُنَيَّ النهـر لا ينسى طريقه

يا بني القلب لا ينسى دماء فارقته

يا بني الارض لا تنسى دماء

شربت منها لتحيا ... شربت منها لتحيا



ظَمأُ الفراتُ

عبدالرزاق حسن عزيز
عضو اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

سقينا الحب من ماء الفرات ... ومن بردى ودجلة والقناة
ومن عذب العيون بارض نجد ... ومن نبع الجبال العاليات
وسرنا بين انهار ودوح ... وقبلنا الثغور الباسمات
وهل يسلو فؤادي من حبيب ... صبوح الوجه محمود الصفات
وقد هبت رياح الروض ليلا ... كأسراب الطيور مهاجرات
كأن الروض في ذكراه غنى ... وان صباحه غادوآت
اذا ملك الغرام حفظت وجدي ... وتنشره قصيدا ذكرياتي
واني ما شكوت الحب يوما ... وقد عظمت حياتي من ثباتي
وهما عربية قد همت فيها ... وقد رقدت بقلبي في سبات
وداوتني وما نشفت جروحي ... ومالي دونها غير الممات
عزيز مجدها يوم ابتلتني ... ولولا الحب ما افنيت ذاتي
يلوم بحبها أهلي وقومي ... ونجمع شملنا في النائبات
فيا نهر الفرات اليك تشكو ... جموع من حقول ظامئات
أليس الماء في الدنيا مباحا ... وتلك سيوله قبل الحياة
وهذا الماء يجري في بقاع ... وذاك الماء يجرى في الفلاة
فان كليهما يعطيك زرعا ... اذا اتحدا كنخل باسقات
سلام يا دمشق وانت أخت ... وان ظمئت نفوس من حماة
أليس الله يأمرنا بعدل ... وليس الله يأمر بالشتات
أيا حوض الفرات فدتك نفس ... (تكاد تغص بالماء الفرات)

بغداد ١٦/٥/١٩٧٥

رُجُوع

حمزة الطفيلي

هو أنت يا عيدي الحزين ؟ هو أنت يا جرحي الثمين ؟
هـو أنت مـن يشـدو عـلى وتري بأنغـام الحنين ؟
وأسـائل الصحـراء بي : مـن أين نفح الياسـمين ؟
الله ! ها قـد عـاد لي ما كـان بعضي مـن سـنين
يحكـي الخنـوط بوجهه كـم عـاش بـين الغـابرين
الكـل زار ضريحـه من قال يبعث بعد حين ؟!
ذاتي العتيقـه .. كـم رتعنـا في مـروج العـابثين
قدمـا تنكل بالنجـوم وجبهـة تعنـو لطـين ! !
أواه مـن صيـد المنى بـين الكـروم .. أتـذكرين ؟
يا غـايتي خطـوي تحـير من سـؤال الحائرين
يـا منيتـي حـرفي تملمـل مـن مـواويل الأنين
الـكأس تشـرب غلتـي فمتـى بكأسـي تسـكبين ؟
الليـل يأكـل مقلتي فمتى بليلي تسـطعين ؟
أنـا حـيرة أفاقـة فمتى بحضنك أستكين ؟
هيهـات . أعـلم انمـا هي أنـة المتحسـرين ..
يـا أم عمـري ها ركامـي ينشـد الحضن الأمـين
هـا مـن بنـوا فيّ الرصـانة يركلون بي الرصـين
فتقبليهـم جـدة تهفـو لأبنـاء البنـين
فيـم التهيب ؟ عـاودي مـا كنت يومـا تفعلـين
لا .. مـا صغـرت وانمـا كبرت ظـلال الآخـرين ..

بعلبك حمـزة الطفيلي

أخبار
إتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين

★ صدر مرسوم جمهوري بتعيين الدكتور نوري حمودي القيسي عضو اتحادنا وعضو هيئة التحرير عميدا لكلية الآداب في جامعة بغداد والدكتور نوري من ابرز المحققين والباحثين في العراق وتتسم كتاباته بالدقة العلمية وبالرصانة والمنهجية وقد صدرت له عشرات المصنفات والبحوث التي باتت مراجع للباحثين والدارسين .

اتحادنا يتوجه بالتهنئة للزميل الكريم على الثقة التي هو بها جدير .

★ وصدر مرسوم جمهوري بتعيين الدكتور خاشع المعاضيدي عضو اتحادنا، عميدا لكلية التربية . للاخ الكريم اعمق تهانينا على الثقة الغالية .

★ في الرابع من تموز اقيمت امسية شعرية اشترك فيها الشعراء الشباب ، عبدالمطلب محمود ، مرشد الزبيدي ، خزعل الماجدي ، عبدالمنعم حمندي وعبدالرزاق حسن عزيز .

★ آراء في القومية العربية – عنوان المحاضرة التي القاها الاستاذ خير الله طلفاح في حدائق الاتحاد وذلك بتاريخ ١١ تموز .

★ القى القاص عبدالرحمن مجيد الربيعي وذلك في ١٨ تموز محاضرة عن القصة والثورة في حدائق الاتحاد .

★ وفي حدائق اتحاد المؤلفين والكتاب عقدت امسية شعرية قرأ فيها الشاعر خليل الخوري طائفة من اشعاره اعقبتها بعض المناقشات وذلك في ٢٥ تموز .

★ انتقل الى رحمة الله عضو اتحادنا المرحوم السيد ابراهيم أحمد الفاضلي صاحب جريدة العدل ومؤسس جمعية التوجيه الديني بالنجف الاشرف الاتحاد يعزي اسرة الفقيد بالحادث الجلل .

★ انتقلت الى رحمة الله والدة عضو اتحادنا الأستاذ وليد الاعظمي الموظف بالمجمع العلمي العراقي . الاتحاد يعزي الزميل الكريم بالفقيدة الغالية .

أخبار التراث العربي

★ يعكف السيد عبدالستار القدسي على دراسة وتحقيق كتاب « التقييد لمعرفة رواة السنن والاسانيد » لابن نقطه بعد تسجليه رسالة دكتوراه في كليـة أصول الدين بجامعة الازهر باشراف الدكتور أمين التازي الاستاذ بكلية أصول الدين .

★ صدرت الطبعة الثانية من كتاب « تقييد العلم » للخطيب البغدادي بتحقيق وتعليق يوسف العش . نشر دار احياء السنة النبوية في بيروت .

★ وصدرت الطبعة الثانية من رسالة أبي داود (ت ٢٧٥هـ) الى أهل مكة في وصف سننه . بتحقيق محمد الصباغ ونشر الدار العربية ببيروت .

★ يطبع في دار الشروق ببيروت على نفقة الجامعة الليبية كتاب « النوادر في اللغة » لابي زيد الانصاري ، تحقيق ودراسة الدكتور محمد عبدالقـادر أحمـد .

وصدر للمحقق الدكتور محمد عبدالقادر أحمد قبل أيام في القاهرة كتاب بعنوان « استاذ مدرسة الصنعة في الادب العربي . طفيل الغنوي . حياته وشعره » كما نشر في مجلة معهد المخطوطات العدد الاخير « فائت الفصيح » لغلام ثعلب ابي عمر الزاهد .

★ تقدم بعض المعنيين بالتراث الموسيقي في القاهرة الى وزارة الثقافة بطلب تأسيس جمعية أصدقاء موسيقى سيد درويش ، لجمع وتسجيل وتحقيق تراث الموسيقى العربي الكبير سيد درويش . وقد وافقت وزارة الثقافـة المصرية على الطلب وبادرت بتشكيل هذه الجمعية التي ضمت حشدا من كبار الفنانين والادباء . على رأسهم د. حسين فوزي و د. سمحة الخولي و د. زكي طليمات والاسـاتذة أنور أحمـد وعبدالحليم نويرة ومدحت عاصم . واسندت رئاسة اللجنة الى وكيل أول الوزارة . ومنحتها الوزارة خمسمائة جنيه كدفعة أولى . وعقدت اللجنة عدة جلسات واتخذت العديد من القرارات الهامة .

★ يقوم السيد عبدالله عبدالرحيم عسيلان ، المدرس بكلية اللغة العربيـة بجامعة الرياض بتحقيق ودراسة « كتاب الحماسة لابي تمام » ليقدمه الى

كلية اللغة العربية بجامعة الازهر رسالة دكتوراه باشراف الدكتور محمد السعدي فرهود الاستاذ بالكلية المذكورة ٠

★ كتاب « الثقات » لابن شاهين ، يقوم الطالب المصري أحمد زكي حماد ، بتحقيقه واعداده رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين بجامعة الازهر ، باشراف الدكتور أمين التازي الاستاذ بالكلية ٠

★ يحقق الدكتور عبدالحميد صالح الاستاذ بجامعة وهران بالجزائر (مختار الاخبار) للقس أبي البركات ابن كبر ٠

★ صدر عن لجنة احياء التراث الاسلامي برئاسة ديوان الاوقاف الجزء الثاني من كتاب (المعرفة والتاريخ) لابي يوسف يعقوب بن سفيان البسوي (ت ٢٧٧هـ) بتحقيق الدكتور اكرم ضياء العمري استاذ التاريخ الاسلامي المساعد بكلية الآداب ـ جامعة بغداد ٠

★ مشاركة في تحية عام المرأة العالمي قدم الاستاذ هلال ناجي والدكتور سامي مكي العاني الى وزارة الاعلام كتاب (اشعار النساء) للمرزباني بعد أن حققاه على نسخة فريدة في العالم ٠ وهو أقدم أثر عربي يحفظ تراث الشواعر العربيات ٠

ومن المؤمل ان يصدر خلال هذا العام ضمن سلسلة كتب التراث ليسهم عراق الثورة في تحية هذه المناسبة العالمية ٠

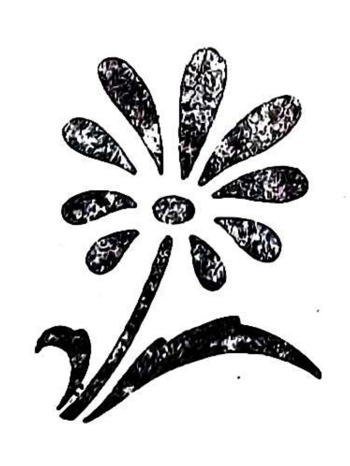
★ سيصدر عن مؤسسة دار الكتب في جامعة الموصل (ديوان الموشحات الموصلية) تحقيق محمد نايف الدليمي ٠ وسيطبع على نفقة العلامة الاديب الدكتور محمد صديق الجليلي ٠

★ يصدر قريبا كتاب (اعتقاد أهل السنة والجماعة) لعدي بن مسافر تحقيق محمد علي العدواني وابراهيم النعمة ، ضمن سلسلة احياء التراث الاسلامي التي يصدرها ديوان الاوقاف في بغداد ٠

★ نشر في العدد الحادي عشر من حوليات الجامعة التونسية التي تصدر عن كلية الآداب والعلوم الانسانية نص نفيس عن (خلافة عثمان وعلي) من كتاب (الكشف والبيان) تأليف أبي سعيد محمد بن سعيد الازدي القلهاتي من علماء الخوارج في مطلع القرن الحادي عشر الهجري ٠ والنص يقع في ستة أبواب من أصل خمسين بابا تكون الكتاب المذكور ونسخته الفريدة محفوظة في المتحف البريطاني ٠ وقد حقق هذه الابواب محمد بن عبدالجليل في حوالي ستين صفحة من المجلة ٠

★ ونشر محمد الهادي الطرابلسي في عدد الحوليات نفسه ثبتا قيما باضافات وتنقيحات على بعض اشعار اللزوميات لابي العلاء المعري وجدها الباحث في مخطوطة فريدة ٠

★ انتهى الاستاذ هلال ناجي من تحقيق كتاب « المختار من اشعار اهل الاندلس » لمصنفه علي بن المنجب بن الصيرفي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ ٠ على نسخة فريدة في الدنيا وقد دفعه للمطبعة جدير بالذكر ان الكتاب المذكور هو من المصادر الاصلية التي اعتمدها الاصبهاني في القسم الاندلسي من (الخريدة) ٠ ويضيف هذا الكتاب اشعارا جديدة الى دواوين جميع الشعراء الذين تناولهم، كما يضم رسالتين نادرتين وغير معروفتين للكاتب الاندلسي الشهير (ابن شهيد) صاحب رسالة التوابع والزوابع ٠



أخبار الأدب والفكر

★ تنفيذا لقرار المكتب الدائم لمؤتمر الادباء العرب المنعقد بالجزائر تشكلت بالقاهرة برئاسة الاستاذ يوسف السباعي الامين العام لاتحاد الادباء العرب لجنة (الدفاع عن حرية الاديب العربي) تضم ممثلين ومندوبين من الاقطار العربية ، يمثل بها العراق الاستاذ علي الحلي ولبنان الاستاذ ميشيل سليمان وسوريا الاستاذ علي عقله والجزائر الدكتور عبدالله ركيبي ومصر الاستاذ صلاح عبدالصبور ، وفلسطين الاستاذ عبدالقادر ياسين . هذا وقد عقدت اللجنة اجتماعها الاول بالقاهرة في أواسط شهر تموز وناقشت جدول أعمالها وأقرته ..

★ صدر للدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي عميد كلية اللغة العربية بجامعة الازهر – فرع اسيوط – كتاب جديد عن (خلود الاسلام) .

★ يصدر في القريب كتاب (دراسات نقدية في النثر) لشيخ النقاد المعاصرين الاستاذ مصطفى عبداللطيف السحرتي . ومن الجدير بالذكر ان مجلة (الكتاب) تنشر كتابا للناقد السحرتي على شكل مسلسلات في كل عدد من أعداد المجلة بعنوان (التيار القومي في الشعر العراقي) ..

★ أصدر شاعر الاهرام الاستاذ محمد عبدالغني حسن والدكتور عبدالعزيز الدسوقي رئيس تحرير مجلة (الثقافة) المصرية كتابا ضخما تحت عنوان (روضة المدارس : نشأتها واتجاهاتها الادبية والعلمية) .

★ تقرر اصدار الاعمال الكاملة للفنان العربي الراحل بيرم التونسي في عشرة أجزاء ، يشرف عليها الاستاذ الناقد رشدي صالح .

★ ترجم الدكتور راشد البراوي كتابا الى اللغة العربية عنوانه (العرب : انتصاراتهم وامجاد الاسلام) الفه الوزير البريطاني انطوني نانتج . والكتاب سجل حافل بالوثائق والحوادث التاريخية المهمة ، ويقع في ٦٠٠ صفحة بما فيه الهوامش والتعليقات .

★ اعد الاستاذ توفيق حسن العطار العضو في اتحادنا كتابه عن (صحافة كربلاء) ..

★ من المقرر ان تصدر الطبعة الثانية من كتاب (بدر شاكر السياب وحركة الشعر الحر بالعراق) للاستاذ محمود العبطة العضو في أتحادنا ..

★ تولت الدكتورة انجيل بطرس سمعان كتاب (يوتوبيا) للفيلسوف الالماني الاخلاقي توماس مور الى اللغة العربية . والكتاب يتضمن صورة وافية

للمدينة الفاضلة التي بناها هذا الفيلسوف واقامها على غرار المدينة الفاضلة للفيلسوف الاسلامي الفارابي ..

★ صدر للشاعر المبدع عبدالخالق فريد ديوان جديد بعنوان « الرحيل في الدروب النائية » .

★ تستعد الاستاذة عربية توفيق لازم العضو في الاتحاد لاعداد رسالة الدكتوراه بمصر تحت اشراف الدكتور عبدالمنعم اسماعيل عن الشاعر العربي المفكر الاستاذ محمود أبو الوفا .

★ صدر بسان باولو ديوان (حصاد الايام) للاستاذ فيليب لطف الله رئيس جامعة القلم .. والديوان يضم بين دفتيه ارق القصائد الوجدانية والوطنية والقومية اضافة الى الاخوانيات والمعارضات على نحو رائع . وللشاعر كتب ودواوين عدة سبق ان أصدرها بديار المهجر الجنوبي .

★ تقرر طبع الجزء الجديد من كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) للعماد الاصبهاني وتحقيق شيخ المحققين الاستاذ محمد بهجة الاثري ..

★ صدر الجزء الثالث من ديوان الشاعر العراقي (معروف الرصافي) الذي حققه وعلق عليه الاستاذ مصطفى علي .

★ أصدرت مجلة (الرابطة) التي يصدرها الاستاذ نواف حردان بسان باولو باللغتين العربية والترتغالية عددا خاصا بالقطر العراقي ضم دراسات وفصولا شاملة في كل النواحي الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية .. وما الى ذلك ..

★ صدر للاستاذ وحيدالدين بهاءالدين عضو الهيئة الادارية في الاتحاد كتاب جديد عنوانه (مباحث في الادب العربي المعاصر) وهو يتضمن ستة عشر فصلا عن عدد من أدباء القطر العراقي والوطن العربي . والكتاب من منشورات الاتحاد . وسيصدر الاتحاد ، كتابين آخرين هما (على الهامش) للاستاذ هلال ناجي رئيس الاتحاد و (شعر ابن‌طباطبا العلوي) للاستاذ جابر الخاقاني مدير ادارة الاتحاد .

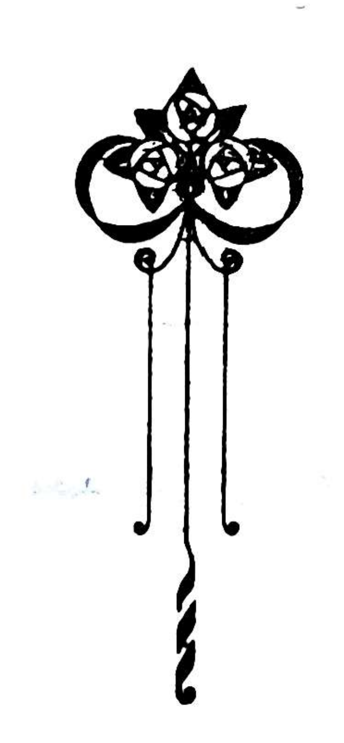
★ صدر لعضو اتحادنا الدكتور فخري الدباغ كتاب جديد عنوانه « جنوح

الاحداث » طبع في الموصل . والكتاب من الكتب المهمة في موضوعه .

★ صدرت لعضو اتحادنا الاستاذ عبدالحميد التحافي مجموعة اقاصيص شيقة عنوانها « حصاد الصمت » طبعها المركز الاجتماعي في جامعة الموصل .

★ وصدر لعضو اتحادنا السيد عكاب سالم الطاهر كتاب عنوانه « نظرة في بعض المسائل المعاصرة » طبعته دار الثورة .

★ وصدر العدد الاول من مجلة « آفاق عربية » التي يرأس تحريرها عضو اتحادنا ونائب رئيس اتحاد الادباء الاستاذ شفيق الكمالي ، والمأمول ان تحتل هذه المجلة مكانة بارزة في الوسط الثقافي العربي .



صدر حديثا

في سلسلة

ديوان الشعر العربي الحديث

الجزء الخامس من

ديوان الجواهري

شعر

محمد مهدي الجواهري

من مطبوعات
وزارة الاعلام
بغداد

صدر حديثا

في سلسلة

القصة والمسرحية

الانفجـــار

تأليف

انعام الجندي

من مطبوعات
وزارة الاعــلام
بغـــداد



صدر حديثا

في سلسلة

ديوان الشعر العربي الحديث

البصرة ـ حيفا

شعر

خالد علي مصطفى

من مطبوعات
وزارة الاعلام
بغداد

صدر حديثا

في سلسلة : كتاب الجماهير

رواد المقالة الادبية
في الادب العراقي الحديث

تأليف

عبدالجبار داود البصري

من مطبوعات
وزارة الاعــلام
بغــداد

يصدر قريبـا

في سلسلة

ديوان الشعر العربي الحديث

وطن لطيور الماء

شــعر

علي جعفر العلاق

من مطبوعات
وزارة
الاعــــلام

صدر حديثا

في سلسلة المعاجم

النتاج النسوي في العراق خلال ١٩٢٣ ـ ١٩٧٤

اعداد عبدالحميد العلوجي

تقديم بديعة أمين

من مطبوعات
وزارة الاعلام
بغداد



يصدر قريبا

في سلسلة

الكتب الحديثة

كتـاب

انحراف النظام البرلماني في العراق

تأليف

فائز عزيز اسعد

من مطبوعات
وزارة الاعـلام
بغــداد

صدر حديثا

في سلسلة

كتابات جديدة

في حضرة المعشوق والعاشق

شعـر

شاكر العاشور

من مطبوعات
وزارة الاعـلام
بغـداد


عصير
العنب
الخالص
السعر
٢٠
فلسا
في جميع
انحاء العراق
Traubi
انتاج
الشركة العــامة للمشروبات الغازية

ثبت العدد

الصحيفة

الصحيفة

AL-KITAB

A MONTHLY CULTURAL REVIEW

ISSUED BY: IRAQI AUTHORS & WRITERS UNION

No. 8	Vol. 9	August 1975

P.O.B. 1068 — Baghdad

دار الحرية للطباعة بغداد

ثمن النسخة (١٥٠) فلس